رؤية VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف

الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١١ - ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ الموافق ٢٨ - ٢٩ يناير ٢٠١٨م

السجل العلمي

٣

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

السجل العلمي لمؤتمر
واجب الجامعات السعودية وأثرها
في حماية الشباب من الجماعات
والأحزاب والانحراف

المجلد الثالث

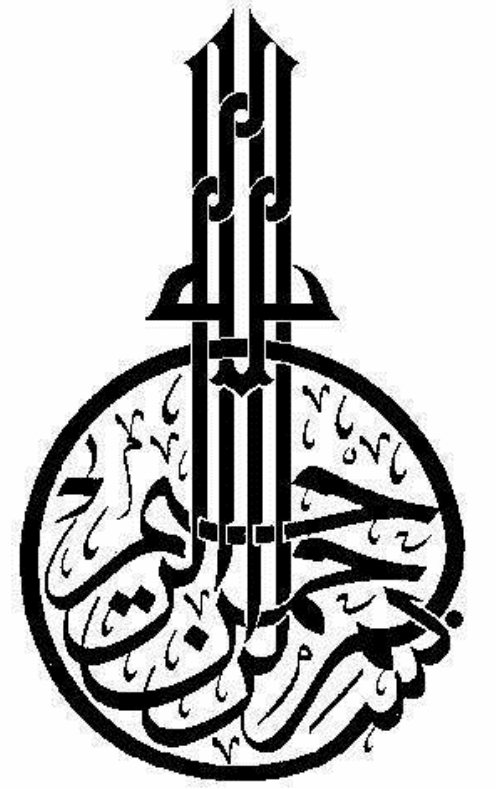
بسم الله الرحمن الرحيم

البحوث والأوراق المنشورة

في المؤتمر تعبر عن وجهة نظر كاتبيها

ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجامعة

فهرس المجلد الثالث

عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية وعلمائها في التحذير من الإرهاب والتطرف	أ.د.بدر بن ناصر البدر	٦٧٩
الثورات على الأنظمة حكمها وأحكامها دراسة عقدية	د.احمد بن جزاع الرضيمان	٧٢٥
إطلالة على تجربة عمادة التعلم الاكتروني والتعليم عن بعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات – سجن المباحث نموذجاً –	أ.د . أحمد بن محمد الحسين	٧٨٥
دور الأستاذ الجامعي في تقرير الأمن الفكري للطلاب	أ.د. أسماءعبدالعزيز الداوود	٨١٧
مفهوم الخروج على ولاة الأمر وخطرة أثاره السيئة على المجتمع السعودي	يوسف بن صالح المونع	٨٦٣
الفكر التكفيري لدى الشباب وأثره على الامن الاجتماعي	د.أشرف جودة محمد محمود	٩٠٣
توعية الشباب السعودي بأسباب الانحراف الفكري ومخاطره بالتركيز على دور الجامعات في التوعية	د.أم العز بنت يوسف المبارك	٩٣٥
التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وأثره في تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب	أ.د.السعيد سليمان عواشرية	٩٦٧

عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وخطر الخروج وآثاره السيئة على المجتمعات	بدر بن خضير الشمري	١٠٠٩
خطورة الفكر التكفيري والإلحاد على الشباب السعودي	بندر بن ظافر الدهيسي	١٠٤٥
جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية أنموذجاً	تواصيف بنت حميدالعنزي	١٠٧٥

جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية وعلمائه في التحذير من الإرهاب والتطرف

أ.د. بدر بن ناصر البدر

أستاذ الدراسات العليا، بقسم القرآن وعلومه

كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ النساء: ١، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١.. أما بعد:

فإن أعظم نعمة يمن الله بها على عبده هي نعمة الإسلام والإيمان، كما قال تعالى ﴿ بَلْ اللهَّ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ ﴾ الحجرات: ١٧، هذا الدين العظيم الذي حوى كل خير واشتمل على كل ما يصلح أحوال البشر في صغير الأمور وكبيرها، وحرم عليهم ما يعود عليهم بالسوء والضرر في العاجل والآجل، وجعل شريعته كاملة صالحة لكل زمان ومكان، مصلحة لأحوال الأفراد والمجتمعات، تدعو إلى الصلاح والاستقامة والعدل، وتنبذ الشرك والشر والظلم والجور والغدر.

لقد أبان رسولنا عليه الصلاة والسلام ما نزل عليه من ربه بيانًا كاملاً شاملاً، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فهو المنة المسداة والرحمة المهداة، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

وإن من نعم الله علينا أن قيض لنا دولة مباركة تأسست على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى تنهل من هذا المعين الصافي، والمورد العذب، وتسير على المنهج الصحيح والمبدأ السامي إلى يومنا هذا، بوسطية واعتدال، وموضوعية واتزان،

وبصيرة وحكمة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، صافية نقية طرية غضة، وشرع الله بيننا يطبق في صغير الأمور وكبيرها، وأحكامه وحدوده تقام وتنفذ على المجرمين والمخالفين على اختلاف أنواعهم وأجناسهم وجنسياتهم بصورة فريدة فاعلة لا يعلم لها مثيل في العالم كله.

وجاء موقف المملكة العربية السعودية الواضح والصريح الرافض للإفساد في الأرض والإرهاب والتطرف بجميع أشكاله وصوره، والإجرام الظاهر والباطن، ولم يكن هذا الموقف وليد الأحداث الحالية والفتن الآنية، بل كان مواكبًا لقيام هذه الدولة المباركة وناشئًا مع نشأتها حيث إنها تأخذ بمنهج الإسلام الصارم في محاربة الفساد والإفساد والبغي والبغاة، وكل عمل فيه اعتداء ومنكر وإثم وشر ماديًا كان أو معنويًا، قليلاً كان أم كثيرًا بصورة قطعت دابر ذلك كله، وقضت عليه برمته، الأمر الذي معه صارت مضرب المثل ومحط النظر في الأمن والإيمان والطمأنينة مع ما هيأه الله لها من رغد العيش والاستقرار، فهي جماعة واحدة تبايع إماما واحدا تسمع له وتطيع، هو ولي أمرها.

لقد وقفت المملكة العربية السعودية من الإرهاب والعدوان والبغي والفساد موقفًا حاسمًا وحازمًا، تردعه ردعًا قويًا، منطلقة في ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية، محذرة العالم من هذا المرض الخطير والشر العظيم والداء العضال، منادية دوله للحذر منه واجتثاثه من جذوره، واقتلاع نبتته قبل أن تشتد وتستفحل وتعم، والوقوف في وجه مروجيه، والحزم مع صانعيه، والتضييق عليهم وعدم إيوائهم ودعمهم، فوقعت الرزية، وحدثت الفتنة، واتسعت دائرتها، وعمت وطمت آثارها المدمرة، وهانحن نرى نتائجها الخطيرة، وشرها المستطير يطال الصغير قبل الكبير، والمسلم قبل غيره، والنساء والرجال، مع ما يواكب ذلك من إهلاك الحرث والنسل، والأنفس والعقول، وتدمير للأموال والممتلكات، بطريقة موغلة في الحقد والكره، والشناعة والإجرام، مع ماتسبب وهدف له أصحابه من تقويض بنيان جماعة هذه البلاد والتفافها حول ولاة أمرها.

لقد جاء دين الإسلام محققاً مقاصد عظيمة يجب أن يتعلمها كلّ مسلمٍ ومسلمةٍ، هي حفظ الضرورات الخمس، والتي يُسميها العلماء مقاصد الشريعة: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وما فتئ العلماء العارفون يبينون

الأحكام والمسائل المرتبطة بهذه المقاصد العظيمة، فلّما غاب العلم وتفشى الهوى والجهل وكثرت الشبهات، ظهرت الفتن والهرج والقتل، دون مراعاة لهذه المقاصد، والذي من أهدافه زعزعة جماعة المسلمين وإحداث الفرقة والاختلاف والنزاع والشقاق لولي الأمر والافتيات عليه.

وهذا ما أحببت بيانه في هذا البحث (جهود ولاة أمر المملكة العربية السعودية وعلمائها في التحذير من الإرهاب والتطرف)،وذلك استجابة للدعوة الكريمة من الجامعة في مؤتمرها (واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف)، في المحور الرابع منه.

وقد جاءت خطة البحث كما يلي:

- المقدمة.
- الفصل الأول: حقيقة الإرهاب وحكمه، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: تعريف الإرهاب في اللغة.
- المبحث الثاني: تعريف الإرهاب في الاصطلاح.
- المبحث الثالث: حكم الإرهاب.
- الفصل الثاني: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب وجهودها في مكافحته، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب في الماضي والحاضر
- المبحث الثاني: موقف ولاة المملكة العربية السعودية وعلمائها من الإرهاب والتطرف
- المبحث الثالث: جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والتطرف
- الخاتمة.
- ثبت المصادر والمراجع.

وقد سرت في كتابته حسب المنهج التالي:

- عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

- خرَّجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرَّجته باختصار من غيرهما.
- لم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، خشية الإطالة، ولئلا أتجاوز ما حُددت به كتابة البحوث في هذه الجائزة.
- عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.
- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور والخلل، ثم لتشعب الموضوع وسعته.

كما أنني أعترف بفضل وجهد من سبقني في الكتابة في هذا الموضوع فقد استفدت منهم.

جعل الله تلك الجهود في ميزان الجميع، رفعة للدرجات وتكفيرًا للسيئات وزيادة في الحسنات، كما أسأله تعالى أن يمنحنا الفقه في الدين واتباع سنة سيد الأولين والآخرين، عليه الصلاة والسلام، وأن يقي بلادنا وبلاد المسلمين الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يحفظ ولاة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول
حقيقــة الإرهــاب

المبحث الأول: تعريف الإرهاب في اللغة:

قال ابن دريد (رَهَبَ الرجل يَرْهَبُ رَهْبَاً ورَهَباً: إذا خاف.. ومنه اشتقاق الراهب والاسم الرهبة... والرَهَبُ: الفزع[1])، وقال ابن منظور (رَهِبَ يَرْهَبُ رَهبَةً ورُهْباً: أي خاف، وأرهبه ورَهَّبه واسترهبه: أخافه وفزَّعه)[2].

فكلمة (إرهاب) مشتقة من الفعل المزيد (أرهب)؛ يقال أرهب فلانا: أي خوَّفه وفزَّعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف (رَهّبَ). أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو (رَهِبَ)، يَرْهبُ رَهْبَةً ورَهْبًا ورَهَبًا فيعني خاف، فيقال: رَهِبَ الشيء رهبا ورهبة أي خافه. والرهبة: الخوف والفزع. أما الفعل المزيد بالتاء وهو (تَرَهَّبَ) فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والراهبة والرهبنة والرهبانية ... إلخ، وكذلك يستعمل الفعل ترَهَّبَ بمعنى توعد إذا كان متعديا فيقال ترهب فلانا: أي توعده[3].

أما المعنى اللغوي لهذه الكلمة في المعاجم الحديثة فقد جاء في المعجم الوسيط أن الإرهابيين (وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية)[4].

والإرهاب في الرائد (هو رعب تحدثه أعمال عنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، والإرهابي هو مَنْ يلجأ إلى الإرهاب بالقتل أو إلقاء المتفجرات أو التخريب)[5].

---

(١) الاشتقاق، ٤٣١.

(٢) لسان العرب، (رَهَب) ١/ ٤٦٣، وانظر: الصحاح، (رَهَب) ١/ ١٤٠.

(٣) لسان العرب، (رهب) ١/ ٤٦٣ ، وانظر: القاموس المحيط ١/ ١١٨.

(٤) المعجم الوسيط، ١/ ٣٧٦.

(٥) الرائد معجم لغوي عصري، ص ٨٨.

وتجدر الإشارة إلى أن المعاجم العربية القديمة قد خلت من كلمتي (الإرهاب) و (الإرهابي) لأنهما من الكلمات حديثة الاستعمال، ولم تعرفهما الأزمنة القديمة بهذا المصطلح[1].

كما أنه قلّ وجود صيغة (الإرهاب) في المصادر اللغوية بعدها، فقد ذكر الزبيدي في تاجه: (الإرهاب بالكسر: الإزعاج والإخافة)[2].

المبحث الثاني: تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

ولم أقف على تعريف شرعي لمصطلح [الإرهاب] لا في النصوص الشرعية، ولا في كلام أهل العلم من المفسرين والشراح، بعد النظر في كتبهم والبحث فيها.

وأما المدوَّنات الفقهيَّة القديمة، فإنها لم تعن بذكر أدنى تعريفٍ لهذا المصطلح الذي لم يكن له حضور عند الأقدمين من الفقهاء والمفسرين وغيرهم، وإنما جاء حديثهم في أبواب مستقلة ومباحث مفردة عن البغاة والمحاربين والخوارج ونحوهم، مما يدل على أنّ هذا المصطلح بذاته لم يحظ بتعريفٍ من لدن العلماء القدامى، وما يجده المرء في هذا العصر من تعاريف له لا تخلو من أن تكون اجتهاداتٍ معاصرة من لدن بعض الفقهاء المعاصرين أو المجامع الفقهية أو المؤتمرات العلمية.

وأقرب هذه التعاريف وأجمعها لكلمة الإرهاب ما ذكره المجمع الفقهي الإسلامي في اجتماعه الذي عُقِدَ في ٢٦شوال ١٤٢٢هـ (الموافق ١٠ يناير ٢٠٠٢م) في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته السادسة عشرة، حيث جاء في البيان الذي أصدره المجمع في ختام هذه الدورة، تعريف الإرهاب بأنه (ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة.. وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال

(١) الإرهاب والعنف السياسي، كتاب الحرية، العدد ١٠، ص ٢٠.

(٢) تاج العروس ٢/ ٥٣٨.

العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله: ﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص: ٧٧، وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد وعده محاربة لله ورسوله في قوله الكريم: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣. ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعد في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله وضد خلقه).

المبحث الثالث: **حكم الإرهاب**:

اتخذ الإسلام موقفاً حازماً من الإرهاب، فحرم دم المسلم وماله وعرضه، كما حرم الاعتداء على الأموال والممتلكات العامة، وفي الوقت نفسه حرم الاعتداء على المعاهدين والمستأمنين وحفظ لهم حقوقهم وأمر بالتزامها، ولم يحرم على المسلمين التعاون معهم في الأمور العامة والاستفادة من خبراتهم وعلومهم الدنيوية فيما هم محتاجون إليه.

فالإرهاب الذي يحمل في طياته التدمير والتفجير والاعتداء على الآخرين وترويعهم وإخافتهم محرم وممنوع شرعاً، لأنه عدوان على الناس، وسعي في الأرض بالفساد، وقد جاء الوعيد الشديد لمن اقترفه ووقع فيه في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، ومن الأدلة على ذلك:

أما الأدلة من السنة فكثيرة، منها:

١- أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما)[1].

(١) كتاب الديات / باب قول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم(١٢/ ١٨٧) برقم(٦٨٦٢).

وأخرج بسنده عنه قال: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله)[1].

٢- أخرج الإمام مسلم عن أبي موسى: (أن رسول الله ﷺ قال إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها ثم ليأخذ بنصالها). قال أبو موسى:" والله ما متنا حتى سددناها بعضنا في وجوه بعض"[2].

ففي هذا الحديث الترهيب من الإشارة بالسلاح للمسلم دون قصد لما في أسلوب تكرار الأمر من شدة النكير على المخالف، فكيف بمن أشار بالسلاح عمدا ! وكيف بمن استعمل الأسلحة المدمرة كالقنابل والمتفجرات.

٣- أخرج أبو داود بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ :(لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)[3].

فإذا كان الترويع للمسلم بأخذ شيء من أمتعته حراما فكيف بتخويفه بالسلاح والتفجير وإتلاف ممتلكاته.

٤- أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار)[4].

قال ابن حجر (هو كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار، قال ابن بطال: معناه إن أنفذ عليه الوعيد، وفي الحديث النهي عما يفضي إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققا سواء كان ذلك في جد أو هزل)[5].

---

(١) في الباب نفسه (٦٨٦٣).

(٢) كتاب البر والصلة والآداب/ باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع(١٦/ ١٦٩) برقم (٢٦١٥).

(٣) كتاب الأدب / باب من يأخذ الشيء على المزاح (٤/ ٣٠١)برقم (٥٠٠٤).

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٥.

(٥) فتح الباري (١٣/ ٢٥).

٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً) رواه البخاري[١].

٦- وعن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم عن رسول الله ﷺ قال: (ألا من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢].

وقد جاء في بيان مكة المكرمة الصادر عن المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في دورته السابعة عشرة التي عقدت في مكة المكرمة، في الفترة من ١٩-٢٣/ ١٠/ ١٤٢٤هـ الموافق ١٣-١٧/ ١٢/ ٢٠٠٣م.

في الفقرة السادسة في بيان الحكم الشرعي في الأعمال الإرهابية:(الحكم الشرعي في الأعمال الإرهابية من تخريب وتهديد وتفجيرات:

الأعمال الإرهابية التخريبية من تفجير للمنشآت والجسور والمساكن الآهلة بسكانها الآمنين معصومي النفس والمال من مسلمين وغيرهم ممن أعطوا العهد والأمان من ولي الأمر بموجب مواثيق ومعاهدات دولية، وخطف الطائرات والقطارات وسائر وسائل النقل وتهديد حياة مستخدميها وترويعهم وقطع الطريق عليهم وإخافتهم وإفزاعهم، هذه الممارسات تشتمل على عدد من الجرائم المحرمة التي تعد في شرع الإسلام من كبائر الذنوب، وموبقات الأعمال، وقد رتب الشارع الحكيم على مرتكبيها المباشرين لها والمشاركين فيها تخطيطاً ودعماً مالياً وإمداداً بالسلاح والعتاد، وترويجاً إعلامياً يزينها ويعدها من أعمال الجهاد وصور الاستشهاد، كل ذلك قد رتب الشارع عليه عقوبات رادعة كفيلة بدفع شرهم وردء خطرهم، والاقتصاص العادل منهم، وردع من تسول نفسه سلوك مسلكهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

---

(١) رواه البخاري – كتاب الجزية والموادعة – باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ٦/ ٢٦٩.

(٢) رواه البيهقي في سننه ٥/ ٢٠٥.

أما عقوبة من قام بشيء من تلك الأعمال فتختلف ولكنها قد تصل إلى القتل، فقد صدر عن هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية عام ١٤٠٩هـ " قرار رقم ١٤٨ " بيان لعقوبة من قام بأعمال تخريبية جاء فيه: " من ثبت شرعاً أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد في الأرض التي تزعزع الأمن بالاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك، فإن عقوبته القتل لدلالة الآيات المتقدمة على أن مثل هذا الإفساد في الأرض يقتضي إهدار دم المفسد، ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية وضررهم أشد من خطر وضرر الذي يقطع الطريق فيعتدي على شخص فيقتله أو يأخذ ماله، وقد حكم الله عليه بما ذكر في آية الحرابة)[1].

(١) مجلة البحوث العلمية العدد الرابع والعشرون ١٤٠٩هـ، ص ٣٨٦.

الفصل الثاني

موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب وجهودها في مكافحته

المبحث الأول: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب في الماضي والحاضر:

اتخذت المملكة العربية السعودية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة منهجا ونظاماً وسلوكا لها، فعملت على تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة، كما جاء في المادة الأولى من نظام الحكم التي تقرر بأن: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة دينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ)[1].

وبحكم أن الإرهاب والعنف والتطرف ضد تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، فبالتالي موقف المملكة العربية السعودية منذ تأسيسها على يد موحدها الملك عبد العزيز يرحمه الله، ثابت ضد هذه الظواهر المنحرفة، وهي تبذل قصارى جهدها لاستئصالها والحد منها، وذلك على جميع المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، بهدف استتباب السلم والأمن الدوليين، وكانت المملكة من الدول المؤسسة لجامعة الدول العربية بمشاركتها في إعداد ميثاق جامعة الدول العربية في ٨/ ٤/ ١٣٦٤هـ، والأمم المتحدة بمشاركتها في مؤتمر سان فرانسيسكو عام ١٩٤٥م، ومن أهم أهداف ومقاصد ميثاق الأمم المتحدة استتباب السلم والأمن الدوليين وحماية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية واحترام قواعد القانون الدولي، فكان تفاعل المملكة مع المجتمع الدولي واضحا، فقد شجبت المملكة العنف بجميع صوره وأشكاله، وكل ما يؤدي إلى الإخلال بالسلم والأمن الدوليين، وتؤكد المملكة دوماً نبذ الإرهاب داخلياً كان أم دولياً، أيا كان نوعه ومصدره وتشجع الجهود الوطنية والإقليمية والدولية للقضاء على الأنشطة الإرهابية، وتعاقب مرتكبيها بغض النظر عن جنسياتهم، وفي الوقت ذاته ترفض المملكة ربط الإرهاب بالإسلام وقد أكدت في أكثر من محفل أنه لا مجال على الإطلاق للتنازل والمساومة حول الأسس الدينية التي

---

(١) النظام الأساسي للحكم ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.

تعتبر أساس الشرعية في البلاد، كما جاء في الخطاب الذي ألقاه الملك عبد العزيز –رحمه الله– في الطائف في الرابع والعشرين من مايو عام ١٩٣٢م، حيث أكد على أن (الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها ونعمل بها ونسعى في تعميمها، أما المنافي للإسلام فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ولا عز لنا إلا بالتمسك به)[1].

وامتدادا لذلك الدور الطليعي واصلت المملكة العربية السعودية حربها على الإرهاب بلا هوادة وكان لها القدح المعلى في مكافحة الإرهاب والعنف والتطرف، وأسهمت في جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمت بهدف اجتثاث الإرهاب من جذوره بشتى صوره وأشكاله، محليا وإقليميا ودوليا، ولها الجهود المشكورة في مكافحة الإرهاب والتطرف والقضاء عليهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: موقف ولاة المملكة العربية السعودية وعلمائها من الإرهاب والتطرف:

لقد دأب ولاة الأمر في المملكة العربية الإسلامية على بيان نعمة الإسلام ووجوب التمسك به وتحكيم الكتاب والسنة في صغير الأمور وكبيرها، ولا فخر ولا عزة إلا بذلك، وبيان سماحة الدين ووسطيته وشموله لجميع مناحي الحياة وصلاحيته لكل زمان ومكان، وأكدوا في كلماتهم وتوجيهاتهم ولقاءاتهم على تجريم الإرهاب بجميع صوره وأشكاله الذي يتضمن صنوف الأذى والتخويف والترويع والتدمير، فهو محرم في دين الإسلام بل هو من أعظم المنكرات وأشد الجرائم، ومن الزور والبهتان أن تلصق هذه التهمة بالإسلام الذي هو براء منها بل هو المحارب لها القاضي عليها، كل هذا وغيره تضمنته كلمات قادتنا – وفقهم الله تعالى – وأيضاً علماؤنا الأفاضل – جزاهم الله خيراً – والأمثلة على هذا كثيرة، واضحة ناصعة لا تحتاج إلى تعليق أو توضيح، ومن ذلك:

١- جاء في كلمة للإمام المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى قوله (إن نعم الله على خلقه لا تحصى، ومن كمال نعمه بعثة محمد ﷺ).

---

(١) المملكة العربية السعودية ومكافحة الإرهاب من وراء احداث١١سبتمبر، الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ ص ١٩٦.

ولقد جاء الرسول محمد ﷺ بالهدى والبينات، جاء بأفضل الأديان، ألا وهو دين الإسلام، إن الإسلام شريعة سمحة لا غلو فيه، اختاره الله للمسلمين من بين الشرائع وفضله على جميع الملل.

دين الإسلام، دين الإنسانية والسماحة، ولقد أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ بأشرف الكتب لخير الأمم وهو كتاب الله، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد، دين الله مكتوب في الكتاب والسنة، فكل عمل اتفق مع الكتاب والسنة فهو الحق، وكل عمل خالف الكتاب والسنة فهو باطل، إن الفرقة أول التدهور والانخذال، بل هي العدو الأكبر للنفوس والغاوية للبشر.

الاتحاد والتضامن أساس كل شيء، فيجب على المسلمين أن يحذروا وأن يصلحوا ذات بينهم، ويبذلوا النصيحة لأنفسهم)[1].

٢- من كلمات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد – رحمه الله تعالى – ما جاء في بيان مجلس الوزراء المنعقد يوم الاثنين الموافق ١٤/ رجب / ١٤٢٢ هـ وفيه (إن مجلس الوزراء جدد دعم المملكة وتعاونها الكامل مع الجهود الدولية الهادفة إلى محاربة الإرهاب، مشيرًا إلى أن المملكة كانت من الدول السباقة التي وقفت ضد الإرهاب ومنذ سنوات عدة، ودعت العالم أجمع إلى مكافحته بكل حزم، وما زالت تناشد المجتمع الدولي بمحاربة هذه الظاهرة، وتحديد مفهومها، ومعالجة جوانبها المختلفة، وآثارها السلبية على الاستقرار العالمي.

وإن مجلس الوزراء يعبر عن رفض المملكة المطلق لمحاولات إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، مؤكدًا أن الدين الإسلامي الحنيف دين ومحبة وسلام وتسامح، ونبذ للإرهاب بكل صوره وأشكاله)[2].

وجاء في حديثه لوكالة الأنباء العمانية (إن الإرهاب في المصطلح السياسي الإعلامي

---

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢١٢- ٢١٧.

(٢) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الأرهاب ١/ ٢٣٨.

المعاصر هو في حقيقته إفساد في الأرض، وديننا يحرم ذلك وليس له وطن ولا دين ولا جنسية، لذا فمن الطبيعي التعاون من أجل اجتثاث جذوره تفاديًا لشروره، وهذا ما كنا وما زلنا نطالب به ونلح في طلب التعاون لمعالجته حتى لا يستفحل خطره، والمملكة العربية السعودية وأخواتها في دول المجلس تسهم بكل ما تستطيعه لدعم وتعزيز الجهود الدولية في هذا الصدد على شرط أن يتوافق ذلك مع شريعتنا الإسلامية السمحة، ومع ما توصي به الشرعية الدولية ليتسنى المضي قدمًا لما فيه خير البشرية.

إن تحقق الأمن والسلام والاستقرار لشعوب المنطقة رهن بتطبيق السياسات الرشيدة التي تتجنب الوقوع في الأخطار الناجمة عن سوء التقدير أو الرغبة الجامحة للهيمنة والتسلط وغمط حقوق الآخرين، لذلك لا بد من التعاون على كافة المستويات إقليميًا وعربيًا وإسلاميًا ودوليًا من أجل إيجاد الصيغ المنطقية والموضوعية لمعالجة المشكلات القائمة حتى تعود الحقوق لأصحابها بعيدًا عن ازدواجية المعايير وبذلك تعيش المنطقة، بل ويعيش العالم أجمع في أمن وأمان واستقرار وحياة هانئة كريمة)[1].

٣- من كلمات خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما جاء في كلمته في حفل افتتاح ندوة رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والتي هي بعنوان (صورة الإسلام في الإعلام المعاصر): (إن الإسلام رسالة تتضمن منهجًا متكاملاً للحياة، يُعَرِّف الإنسان سبل النجاة، ويوصل بين الناس مبادئ التعاون والتكافل وسبل السلام، وهو دين يفرض على جميع أتباعه التقيد بالحق، ويأمرهم بالعدل بين الناس والإحسان إليهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ النحل: ٩٠.

هذا هو الإسلام – أيها الأخوة ـ ومن منهاجه استمدت المملكة العربية السعودية دستورها، وأقامت عليه نظامها، ولذلك فإن المملكة تجد نفسها أمام التزامات

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٤٢.

تفرض عليها الدفاع عن الإسلام ومواجهة ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من حملات ثقافية وإعلامية ظالمة، حرفت مقاصده، وألصقت به تهمًا باطلة لا صلة له بها، ومن ذلك لصق تهمة العنف والإرهاب به، وهو رسالة الله إلى الناس لتحقيق العدالة وتأصيل معاني الرحمة بين الناس، ونشر الإسلام في المجتمعات الإنسانية.

لقد أعلنت المملكة العربية السعودية إدانتها لجميع عمليات الإرهاب، منطلقة في ذلك من توجيهات الإسلام الذي يحرم قتل النفس البشرية: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ الأنعام: ١٥١، فالإسلام الذي نظم العلاقة بين الأفراد والمجتمعات حرم قتل النفس الإنسانية بلا حق، واعتبر قتل النفس جريمة تعادل في بشاعتها قتل أبناء الإنسانية كلها ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ المائدة: ٣٢.

إن المملكة إذ تدين الإرهاب أيًا كان مصدره، وتدعو إلى إزالة أسبابه، وتنقية البيئة التي ينشأ فيها، ومعاقبة مرتكبيه، وتتعاون مع المجتمع الدولي لاجتثاثه ترفض في الوقت والسياق نفسه إلصاقه بالإسلام أو المسلمين، فالإرهاب لا دين له، وتستنكر الهجمات الإعلامية المغرضة التي بدوافع غير إنسانية، من شأنها تأجيج الصراع بين الحضارات والأمم.

والمملكة العربية السعودية ترى أن من واجبها تقديم العون والدعم لكل عمل إسلامي رشيد، يهدف إلى توحيد الرأي بين المسلمين، وإخلاص عملهم لله سبحانه وتعالى وحده وأن ما تواجهه الأمة المسلمة اليوم من حملات تطاولت على دينها وعلى مقدساتها، وعلى رموزها، وعلى منهاجها، يحتاج إلى معالجة حكيمة وتعامل بصير، يعتمد على توجيه شريعة الإسلام، وهو سبيلنا في المملكة: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ [1].

(١) موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٥١ – ٢٥٤.

وجاء في كلمته – رحمه الله تعالى – أمام قمة مسقط (إن أمتنا العربية والإسلامية تضررت أبلغ الضرر بسبب تصرفات رعناء لقتلة رفعوا شعارات الإسلام، والإسلام منهم براء... وادعوا نصرة الأمة العربية والإسلامية، والأمة هي الضحية الأولى لإجرامهم وعبثهم، لذلك فواجب المسلمين جميعًا في هذه الظروف إدانة الأعمال الإرهابية كافة دون لبس أو غموض، وإدانة من يؤازرها بقول أو فعل، وأن يبينوا الفرق الشاسع والواضح بينها وبين النضال الوطني المشروع في سبيل تقرير المصير.

إن الإسلام هو دين التسامح والمحبة، والإسلام يدعو إلى أن يكون التعامل مع الآخرين بالمجادلة الحسنى لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥، بل إن الله جلت قدرته خاطب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حينما بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ طه: ٤٤.

لذلك علينا أن نتعامل مع الآخرين بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة لنعكس من خلال تصرفاتنا سلوك المسلم الحقيقي الذي قال عنه نبي الرحمة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[1].

٤- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام رحمه الله تعالى:

بين سموه تعريف الإرهاب وحرمته في الإسلام بقوله (أما نحن المسلمون فنرى أن الكلمة الإنجليزية (Terrorism) التي تعني الإرهاب الشائع في وسائل الإعلام والمقترن دائماً بالذم يجب أن تُعرف بالآتي: القيام بكل عمل يقصد به ترويع الأبرياء أو الإفساد في الأرض أو التخطيط لذلك، وهذا في رأينا تعريف شامل لكل ما حرمه الإسلام من أنواع الإرهاب سواء أكان في السلم أم في الحرب.. إلى أن قال: مما سبق يتضح لكل ذي عين بصيرة وعقل منير أن دين الإسلام يحرم الترويع

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ١/ ٢٧٧ – ٢٧٨.

والإرهاب، وأن من يفعل ذلك باسم الإسلام هو جاهل بالدين الحنيف وأن من يصم الإسلام وأهله بالإرهاب هو مفترٍ بلا شك، ومتجنٍ بلا حق؛ لأن الإسلام لا يُقرُّ ذلك، ومن اقترفه من المسلمين فهو مثل غيره ممن يفعله من أهل الديانات الأخرى)[1].

وقال سموه أيضاً موضحاً موقف المملكة من الإرهاب في الكلمة التي ألقاها بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس هيئة الأمم المتحدة (إن بلادي تمثل قلب العالم الإسلامي لكونها منبع الإسلام الذي يجعل السلام في مقدمة مبادئه السامية، كما ينبذ العنف والإرهاب، ومن هذا المنطلق يكرس الملك فهد كل جهوده لكي تستمر المملكة في أداء رسالتها تجاه قضايا السلام)[2].

٥- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية رحمه الله تعالى:

بين سموه موقف الإسلام من الإرهاب بقوله (الإرهاب نقيض للإسلام تماما حيث إن الإسلام يعظم من حياة الإنسان والإرهاب يسترخصها ويبيحها.. والإسلام يؤسس أمن المجتمعات وطمأنينتها والإرهاب يقوض ركائز الأمن وطمأنينة النفوس ولهذا كان من المهم الإقرار بأن الإرهاب لا وطن ولا عقيدة له)، وأضاف سموه قائلا (إن الإرهاب بكل صوره وأشكاله يعد حربا خطيرة على المجتمعات وخطورته تشتد من واقع كونه حربا يتحرك مجرموها في الظلام، ويهدمون أمن الناس من حيث لا يتوقعون ويستبيحون أرواحهم وأموالهم دون ذنب اقترفوه)[3]، وقال أيضاً مبيناً حقيقة الإرهاب (فالمدافع عن حق ليس إرهابياً والمحارب في مواجهة الظلم والباطل واغتصاب الحقوق ليس إرهابياً، الإرهاب في مفهومنا هو: صفة الفعل الخارج عن الشرع والقانون والمنتهك لحرمات الآخرين،

---

(١) انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، (د.ن) ط. الثانية، ١٤٢٢هـ، ص ١٣٤، ١٣٧.

(٢) مجلة المجلة، العدد (٨٢٠) في ٢٢/ ٢/ ١٤٠٧هـ.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٧٠٨٦، في ٢٣/ ٤/ ١٩٩٨م.

وهو الفعل الشيطاني الذي لا يُقره دين ولا تؤيده الأعراف ولا القيم الإنسانية. فعل يهدف إلى الإضرار بالآخر؛ لأهداف ذاتية ضيقة أو لمفاهيم جاهلة منغلقة، كما أن الإرهاب عبر التاريخ البشري لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون مرتبطاً بعقيدة أو جنسية أو وطن، فهو في كل مكان يبرز فيه الأشرار والحاقدون والجهلة ومرضى النفوس بصرف النظر عن عقائدهم أو أوطانهم.. إلى أن قال: ويلحظ أن ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية يقفون على رأس قائمة الدول الإسلامية الساعية إلى محاربة الإرهاب الذي لا يعبر عن دوافع إسلامية وإنما من منطلقات سياسية وعدوانية أفرزها الجهل بالإسلام دين السماحة والوسطية والحضارة، الذي جاء ليخرج العالم من الظلمات إلى النور لا ليعيدها إلى الظلمة وغياهب الديجور، فالإسلام دين علم وفكر وثقافة، وسلوكيات المسلم إذا انطلقت من فهم إسلامي صحيح فإنها تعكس قيماً أخلاقية رفيعة يعزُّ نظيرها بين شعوب العالم، وعلى أي حال فإن الإرهاب والإسلام نقيضان، فالإسلام يدعو إلى الحوار والسماحة والأخذ بالحسنى.. وفي الوقت نفسه فهو ليس دين ضعف وذل ومهانة واستسلام)[1].

وأوضح براءة الإسلام من الإرهاب بقوله (إن التطرف والإرهاب كلمتان يكثر استخدامهما في نشرات الأخبار، ولا تعد مشكلة الإرهاب قاصرة على دولة بعينها وإنما هي مشكلة دولية بكل معنى الكلمة، ومما يؤسف له أن تربط بعض وسائل الإعلام بين الإرهاب والإسلام، أو يتم استغلال الفزع العالمي من الإرهاب لأغراض سياسية غير مشروعة تسيء إلى الإسلام أو تشوه الأعمال المشروعة لمقاومة الاحتلال، ونحن إذ نميز بين الإرهاب الذي تجب إدانته وشجبه وبين حق الشعوب المشروع في مقاومة الاحتلال والاستعمار نؤكد أن الإسلام نقيض الإرهاب، وينبذه ويوقع أقصى العقوبات على مرتكب ذلك العمل المشين)[2].

٦- من كلمات صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية:

أوضح سموه موقف المملكة من الإرهاب في كلمة المملكة أمام الجمعية العامة

(١) ينظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ١٣٨، ١٤١.

(٢) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٣٥١- ٣٥٢.

للأمم المتحدة في دورتها السابعة والخمسين حيث قال (إن موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب كان ولا يزال واضحا وموضوعيا ومسؤولا وليس هناك غرابة في ذلك، لأن هذه الدولة قد شرفها الله بأقدس مقدسات المسلمين وجعلها موطن الرسالة السماوية السمحة والحريصة على تطبيق أحكام الدين الإسلامي الحنيف) مؤكدا التقيد بقرار مجلس الأمن رقم ١٣٧٣لعام ٢٠٠١م وموضحا أن المملكة العربية السعودية سنّت الأنظمة اللازمة لمكافحة الإرهاب الذي عانت منه، وأنها من أوائل الدول الموقعة على اتفاقيات مكافحة الإرهاب على المستويين الإقليمي والدولي.

وأوضح أيضاً موقف المملكة من الإرهاب في الكلمة التي ألقاها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٨/ ١٠/ ١٩٩٧م، حيث قال (لقد دأبت حكومة المملكة العربية السعودية على إدانة ظاهرة الإرهاب المستشرية في عالمنا الراهن في كل المناسبات والمحافل الدولية، وضمت صوتها إلى جانب كل الجهود الدولية المبذولة للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة، وقد تجلى هذا الموقف على نحو جماعي من خلال البيانات الصادرة عن مجلس التعاون لدول الخليج العربي، والتي تضمن إدانة صريحة وواضحة للإرهاب بجميع صوره وأشكاله، لآثاره الخطيرة على أمن الأفراد ومصالح الشعوب والمجتمعات. وقد جرى التأكيد في هذه البيانات على أن التطرف والعنف والإرهاب ظواهر عالمية غير مقصورة على شعب أو عرق أو ملة معينة، وبالنظر لعالمية هذه الظاهرة وشموليتها، فإن أمر التصدي لها ومكافحتها يستدعي جهوداً دولية مشتركة يكون التركيز فيها على دوافع وأسباب هذه الظاهرة والنتائج المترتبة عليها)[1].

أما جهود مشايخنا الأفاضل، فهي على نوعين:

أولاً: إصدار بيانات مشتركة، وهي كثيرة منها:

١- أصدر مجلس هيئة كبار العلماء القرار رقم ١٤٨بتاريخ ١٢/ ١/ ١٤٠٩ هـ، الذي جاء فيه (إن مجلس الهيئة وبعد وقوع عدة حوادث ذهب ضحيتها الكثير من الناس

(١) انظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب، ١٧٧ - ١٧٨.

الأبرياء وتلفت بسببها الأموال والممتلكات والمنشآت العامة قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع هذه الأعمال فقد رأى المجلس ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً. وانطلاقاً مما ذكره أهل العلم من أن أحكام الشرع إنما تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضرورات الخمس والتي هي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وما تسببه تلك الأعمال من إخلال بالأمن العام ونشوء حالة من الفوضى والاضطراب فقد قرر المجلس:

من ثبت شرعاً أنه قام بأعمال التخريب والإفساد والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن والمساجد والمدارس والمستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة كأنابيب البترول أو نسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك فإن عقوبته القتل.

يؤكد المجلس على ضرورة استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من المحاكم وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى براءة للذمة واحتياطاً للأنفس وإجراءً لما عليه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم)[1].

٢- جاء في بيان هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة في الطائف ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ إثر ما وقع من التكفير والتفجير والتخريب ما يلي:

(أولاً: التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات....

(١) انظر: خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، ص ١٠٢.

ثانياً: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطىء من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض وسلب الأموال الخاصة والعامة وتفجير المساكن والمركبات وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعاً بإجماع المسلمين لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرم انتهاكها وشدد في ذلك.....

ثالثاً: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطيء، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة....)[1].

٣- فتوى هيئة كبار العلماء في التفجيرات التي وقعت مؤخراً بالرياض:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه، أما بعد، فإن مجلس هيئة كبار العلماء في جلسته الاستثنائية المنعقدة في مدينة الرياض يوم الأربعاء ١٣/ ٣/ ١٤٢٤هـ استعرض حوادث التفجيرات التي وقعت في مدينة الرياض مساء يوم الاثنين ١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ وما حصل بسبب ذلك من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم.

(١) موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٣٠ – ٤٣٧.

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد جاءت بحفظ الضروريات الخمس وحرمت الاعتداء عليها، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل. ولا يختلف المسلمون في تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، والأنفس المعصومة في دين الإسلام إما أن تكون مسلمة فلا يجوز بحال الاعتداء على النفس المسلمة وقتلها بغير حق، ومن فعل ذلك فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب العظام، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ النساء: ٩٣.

ويقول سبحانه: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ الآية قال مجاهد رحمه الله (في الإثم)، وهذا يدل على عظم قتل النفس بغير حق.

ويقول النبي ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة) متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

ويقول النبي ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وفي سنن النسائي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم)، ونظر ابن عمر رضي الله عنهما يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال (ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك). كل هذه الأدلة وغيرها كثير تدل على عظم حرمة دم المرء المسلم وتحريم قتله لأي سبب من الأسباب، إلا ما دلت عليه النصوص الشرعية، فلا يحل لأحد أن يعتدي على مسلم بغير حق، يقول أسامة بن زيد رضي الله عنهما (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، فلما غشيناه قال لا إله إلا الله، فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ، فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله، قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن

أسلمت قبل ذلك اليوم) متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

وهذا يدل أعظم الدلالة على حرمة الدماء، فهذا رجل مشرك وهم مجاهدون في ساحة القتال لما ظفروا به وتمكنوا منه نطق بالتوحيد، فتأول أسامة رضي الله عنه قتله على أنه ما قالها إلا ليكفوا عن قتله، ولم يقبل النبي ﷺ عذره وتأويله، وهذا من أعظم ما يدل على حرمة دماء المسلمين، وعظيم جرم من يتعرض لها.

وكما أن دماء المسلمين محرمة، فإن أموالهم محرمة محترمة، بقول النبي ﷺ (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) أخرجه مسلم، وهذا الكلام قاله النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة، وأخرج البخاري ومسلم نحوه في خطبة يوم النحر.

وبما سبق يتبين تحريم قتل النفس المعصومة بغير حق، ومن الأنفس المعصومة في الإسلام أنفس المعاهدين وأهل الذمة والمستأمنين، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وان ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما) أخرجه البخاري.

ومن أدخله ولي الأمر المسلم بعقد أمان وعهد فإن نفسه وماله معصوم لا يجوز التعرض له، ومن قتله فإنه كما قال النبي ﷺ (لم يرح رائحة الجنة)، وهذا وعيد شديد لمن تعرض للمعاهدين، ومعلوم أن أهل الإسلام ذمتهم واحدة، يقول النبي ﷺ (المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم).

ولما أجارت أم هانئ رضي الله عنها رجلا مشركا عام الفتح وأراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقتله ذهبت للنبي ﷺ فأخبرته، فقال ﷺ: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) أخرجه البخاري ومسلم.

والمقصود أن من دخل بعقد أمان أو بعهد من ولي الأمر لمصلحة رآها فلا يجوز التعرض له، ولا الاعتداء لا على نفسه ولا ماله.

إذا تبين هذا فإن ما وقع في مدينة الرياض من حوادث التفجير أمر محرم لا يقره دين الإسلام، وتحريمه جاء من وجوه:

١ - أن هذا العمل اعتداء على حرمة بلاد المسلمين وترويع للآمنين فيها.

٢ – أن فيه قتلا للأنفس المعصومة في شريعة الإسلام.
٣ – أن هذا من الإفساد في الأرض.
٤ – أن فيه إتلافا للأموال المعصومة.

وإن مجلس هيئة كبار العلماء إذ يبين حكم هذا الأمر ليحذر المسلمين من الوقوع في المحرمات المهلكات، ويحذرهم من مكائد الشيطان، فإنه لا يزال بالعبد حتى يوقعه في المهالك، إما بالغلو بالدين، وإما بالجفاء عنه ومحاربته والعياذ بالله، والشيطان لا يبالي بأيهما ظفر من العبد، لأن كلا طريقي الغلو والجفاء من سبل الشيطان التي توقع صاحبها في غضب الرحمن وعذابه.

وما قام به من نفذوا هذه العمليات من قتل أنفسهم بتفجيرها فهو داخل في عموم قول النبي ﷺ (من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها أبدا) وهو في البخاري بنحوه.

ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم، واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغرا لهم فقد أعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم، وهذا من أعظم الجرم.

كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، وذلك في المدارس والجامعات وفي المساجد ووسائل الإعلام، كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي على الحق، فإن الحاجة بل الضرورة داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، وعلى شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم، وليعلموا أن مما يسعى إليه أعداء الدين الوقيعة بين شباب الأمة وعلمائها، وبينهم وبين حكامهم، حتى تضعف شوكتهم وتسهل السيطرة عليهم، فالواجب التنبه لهذا.

وقى الله الجميع كيد الأعداء، وعلى المسلمين تقوى الله في السر والعلن والتوبة الصادقة الناصحة من جميع الذنوب، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، نسأل الله أن يصلح حال المسلمين، ويجنب بلاد المسلمين كل سوء ومكروه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه).

٤- ومما يوضح موقف العلماء تلك التوصيات التي أصدرها المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء، في دورته السادسة عشرة في مكة المكرمة بعد أسبوع من البحث والنظر والمناقشات بين أعضائه وخبرائه في الموضوعات المطروحة على جدول أعماله خلال هذه الدورة وذلك في الفترة من ٢١- ٢٦ شوال ١٤٢٢هـ.

حيث أكد المجمع الفقهي الإسلامي (أن التطرف والعنف والإرهاب ليس من الإسلام في شيء، وأنها أعمال خطيرة لها أثار فاحشة، وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له، ومن تأمل مصدري الشريعة الإسلامية كتاب الله الكريم وسنة نبيه ﷺ، فلن تجد فيهما شيئًا من معاني التطرف والعنف والإرهاب، الذي يعني الاعتداء على الآخرين دون وجه حق).

وجاء فيه تعريف الإرهاب بأنه (ظاهرة عالمية، لا ينسب لدين، ولا يختص بقوم، وهو ناتج عن التطرف الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة.. وهو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه ودمه وعقله وماله وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة، وإخافة السبيل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر. فكل هذا من صور الفساد في الأرض، التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عنها في قوله: ﴿ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَّ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

القصص: ٧٧. "وقد شرع الله الجزاء الرادع للإرهاب والعدوان والفساد وعده محاربة لله ورسوله في قوله الكريم: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣. ولا توجد في أي قانون بشري عقوبة بهذه الشدة نظراً لخطورة هذا الاعتداء الذي يعد في الشريعة الإسلامية حرباً ضد حدود الله وضد خلقه.

لقد سبق الإسلام جميع القوانين في مكافحة الإرهاب، ـ وحماية المجتمعات من شروره، وفي مقدمة ذلك حفظ الإنسان، وحماية حياته وعرضه وماله ودينه وعقله، من خلال حدود واضحة منع الإسلام من تجاوزها، قال – سبحانه –: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهَّ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ البقرة: ٢٢٩. وهذا توجيه لعموم البشر.

وتحقيقًا لهذا التكريم منع الإسلام بغي الإنسان على أخيه الإنسان، وحرم كل عمل يلحق الظلم به، فقد قال الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٣٣.

وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض، ولم يحدد ذلك في ديار المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُّ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَّ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ البقرة: ٢٠٥ – ٢٠٦.

وأمر بالابتعاد عن كل ما يثير الفتن بين الناس، وحذر من مخاطر ذلك، قال – سبحانه –: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾الأنفال: ٢٥ [1].

ثانياً: الفتاوى والتوجيهات الخاصة:

١ – من توجيهات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

إجابة سماحته على سؤال لجريدة المدينة، حول جزاء من يستهدف ترويع أمن الناس

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٤٠ – ٤٥٠.

الآمنين؛ كما حدث في حادث التفجير بالرياض، الذي قام به مجرمون تسببوا في ترويع الآمنين، وقتل الأبرياء، وتخويف عباد الله جل وعلا، وهذا نصه:

(لا شك أن هذا الحادث أثيم، ومنكر عظيم، يترتب عليه فساد عظيم، وشرور كثيرة وظلم كبير، ولا شك أن هذا الحادث إنما يقوم به من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر إيمانًا صحيحًا يعمل هذا العمل الإجرامي الخبيث، الذي حصل به الضرر العظيم والفساد الكبير، إنما يفعل هذا الحادث وأشباهه نفوس خبيثة، مملوءة من الحقد والحسد والشر والفساد وعدم الإيمان بالله ورسوله، نسأل الله العافية والسلامة، ونسأل الله أن يعين ولاة الأمور على كل ما فيه العثور على هؤلاء، والانتقام منهم، لأن جريمتهم عظيمة، وفسادهم كبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف يقدم مؤمن أو مسلم على جريمة عظيمة يترتب عليها ظلم كثير، وفساد عظيم، وإزهاق نفوس، وجراحة آخرين بغير حق، كل هذا من الفساد العظيم، وجريمة عظيمة، فنسأل الله أن يعثرهم، ويسلط عليهم، ويمكن منهم ونسأل الله أن يخيبهم ويخيب أنصارهم ونسأل الله أن يوفق ولاة الأمر للعثور عليهم، والانتقام منهم، ومجازاتهم على هذا الحدث الخبيث، وهذا الإجرام العظيم.

وإني أوصي وأحرض كل من يعلم خبرًا عن هؤلاء أن يبلغ الجهات المختصة، على كل من علم عن أحوالهم وعلم عنهم أن يبلغ عنهم؛ لأن هذا من باب التعاون على دفع الإثم والعدوان وعلى سلامة الناس من الشر والإثم والعدوان، وعلى تمكين العدالة من مجازاة هؤلاء الظالمين، الذي قال الله فيهم وأشباههم سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

إذا كان من تعرض للناس بأخذ خمسة ريالات أو عشرة ريالات أو مائة ريال مفسدًا في الأرض، فكيف من يتعرض بسفك الدماء، وإهلاك الحرث والنسل، وظلم الناس، فهذه جريمة عظيمة، وفساد كبير.

التعرض للناس بأخذ أموالهم، أو في الطرقات، أو في الأسواق جريمة، ومنكر

عظيم، لكن مثل هذا التفجير ترتب عليه إزهاق نفوس، وقتل نفوس، وفساد في الأرض، وجراحة للآمنين، وتخريب بيوت ودور وسيارات، وغير ذلك، فلا شك أن هذا من أعظم الجرائم، ومن أعظم الفساد في الأرض، وأصحابه أحق بالجزاء بالقتل والتقطيع؛ بما فعلوا من جريمة عظيمة نسأل الله أن يخيب مسعاهم، وأن يعثرهم، وأن يسلط عليهم وعلى أمثالهم، وأن يكفينا شرهم وشر أمثالهم، وأن يسلط عليهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم وتدميرًا لأمثالهم، إنه جل وعلا جواد كريم.

ونسأل الله أن يوفق الدولة للعثور عليهم ومجازاتهم بما يستحقون، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

٢- من توجيهات فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى:

أجاب رحمه الله تعالى على مجموعة من الأسئلة، منها:

س: هل حقٌ أن التكفير متروك لآحاد الناس ؟

ج: ليس لأحد لا للعلماء ولا لغيرهم أن يكفروا أحدًا، ليس ذلك إلا الله ولرسوله، لكن يجب فهم النصوص على ما دلت عليه.

س: في حال الحكم بكفر شخص معين تأتي مسألة الخروج عليه إذا كان من أصحاب الشوكة أو السلطان، لأهل السنة والجماعة ضوابط حتى في هذه المسألة ـ حفظك الله ـ، ويقول بعض الناس: لنا أن نحمل السلاح؛ لأن القسم الأول متوفر، هل نحمل السلاح مباشرة، أم أن هناك خطوات أيضًا تؤخذ ؟

ج: الرسول ﷺ لم يجز منابذة الولاة إلا بشروط وقال (إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان) وهذه الشروط يصعب جدًا تحقيقها بمجرد النظرة الأولى.

لأن قوله (إلا أن تروا) أي: تعلموا، والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، فينتفي بذلك الشك أو الظن، فلا يكفي في ذلك غلبة الظن، ولا الشك المتردد بل لا بد من العلم بأنه كفر.

أي: لا بد أن يكون الشيء الذي تلبس به ولي الأمر كفرًا لا فسقًا، فالفسوق مهما كان

(١) ينظر: فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ٤٧ – ٤٩.

لا يبيح الخروج على ولاة الأمور وإن عظم.

الشرط الثالث: أن يكون بواحًا أي: ظاهرًا صريحًا لا يحتمل التأويل، هو كفر بالدلالة القطيعة من الكتاب والسنة، لا يكفي الظن ولا يكفي ما يحتمل التأويل، ولا بد من شيء بواح.

والشرط الرابع: أن يكون عندنا فيه من الله برهان أي: دليل يكون حجة لنا عند الله - عز وجل - فيما ننابذ به ولي الأمر ونخرج به عليه.

فإذا تمت هذه الشروط فلا بد من شرط آخر دلت عليه النصوص، وهو القدرة على إزالة هذا الوالي بدون سفك دماء الأبرياء، وانتهاك الأعراض واستحلال الأموال؛ لأن هذا (أعني شرط القدرة) ثابت في كل واجب من واجبات الشرع لا بد فيه من القدرة، لقول الله تعالى: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦.

وقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن: ١٦ وقول النبي ﷺ (ما نهيتكم عن فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) أما مجرد ظن الإنسان أن ما قام به ولي الأمر كفر بدون تحقق الشروط الأربعة، ثم لو تحققت الشروط الأربعة يخرج على الإمام أو ولي الأمر، وليس عنده القدرة التي تحسم الموقف بدون سفك دماء واستحلال أموال، فهذا خطأ في التصرف، والإنسان العاقل البصير يعتبر بما مضى في سلف هذه الأمة من العواقب الوخيمة التي ترتبت على الخروج على ولي الأمر، حتى مع كون الخارج ظاهره الصلاح والاستقامة؛ لأن الفوضى في المجتمع فساد عظيم يجب على المرء أن يتحاشاه ما استطاع[1].

٣-من توجيهات سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء:

في جواب سماحته - حفظه الله - على سؤال نصه:

(ما رأي سماحتكم فيما تردده وسائل الإعلام الغربية حول وجود علاقة بين التطرف والإرهاب وبين الإسلام، وكيف يمكن تبصير هؤلاء الناس بحقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ؟).

---

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٦٠٠- ٦٠٢.

قال (١ـ إن نسبة قول أو فعل إلى التطرف إنما تقبل عند محاكمته إلى معيار ثابت هو الوسط والعدل، وهذا المعيار مفقود في هذه التهمة إنما هو الأهواء والشهوات، والعداوة الدينية، والمصالح السياسية، تتجاهل الحقائق، وتبني أحكامها على تصرفات شاذة منبوذة في الإسلام نفسه، كما تبينه أصوله ومصادره وعلماؤنا المعتبرون....

وإن من أهم ما جاءت به شريعة الإسلام حفظ الضرورات الخمس وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ العقل، وقد أعلن الرسول ﷺ ذلك في أكبر تجمع للمسلمين شهده الرسول ﷺ في آخر حياته، وذلك في حجة الوداع قال (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا).

هذه هي دعوة الإسلام لمن أراد الحقيقة،اعتدال وسمو ويسر ووسطية، لا تطرف ولا غلو.

٢ـ إن الإرهاب الذي يتمثل في التفجير العشوائي، وسفك الدماء البريئة، وتخريب المنشآت، وإتلاف الأموال المعصومة، وإخافة الناس والسعي في الأرض بالفساد أمر لا يقره شرع ولا عقل سليم، وإن نسبة الإرهاب بهذه الصورة إلى الإسلام هو تهمة للإسلام بما ينافي شرائعه ويناقض أحكامه؛ ذلك أن الله تعالى قد عظم حرمة الدم المعصوم، وحرم قتل الإنسان بغير حق، وقد جاء الوعيد الشديد على من اقترف هذا الجرم، حتى حمل ذلك بعض علماء الإسلام على استثناء هذا الفعل من الذنوب التي تقبل فيها توبة المسلم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ النساء: ٩٣، وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ الإسراء: ٣٣، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً ﴾ الفرقان: ٦٨ – ٦٩.

وعظم قتل النفس، فقال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ المائدة: ٣٢

وعظم الرسول ﷺ الوعيد لمن قتل من ارتبط مع المسلمين بعهد أو ميثاق بغير المسلمين فقال (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة)، وفي حديث آخر (ألا من قتل نفسًا معاهدة لها ذمة الله و ذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله، ولا يرح رائحة الجنة)، وجاء في الحديث (لا يزال المرء في فسحة في دينه ما لم يصب دمًا حرامًا).

والسعي في الأرض بالفساد والعدوان على الناس من أقبح الصفات، وأعظم المحرمات في الإسلام، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٣٣، وقال تعالى في ذلك: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

إلى أن قال: وقد صدر من كبار علماء المملكة العربية السعودية بيان في ٦/ ٤/ ١٤١٩هـ يؤكد ما ذكرته ويعلن موقف علماء المسلمين في المملكة من هذه الأعمال الإرهابية وقد ورد فيه ما نصه: إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله وخطورة إطلاق ذلك لما يترتب عليه من الشرور والآثام فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك الدماء البريئة وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف وعقيدة فهو يحمل إثمه وجرمه فلا يحتسب على الإسلام ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة المستمسكين بحبل الله المتين وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة)[1].

(١) ينظر: حقيقة موقف الإسلام من التطرف والإرهاب ١٥١، ١٥٢.

وقال أيضاً (يجب أن يعلم الجميع دولاً وشعوباً، مسلمين وغير مسلمين أموراً:

أولها: ن هذه الأحداث التي وقعت في الولايات المتحدة وما كان من جنسها من خطف لطائرات أو تر ويع لآمنين أو قتل أنفس بغير حق ما هي إلا ضرب من الظلم والجور والبغي الذي لا تقره شريعة الإسلام بل هو محرم فيها ومن كبائر الذنوب.

ثانيها: أن المسلم المدرك لتعاليم دينه العامل بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ينأى بنفسه أن يدخل في مثل هذه الأعمال لما فيها من تعرض لسخط الله وما يترتب عليها من الضرر والفساد.

ثالثها: أن الواجب على علماء الأمة الإسلامية أن يبينوا الحق في مثل هذه الأحداث ويوضحوا للعالم أجمع شريعة الله وأن دين الإسلام لا يقر أبداً مثل هذه الأعمال.

رابعها: على وسائل الإعلام ومن يقف وراءها ممن يلصق التهم بالمسلمين ويسعى في الطعن في هذا الدين القويم ويصفه بما هو منه براء سعياً لإشاعة الفتنة وتشويه سمعة الإسلام والمسلمين وتأليب القلوب وإيغار الصدور عليه أن يكف عن غيه، وأن يعلم كل منصف عاقل يعرف تعاليم الإسلام أنه لا يمكن أن يصفه بهذه الصفات ولا أن يلصق به مثل هذه التهم، لأنه على مر التاريخ لم تعرف الأمم من المتبعين لهذا الدين الملتزمين به إلا رعاية الحقوق وعدم التعدي والظلم)[1].

٤- من توجيهات معالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء:

(إن مثل هذه الجرائم التي تقع ولا تفرق بين رضيع وامرأة ومسن ومسنة ومريض وصحيح وتأتي على المال وأهل المال تعد من الجرائم العظام والفواحش الخطيرة لأن هذا ينظر إليه في شريعة الإسلام بأنه من الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل، وهذا أمر حرمه الإسلام، حرمه الله وحرمه رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، إن من يحدث مثل هذه الجرائم يعد في نظر الإسلام من أخطر الناس جرماً وأسوؤهم عملاً، ومن يظن أن أحداً من علماء الإسلام العارفين بمقاصد شريعة الإسلام المطلعين على مقاصد القرآن وسنة المصطفى أن يجيز مثل هذه الأعمال فإنما يظن سوءاً.

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٦٣ – ٤٦٤.

إن هذا العمل الذي تعرضت له الولايات المتحدة بهذه الفظاعة والوحشية المتناهية التي هي أبعد من عمل الوحوش وأبعد من عمل ما قد يسمى جماعات إرهاب أو فصائل إجرام هو عمل بالغ الخطورة....

إن من يدعون أن الإسلام يقر مثل هذا العمل فإنما هم واهمون، إن هذه المناظر المرعبة التي شوهدت من آثار ذلك الإجرام مناظر لا يقرها عقل مسلم ولا يعتد بفعل من فعلها، ولو كان نابتاً منبتاً إسلامياً في بلد إسلامي، العبرة بما يقوله أهل العلم، والعبرة بما تقرر في أحكام الشريعة الإسلامية، وإن أمثال هذه الجرائم لهي من الجرائم الخطيرة...)[1]. **٥-من توجيهات معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء:**

إجابة فضيلته عن هذه الأسئلة:

س: القضاء على الإرهاب حديث الناس اليوم فكيف نعرف الإرهاب من منظور شرعي ؟ وما أفضل السبل للقضاء عليه ؟

ج: الإرهاب هو التخويف وترويع الآمنين من خلال التفجيرات والتخريب واختطاف الطائرات، وقطع السبل مما لا يترتب عليه مصلحة شرعية ولا نصر للدين، وهو أمر ممنوع في الإسلام لما يترتب عليه من المضار والشرور، والمشروع في الإسلام هو الجهاد في سبيل الله بضوابطه الشرعية المذكورة في كتب العقائد وكتب الفقه على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

س: هناك من يقرن الإسلام بالإرهاب ظلمًا للمسلمين، وجهلاً بالإسلام، فهل من توجيه ؟

ج: الإسلام لا يقر الإرهاب الذي لا يترتب عليه مصلحة للمسلمين ولا نصرة للدين، والمشروع إرهاب الكفار بإعداد العدة للجهاد في سبيل الله. قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال: ٦٠.

س: هناك جماعات إسلامية تدافع عن بلدانها المحتلة من قبل عدوها، وقد صنفتها

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٦٦ – ٤٦٧.

بعض الأنظمة بأنها: جهات إرهابية ما تعليق فضيلتكم على هذه التسميات ؟

ج: الدفاع عن البلد المسلم إذا داهمه العدو هو من الجهاد في سبيل الله، بشرط أن يكون هذا الدفاع تحت قيادة إسلامية، وأن يكون منضبطًا بالضوابط الشرعية المذكورة في باب الجهاد من كتب العقائد والفقه.

س: يتسرع بعض طلاب العلم في إصدار فتاوى دون نظر لما يترتب عليها من مفاسد تدفع بعض الشباب لتصرفات هوجاء فهل من توجيه لهؤلاء يا فضيلة الشيخ ؟

ج: الواجب الرجوع في الفتوى إلى الجهة المختصة بها، ولا يجوز لأحد التدخل فيها خصوصًا الفتاوى العامة التي يترتب عليها أمور مهمة والإنسان في عافية مما هو ليس من اختصاصه، ومجال الفتوى خطير؛ لأنه إخبار عن الله أنه أحل كذا أو حرم كذا أو شرع كذا؛ وكان السلف الصالح يتدافعون الفتوى لعلمهم بخطورتها، وإيثار السلامة منها، مع أنهم مؤهلون لها، والغالب في وقتنا هذا قلة العلم وفشو الجهل وقلة الورع؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

س: يوجد لدى بعض الشباب حماس واندفاع دون تأصيل شرعي، أو ارتباط بالعلماء فيترتب على ذلك من المفاسد ما الله به عليم، فضيلة الشيخ هل من توجيه لهؤلاء الشباب، وبيان لضرورة ارتباطهم بالعلماء والصدور عنهم ؟

ج: الحماس والاندفاع إذا لم يكن معهما انضباط في الأمور فإنهما يضران الفرد والمجتمع ضررًا بينًا، ويحدثان فيه انقسامات وآثاراً عكسية، والواجب على أفراد الأمة شبابًا وكبارًا أن يكلوا الأمور إلى أهلها بالرجوع إلى أهل الحل والعقد من أهل العلم وولاة الأمور؛ لأنهم أدرى بالضوابط الشرعية وما يصلح الأمة؛ ولأن هذا أبعد عن الاختلاف والانقسام قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ النساء: ٨٣.)[1].

(١) ينظر: موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب ٢/ ٤٩٣ – ٤٩٦.

المبحث الثالث

جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والتطرف

لقد بذلت المملكة الكثير من الجهود المتنوعة لمكافحة الإرهاب والتطرف على المستوى الوطني والعربي والإسلامي من سنين طويلة، ووقفت بحزم ضد المخربين والمفسدين بإيقاع العقوبات الرادعة عليهم، والقضاء على الإرهاب والإرهابيين أينما كانوا واجتثاثهم من جذورهم، وما الجهود المكثفة التي تقوم بها إلا خير دليل على ذلك، ومن أبرز تلك الجهود:

أولاً ـ فيما يتعلق بالنواحي القضائية:

اعتماد العقوبة المغلّظة للإرهاب حسب فتوى هيئة كبار العلماء في فتوى الحرابة رقم (١٤٨) لعام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م الصادرة بالطائف والتي أكدوا فيها بأن الشريعة الإسلامية

ترى الإرهاب عدواناً وبغياً وفساداً في الأرض لأنه حرب ضد الله ورسوله وخلقه استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٣.

وقد جاء في نص قرار المجلس (إن مجلس الهيئة وبعد وقوع عدة حوادث ذهب ضحيتها الكثير من الناس الأبرياء وتلفت بسببها الأموال والممتلكات والمنشآت العامة قام بها بعض ضعاف الإيمان أو فاقديه من ذوي النفوس المريضة وبما أن المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان عرضة لوقوع هذه الأعمال فقد رأى المجلس ضرورة النظر في تقرير عقوبة رادعة لمن يرتكب عملاً تخريبياً. وانطلاقاً مما ذكره أهل العلم من أن أحكام الشرع إنما تدور من حيث الجملة على وجوب حماية الضرورات الخمس والتي هي: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، وما تسببه تلك الأعمال من إخلال بالأمن العام ونشوء حالة من الفوضى والاضطراب فقد قرر المجلس:

من ثبت شرعاً أنه قام بأعمال التخريب والإفساد والاعتداء على الأنفس والممتلكات الخاصة أو العامة كنسف المساكن والمساجد والمدارس والمستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة كأنابيب البترول أو نسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك فإن عقوبته القتل.

ويؤكد المجلس على ضرورة استكمال الإجراءات الثبوتية اللازمة من المحاكم وهيئات التمييز ومجلس القضاء الأعلى براءة للذمة واحتياطاً للأنفس وإجراءً لما عليه البلاد من التقيد بكافة الإجراءات اللازمة شرعاً لثبوت الجرائم)[1].

ثانياً ـ فيما يتعلق بالنواحي الإرشادية والفكرية:

تأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف والتعصب الديني، مع تنمية الوازع الديني لدى أفراد المجتمع والاهتمام بالنشء عن طريق وسائل كثيرة منها: المحاضرات العامة والندوات والمشاركات المتنوعة وغيرها، وتتولى وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد مهمة تنسيق هذه المحاضرات والندوات في جميع أنحاء المملكة، فمن أبرز مهام هذه الوزارة: الاهتمام بطباعة كتاب الله الكريم وترجمة معانيه وتوزيعه في الداخل والخارج، وتدعم هذه الوزارة الجماعات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وتشجع الشباب والناشئة على تعلم وحفظ كتاب الله، وتعمل على إعداد واختيار الدعاة الأكفاء ونشرهم للدعوة إلى الله بالأسلوب الأمل، وتهتم كذلك بالمساجد والأوقاف الإسلامية وتوفر الأئمة والخطباء لجميع المساجد والجوامع. وتعمل كذلك على إقامة المؤتمرات والندوات التي توصل المنهج الحق وتنبذ التطرف والإرهاب.

تساهم كذلك هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نشر الخير وتحقيق مبدأ الوسطية كما جاء في نظام الهيئات في المادة التاسعة ما نصه (من أهم واجبات هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الناس ونصحهم لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية، وحمل الناس على أدائها)[2]. ولأهمية الأمر جاء في بيان لوزارة

(١) ينظر: خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، ص ١٠٢.

(٢) المادة التاسعة من نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الصادر بالمرسوم الملكي رقم(م/ ٣٧) في ٢٦/ ١٠/ ١٤٠٠هـ.

الداخلية مانصه (كما تهيب الوزارة بعلماء الشريعة والمختصين في العلوم الإنسانية والثقافة والإعلام والمواطنين كل على قدر استطاعته بالعمل على كل ما من شأنه استئصال هذا الفكر المنحرف – الفكر الإرهابي المتطرف- وتوعية المجتمع بجميع شرائحه بالمقاصد الشرعية العليا الهادفة إلى إشاعة العدل والتسامح والمحافظة على حق الإنسان في الحياة ومكافحة الغلو والتطرف والاعتداء والإجرام)[1].

ومن تلك الجهود المباركة ما تقوم به لجان المناصحة التابعة لوزارة الداخلية من دور فاعل في توجيه من وقعوا في هذا الفكر المنحرف إلى المنهج السليم منهج أهل السنو والجماعة، وقد أثمرت تلك اللجان استصلاح مجموعة من أولئك فأعلنوا توبتهم وندمهم على ما فعلوا، ليعودوا بعد ذلك أعضاء نافعين لأنفسهم ولأسرهم وبلادهم.

وتقوم الدولة من خلال مؤسساتها وأفرادها بالتصدي لتهمة إلصاق الإرهاب بالإسلام وتدافع عن الحق بشتى الوسائل، مقابل الحملات الإعلامية الباطلة ضد العرب والإسلام، فمن الواجب نشر الثقافة المعتدلة من خلال وسائل الإعلام بالأساليب المناسبة لتصل الرسالة الإعلامية الهادفة لشرائح المجتمع كافة، وتشارك الدولة أيضاً في المؤتمرات والندوات التي تسهم في مكافحة الإرهاب.

كما أنشأت المملكة مراكز ومعاهد إسلامية في مختلف أنحاء العالم هدفها نشر ديننا الحنيف بشكله وجوهره الصحيح، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام كدين اعتدال وتسامح وتآخي بعيداً عن العنف والقسوة والإرهاب وكل ما يدعو إلى ذلك. ثالثاً – فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية:

ترعى الدولة الأسرة وتهتم بها لكي تكون أساساً في صلاح الفرد وبالتالي صلاح المجتمع، وقد سبق أن من أبرز أسباب الإرهاب هو التفكك الأسري ولذا فقد جاء الباب الثالث من النظام الأساسي للحكم بعنوان (مقومات المجتمع السعودي) وجاء في المادة التاسعة منه ما نصه (الأسرة هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، واحترام

(١) نشر البيان في الصحف ومنها: صحيفة الوطن، عدد (١٢٠١) وتاريخ ٢١/ ١١/ ١٤٢٤هـ.

النظام وتنفيذه، وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد)[1]، وإدراكاً من المسؤولين بأهمية الأمر جاء في بيان لوزارة الداخلية ما نصه (تهيب الوزارة بأولياء الأمور المحافظة على أبنائهم من استغلال الجماعات الإرهابية لهم ليكونوا وقوداً لنار الجريمة والعدوان[2]، وتلتزم الدولة كذلك توثيق الأواصر الاجتماعية، الأمر الذي يقلل فرص انحراف الشباب إلى المنظمات الإرهابية، وقررت ذلك في المادة العاشرة من النظام الأساسي للحكم، فقد جاء فيها ما نصه (تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم)[3].

وفي المادة الحادية عشر ما نصه (يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله وتعاونهم على البر والتقوى والتكافل فيما بينهم وعدم تفرقهم)[4].

وتهتم الدولة بالشباب وتعمل على تسهيل الزواج لحصانته وحمايته من الانحراف وملء وقت فراغه حتى لا يصبح ضحية سهلة لمنفذي العمليات الإرهابية، وتحثه على حسن اختيار الزوجة الصالحة التي تهتم بتنشئة الطفل على الفضائل، وعدم إكراه الفتاة أو الفتى على الزواج، لأن الإكراه قد يؤدي إلى تفكك الأسرة ويصبح أبناء هذه الأسرة هم الضحية، وشجعت قيام الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي تهتم بالمساهمة في تزويج الشباب وإعانتهم بكل ما يمكن.

وتدعم الدولة الأسرة في الأحوال الخاصة وتنظم أمور الضمان الاجتماعي بما يحقق الرفاه للمواطن وأبنائه وأسرته، الأمر الذي يصونهم من الوقوع في حمأة الجريمة أو الأعمال الإرهابية، وقد جاء في النظام الأساسي للحكم في المادة السابعة والعشرين ما نصه (تكفل الدولة حق المواطن وأسرته في حالة الطوارئ والمرض والعجز، والشيخوخة وتدعم نظام الضمان الاجتماعي وتشجع المؤسسات والأفراد على الإسهام في الأعمال

(١) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم (أ/ ٩٠) وتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.
(٢) نشر البيان في الصحف ومنها: صحيفة الوطن، عدد (١٢٠١) وتاريخ ٢١/ ١١/ ١٤٢٤هـ.
(٣) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم (أ/ ٩٠) وتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.
(٤) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم(أ/ ٩٠) في ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.

الخيرية)[1].

رابعاً ـ فيما يتعلق النواحي الأمنية:

تفعيل وتقوية الأجهزة التي تعنى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد المجرمين، لأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل من مكّنه الله من الأرض من أولي الأمر، وأبرز تطبيقاتها في المملكة هي هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تؤدي دوراً في متابعة المنحرفين وتوجههم لإعادتهم إلى جادة الصواب، كما تعمل على التضييق على الجماعات المنحرفة ومنع أساليب تجنيدها وإبعاد الشباب عنها[2].

وأيضاً إنشاء أجهزة أمنية مرتبطة بوزارة الداخلية متخصصة في مكافحة الإرهاب، من مسؤولياتها التنسيق والتعاون وتبادل المعلومات مع مثيلاتها من الأجهزة على المستوى الثنائي والإقليمي والدولي، وتزويدها بأحدث التقنيات وتدريب منسوبيها بأعلى مستويات التدريب، وتطوير التنظيمات والأساليب والقوانين الخاصة بمكافحة الإرهاب.

لقد أثبتت المملكة للعالم أجمع جدّيةّ مطلقةّ، وحزماً وصرامة في مواجهة العمليات الإرهابية،

ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذت على الصعيد المحلي هو انتشار فرق الأمن ووضع نقاط تفتيش عند مداخل ومخارج بعض الطرق والأحياء لما لهذا الإجراء من فائدة كبيرة في ضبط الإرهابيين وإكساب المواطنين الراحة والشعور بالأمن لوجود الفرق الأمنية بينهم[3].

ومن الإجراءات كذلك وضع الأنظمة التي تمنع استغلال الزي العسكري وكلفت الجهات المعنية بالقيام بجولات ميدانية للتأكد من انضباط المحلات بهذه الضوابط، وكذلك وضع ضوابط مشددة لتغيير لون السيارات حتى لا يتمكن الإرهابيون من

---

(١) النظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي رقم(أ/ ٩٠) في ٢٧/ ٨/ ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: جرائم الإرهاب وتطبيقاتها المعاصرة، د. احمد بن سليمان الربيش، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ص١١١، ١٢٩.

(٣) انظر: التغطية الصحفية عن هذا في صحيفة الجزيرة، عدد (١١٤٧٠) وتاريخ ٣/ ١/ ١٤٢٥هـ.

التمويه على الجهات الأمنية[1].

وانتهجت الدولة أسلوباً فريداً في علاج ما ظهر من بعض أبنائها من أعمال إرهابية فقد طالبتهم بالتوبة والإنابة وتسليم أنفسهم وقبلت منهم عودتهم إلى الحق كما نشر التلفزيون السعودي في عدة حلقات مقابلات أجريت مع بعض أولئك العائدين إلى الحق، وقد أيد العلماء والمفكرون هذه الخطوة المباركة التي تعمل على رأب الصدع وتوحيد الأمة وعدّوا هذه المراجعات تقدماً كبيراً في مجال مكافحة الإرهاب، وكان هذا الأسلوب جمعاً بين الحل الأمني والحل الفكري لقضية الإرهاب على المستوى المحلي، والدولة بهذه السياسة الحكيمة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ قد تقدمت على كثير من دول العالم في المزج في معالجة الظواهر الإرهابية بين الحل الفكري والحل الأمني، وهي سياسة ناجحة على المدى القريب والبعيد بإذن الله[2].

(١) انظر: صحيفة عكاظ، عدد (١٣٥٩١) وتاريخ ١٧/ ٩/ ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر تحقيق صحفي في: صحيفة الوطن، عدد (١٢٥٥) وتاريخ ١٦/ ١/ ١٤٢٥هـ.

الخاتمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي بعد الفراغ من الكتابة:

- خلت المعاجم القديمة من تعريف كلمتي إرهاب وإرهابي بهذا المصطلح، وتعد كلمة (إرهاب) من الكلمات الغامضة المثيرة للجدل والنقاش، ولهذا كثر الخلاف في بيان معناها وتحديد مدلولها، ومع هذا الاختلاف في تحديد معناها فإن الجميع متفق على نبذ كل عمل تخريبي مفسد في الأرض، يدمر المنشآت والممتلكات ويزهق الأنفس ويروع الآمنين.
- التطرف والغلو والبغي والإفساد، وقد جاء بيانها وتوضيح مدلولاتها مما جاء في الكتاب والسنة وكلام أهل العلم.
- اتخذ الإسلام تجاه الإرهاب موقفًا حازمًا فحرم دم المسلم وماله وعرضه، وحرم الاعتداء على الأموال والممتلكات العامة، كما حرم الاعتداء على المستأمنين والمعاهدين وحفظ لهم حقوقهم وأمر بالتزامها، والأدلة على هذا من الكتاب والسنة كثيرة.
- لا بد من توافر جملة من العوامل والجهود لمعالجة التطرف والإرهاب، وكل يتحمل مسؤوليته تجاه هذه الظاهرة، سواء من لدن المؤسسات الرسمية أو العلماء والمفكرين أو القنوات الإعلامية أو غيرها.
- اتخذت المملكة العربية السعودية منهجًا واضحًا تجاه ظاهرة الإرهاب قديمًا وحديثًا، فهي تبذل قصارى جهدها لاستئصاله والحد منه، وذلك على جميع المستويات الداخلية والإقليمية والدولية، وسلكت في محاربته جميع الطرق والوسائل الممكنة، فوقعت الكثير من الاتفاقيات ضده بجميع أنواعه وأشكاله، وجندت جميع الأجهزة الأمنية والقضائية والعلمية وغيرها للقضاء عليه.

- تضمن البحث العديد من الكلمات والتوجيهات من قادة هذه البلاد – رحم الله أمواتهم ووفق أحياءهم لكل خير – التي تؤكد رفضها للإرهاب وإدانته وبراءة الإسلام منه، واجتهد علماؤنا ـ رحم الله أمواتهم ووفق أحياءهم لكل خير ـ في محاربة العنف والتطرف والإرهاب، والتأكيد على حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعرض والعقل والمال، كما بينوا حرمة الاعتداء على المستأمنين والمعاهدين في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم أو تخويفهم وترويعهم.
- اجتهدت المؤسسات العلمية والمجامع الفقهية والدوائر البحثية في دراسة ظاهرة الإرهاب والتطرف، فبينت أسباب نشأته وعوامل انتشاره وطرحت الكثير من الحلول والطرق للقضاء عليه واجتثاثه من جذوره واستئصاله، عبر دراسات ميدانية وبحوث عليمة، مقدمة في كثير من المؤتمرات والندوات وغيرها.

ثبت المصادر والمراجع

- الإرهاب والعنف السياسي – أحمد جلال – كتاب الحرية – العدد ١٠ – دار الحرية – رجب ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- الاشتقاق – ابن دريد – تحقيق عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩١م
- تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الزبيدي – تحقيق عبد العزيز مطر – دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.
- الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق أحمد البردوني – دار الفكر – بيروت – بدون.
- جرائم الإرهاب وتطبيقاتها المعاصرة – أحمد سليمان الربيش – أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ـ الرياض ١٤٢٤ هـ.
- حقيقة موقف الإسلام من الإرهاب والتطرف – سليمان الحقيل – الثانية – ١٤٢٢هـ.
- خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية – مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين – غيناء للنشر – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٤ هـ.
- الرائد معجم لغوي عصري – مسعود جبران – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٦٧ م.
- السنن الكبرى – أحمد بن الحسين البيهقي – دار المعرفة – بيروت – بدون.
- شرح النووي على صحيح مسلم – أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – دار الفكر – بيروت.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) – إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة – محمد حسين القحطاني – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ترقم محمد فؤاد عبد الباقي – إشراف الشيخ عبد العزيز بن باز – دار الفكر – بيروت – بدون.
- القاموس المحيط – مجد الدين الفيروز آبادي – دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – دار صادر – بيروت – بدون.
- مجلة البحوث الإسلامية – العدد ٥٦ – والعدد ٢٤.
- مجلة المجلة – العدد ٨٢٠ ٢٢ / ٢/ ١٤٠٧ هـ.
- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٧٢ م.
- المملكة العربية السعودية ومكافحة الإرهاب من وراء أحداث (١١) سبتمبر – الأولى ١٤٢٣ هـ.
- موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب – دراسة شرعية علمية وثائقية – سليمان أبا الخيل – الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

الثورات على الأنظمة الحاكمة

حكمها وأحكامها دراسة عقدية

د. أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمان

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة حائل

رئيس إدارة الأمن الفكري

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى أكمل لنا الدين، كما قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإسلام دِيناً ﴾[1]، وفي حديث أبي ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكرنا منه علما... الحديث"[2]، فكل ما يستجد في زماننا أو الأزمنة القادمة، فلا بد أن يكون حكمه موجودا في الكتاب والسنة؛ لأن القرآن الكريم تبيان لكل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]، ولما أشكل على الناس أداء العبادات، كالصلاة والصوم في الأماكن القطبية، التي يكون فيها الليل ستة أشهر، كان حديث النبي ﷺ في الدجال جوابا عن تلك المسألة، ففي الصحيح عن عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا" قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال: "أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم "قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: "لا، اقدروا له قدره...الحديث"[4].

---

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم ١٦٤٧.

(٣) سورة النحل: ٨٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٢٩٣٧.

أهمية البحث وسبب اختياره:

في زماننا هذا تحدث كثير من الناس في وسائل الإعلام عما يسمونه (الثورات والربيع العربي)، فتكلم السياسيون والحركيون وأصحاب المصالح؛ فتساءل كثير من الناس عن هذه الثورات، هل لها حكم في الشريعة، أم أنها أمر سياسي ودنيوي يرجع إلى أعراف الناس ورغباتهم، الأمر الذي جعل الظهور الإعلامي للكلام في هذه المسألة لغير علماء الشريعة.

والجواب عن هذا التساؤل: أن الشريعة الإسلامية تحدثت عن كل شيء، حتى أحكام البول والغائط، ففي الصحيح عن سلمان رضي الله عنه قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة قال: فقال: أجل" لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"[1].

ومحال أن تتحدث عن ذلك، وتترك الكلام عن الدماء التي تحصل بسبب تلك الثورات.

من هنا رأيت أهمية المشاركة ببحث عقدي عن هذا الموضوع، بعنوان: الثورات على الأنظمة، حكمها وأحكامها دراسة عقدية)، وذلك للمشاركة في المحور الثالث من مؤتمر"واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف"، والذي سيقام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

منهج البحث:

تمت معالجة هذا الموضوع في ضوء منهجي البحث التاليين:

١- المنهج الوصفي: ويعني بدراسة حاضر الظواهر والأحداث...ويرتبط بدراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية... ويقوم المنهج الوصفي على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية أو نوعية في فترة زمنية معينة أو عدة فترات، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحديث من حيث المحتوى

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم ٢٦٢.

والمضمون، والوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره... وتتلخص أساليب المنهج الوصفي في: أ. أسلوب المسح، ودراسة الحالة. وتحليل المحتوى[1].

٢- المنهج التحليلي: ويعتمد هذا الأسلوب البحثي على (تحليل عينات معينة من زاوية محددة، ومن ثمّ البحث فيها عن سمات معينة، ونسبة كل سمة فيها)[2].

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة مطابقة، لكن هناك دراسات حول بعض موضوعات الإمامة والخروج ومنها:

١- الخوارج تاريخهم وآراءهم العقدية وموقف الإسلام منهم للدكتور غالب العواجي.

٢- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام للدكتور ناصر العقل.

٣- تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين للدكتور فهد الفهيد.

أما في قضية الإمامة فمن الدراسات السابقة في هذا الصدد ما يلي:

١- مفهوم الجماعة والإمامة ووجوب لزومهما وحرمة الخروج عليهما في ضوء الكتاب والسنة للدكتور سليمان عبد الله ابا الخيل.

٢- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدكتور عبدالله الدميجي.

الهدف من البحث:

تناول قضية الثورات في العصر الحديث، وأسبابها، ووسائلها، وحكم ذلك، والرد على الشبهات المثارة، وبيان الطرق الشرعية التي يسلكها المسلم في زمان الفتن.

خطة البحث:

وقد تضمن البحث مقدمة، وستة مباحث:

---

(١) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، د. ربحي عليان، عثمان غنيم، ص٤٣، ٤٤ بتصرف. الأردن: دار صفاء، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٢)

http://www.ed-uni.net/ed/showthread.php?t=%D9%A1%D9%A2%D9%A3%D9%A7%D9%A

- أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع، والجهة التي قُدّم لها الموضوع.
- المبحث الأول: تعريف الثورات في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الثاني: أسباب الثورات ووسائلها، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: أسباب الثورات.
  - المطلب الثاني: وسائل الثورات.
- المبحث الثالث: دراسة لبعض الثورات القديمة.
- المبحث الرابع: حكم الثورات.
- المبحث الخامس: شبهات حول الثورات والجواب عليها.
- المبحث السادس: الطرق الشرعية في مواجهة استبداد الحكام الظلمة، وفيه خمسة مطالب:
  - المطلب الأول: الاستكانة والتضرع.
  - المطلب الثاني: المناصحة الشرعية.
  - المطلب الثالث: بذل الجهد في إصلاح الرعية.
  - المطلب الرابع: الصبر على جور الأئمة.
  - المطلب الخامس: عدم منازعة الأمر أهله.

وحرصت في هذا البحث على التأصيل الشرعي، والتمسك بالدليل، والعمق والمناقشة، والاستيعاب لتجلية هذا الموضوع المهم، والله أسأل أن ينفع به، إنه على كل شيء قدير.

المبحث الأول
تعريف الثورات في اللغة والاصطلاح

الثورة في اللغة:

قال الأزهري: الثائر: «الغضبان، يقال: ثار ثائره، وفار فائرُه: إذا غضب»[1].

وقال ابن منظور: «ثار الشيء ثوراً وثوراناً وتثوَّر: هاج، ويقال انتظر حتى تسكن هذه الثورة، وهي الهيج»[2]. وقال الفيروز آبادي: «الثور الهيجان، والوثب والسطوع والثائر: الغَضِبُ»[3].

وكما هو ظاهر، فإنها بمعنى واحد، واختلافها من اختلاف التنوع لا التضاد، وتعني الهيجان.

الثورة اصطلاحاً:

الثورة من الألفاظ التي لم ترد في الشريعة، لكنها وردت في كلام بعض العلماء بمعنى القتال والخروج، ومن ذلكابن قتيبة[4]- رحمه الله - في كلام له طويل: «... وذكروا أن أبا جعفر لما قتل أبا مسلم، واستولى على ملك العراقيين والشام، والحجاز، وخراسان، ومصر واليمن، ثار عليه عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد...»[5]، فقوله: ثار عليه، أي خرج عليه. وقال -أيضاً- في قتال أهل دمشق

---

(١) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، أبواب الثلاثي المعتل من الثاء (١١/ ١١٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥، مادة (ثور). (١/ ٧٢٠).

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧، مادة (ثور). ص٣٢٤.

(٤) هو أبو محمد بن عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ولد في بغداد عام: ٢١٣هـ، أديب فقيه محدث مؤرخ عربي، له العديد من المصنفات أشهره عيون الأخبار، وأدب الكاتب وغيرها، وكان عالما باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعي. توفي سنة ٢٧٦هـ. سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦).

(٥) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ص٣١٠.

للوليد بن يزيد[1]: «... ثم ارتحل الوليد بن يزيد ومعه خدمه وشرطته، وتواعد أهل اليمن أن يثوروا إذا صلَّوا العتمة في المسجد...»[2]. فقوله: أن يثوروا، أي يخرجوا.

ومن خلال هذه النقول، وما هو شائع في زماننا؛ فإن المقصود بالثورات في هذا البحث هو الخروج على الحاكم، بقصد تغيير النظام، أو الوصول إلى السلطة، ونحو ذلك من الغايات.

ولهذا اللفظ، أعني "الثورات" مصطلحات شرعية مرادفة، ومنها:

أولاً: الخروج: وهو «الذي يخرج عن طاعة ولي الأمر، ويفارق الجماعة» كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[3]. وقال ابن كثير[4]–رحمه الله-: «الخوارج هم قوم خرجوا على علي ابن أبي طالب»[5].

وقال الحافظ ابن حجر[6]–رحمه الله-:«أما الخوارج فهم جمع خارجة،أي طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك: لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين»[7].

---

(١) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الخليفة أبو العباس الدمشقي الأموي، ولد سنة تسعين. وقيل غير ذلك، توفي أبوه وهو ابن نيف عشرة سنة، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبد الملك، فلما مات هشام، سلمت إليه الخلافة، مات الوليد وعمره ٣٨ سنة، ومدة حكمه قصيرة لم تدم أكثر من سنة واحدة، توفي عام ١٢٦هـ. سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٧٠).

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة ص٢٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦ه، (١٨/ ١٠).

(٤) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي، ولد في سوريا سنة ٧٠٠ه، عالم مسلم، وفقيه، ومفت، ومحدث، وحافظ، ومفسر ومؤرخ، وعالم بالرجال، وله نظم، له مؤلفات منها البداية والنهاية وتفسير ابن كثير، توفي ابن كثير يوم الخميس ٢٦شعبان ٧٧٤ه في دمشق عن أربع وسبعين سنة. انظر: إنباء الغمر بأبناء العمر (١/ ٣٩).

(٥) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي والشيخ عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٨ه، (٩/ ٢٠٤).

(٦) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة سنة: (٨٥٢)، انظر/ الأعلام للزركلي (١/ ١٧٨).

(٧) فتح الباري، للحافظ ابن حجر، تحقيق: محب الدين وآخرون، دار الريان للتراث ودار المطبعة السلفية، ط٣، ١٤٠٧هـ، (١٢/ ٢٨٣).

وقال ابن عثيمين[1] -رحمه الله- في تعريف الخوارج: «وهم الذين خرجوا لقتال علي ابن أبي طالب بسبب التحكيم»[2].

ومما يدل على أن المقصود بالخروج الخروج على إمام المسلمين، الأدلة الآتية:

الدليل الأول: قول النبي ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»[3].

الدليل الثاني: قول النبي ﷺ: «أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه»[4]، فقوله: (خرج)، أي خرج على إمام المسلمين وجماعتهم.

الدليل الثالث: قول النبي ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو لعصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لكل ذي عهد عهده فليس مني ولست منه»[5].

فقوله: (خرج من الطاعة)، أي: طاعة إمام المسلمين.

ثانياً: المنابذة:

وهي المخالفة والمقاتلة، تقول نابذتهم الحرب، كاشفتهم إياها ولا جاهرتهم بها[6].

فالمنابذة من المعاني المرادفة للثورة، ولفظ "المنابذة" ورد في عدة أدلة منها:

---

(١) محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، أستاذ في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء، ولد في عنيزة بمنطقة القصيم، وامتاز الشيخ بالعلم الغزير، والفهم الواضح للدين، عقيدة وشريعة، والأسلوب الجيد في العرض واتباع الحكمة في أسلوب الدعوة، توفي سنة ١٤٢١هـ. نقلاً عن الموسوعة العربية العالمية.

(٢) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، شرح ابن عثيمين، أضواء السلف، ط٣، ١٤١٥هـ، ص١٦٢.

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٦/ ٢١)، برقم: (١٨٤٩).

(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب: تحريم الدم، باب: قتل من فارق الجماعة (٧/ ٩٣)، برقم: (٤٠٢٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(٥) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (٦/ ٢١)، برقم: (١٨٤٨).

(٦) المصباح المنير، للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ص٥٩٠.

١- قوله -تعالى-: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[١]، قال أبو جعفر في تفسيره: «فانبذ إليهم أي فناجزهم بالحرب»[٢].

٢- وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قال: قلنا يا رسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»[٣]، ومعنى "أفلا ننابذهم": أي، نقاتلهم ونخرج عليهم، ونطرح عهدهم.

ثالثاً: البغي:

البغي: وهو التجاوز، والفئة الباغية: هي التي تجاوزت واعتدت، وخرجت على إمام المسلمين"[٤].

والبغاة هم المعتدون في خروجهم على الإمام، وإن كان بتأول سائغ، والأصل فيه قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٥].

قال الموفق ابن قدامة[٦] -رحمه الله- في تعريف البغاة: «قوم من أهل الحق، يخرجون عن قبضة الإمام، ويرومون خلعه لتأويل سائغ، وفيهم منعة يحتاج في

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٥٨.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان (١٤/ ٢٥).

(٣) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارها (٦/ ٢٤)، برقم: (١٨٥٥).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٧٨).

(٥) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٦) هو ابن قدامة الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب «المغني» مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في شعبان، حفظ القرآن، ولزم الاشتغال من صغره، وكتب الخط المليح، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم، وتوفي يوم الفطر سنة ٦٢٠هـ في دمشق. سير أعلام النبلاء(٢٢/ ١٦٦).

كفهم إلى جمع الجيش، فهؤلاء هم البغاة»[1].

وقال الشوكاني»[2]-رحمه الله-: «الباغي هو من طاعة الإمام التي أوجبها الله على عباده، ويقدح عليه في القيام بمصالح المسلمين ودفع مفاسدهم من غير بصيرة ولا على وجه المناصحة، فإن انضم إلى ذلك المحاربة له، فقد تم البغي»[3].

ولفظ البغي وردت فيه نصوص شرعية، منها: قوله -تعالى-: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[4].

قال الطبري - رحمه الله- في تفسير قوله -تعالى- أي: فإن أبت إحدى الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له وعليه، وتعدت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله»[5].

قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر ﷺ: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية»[6].

وبهذا يتضح أن البغي اعتداء وخروج، وهو مرادف لمعنى الثورة على الحكام.

رابعاً: المنازعة:

والمنازعة هي مقاومة السلطان، المؤدي للخروج عليه، ولهذا جاء حديث عبادة: "وألا ننازع الأمر أهله"[7].

قال ابن حجر -رحمه الله-: «وأن لا ننازع الأمر أهله» أي: الملك والإمارة، زاد أحمد

---

(١) المغني، لابن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٢/ ٢٤٢).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة: ١٢٢٩ه، ومات حاكما بها سنة: ١٢٥٠هـ، وكان يرى تحريم التقليد. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(٣) السيل الجرار، للشوكاني، دار ابن حزم، ط١، (٤/ ٥٥٦).

(٤) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٥) تفسير الطبري، جامع البيان، للطبري (٢٢/ ٢٩٢).

(٦) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب التعاون في بناء المسجد (١/ ٩٧)، برقم: (٤٤٧).

(٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٦/ ١٧)، برقم: (١٧٠٩).

من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: وإن رأيت أن لك – أي وأن اعتقدت أن لك- في الأمر حقاً فلا تعمل بذلك الظن بل أسمع وأطع»[1].

وقال شيخنا ابن عثيمين–رحمه الله- في معنى قوله ﷺ: «وألا ننازع الأمر أهله»: «يعني: لا ننازع ولاة الأمور ما ولاهم الله علينا، لنأخذ الإمرة منهم، فإن هذه المنازعة توجب شراً كثيراً، وفتناً عظيمة، وتفرقاً بين المسلمين»[2].

ومن النصوص الشرعية التي جاء فيها لفظ المنازعة والنزاع ما يلي:

١- قال الله –تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾[3].

قال أبو جعفر الطبري –رحمه الله-:«يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا اختلفتم –أيها المؤمنون- في شيء من أمر دينكم، أنتم فيما بينكم أو أنتم وأولوا أمركم فاشتجرتم فيه فردوه إلى الله، يعني بذلك فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم – أنتم بينكم أو أنتم وأولوا أمركم – فيه من عند الله».. يعني بذلك من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم»[4].

وتنازع القوم: اختلفوا، وقال –تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[5]، قال أبو جعفر في تفسير هذه الآية: «ولا تنازعوا، أي ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم»[6].

٢- وقال عبادة ابن الصامت ﷺ: «دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع

---

(١) فتح الباري، للحافظ ابن حجر (١٣/ ٨).

(٢) ينظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار مدار الوطن، مؤسسة ابن عثيمين، ١٤٢٦هـ، (٢/ ٤٢١).

(٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، للطبري (٨/ ٥٠٤).

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٦) المرجع السابق (١٣/ ٥٧٥).

الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[1].

قال النووي[2] منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم»[3].

فالنزاع سبب للفتن والشر، وإذا كان النزاع مع الحكام، فهو الخروج ومقدماته، وبهذا يتضح أن المنازعة من مرادفات مصطلح الثورة.

تسويغ الخروج برفع مصطلحات شرعية:

وبعض الثائرين والخوارج يريدون أن يُسوّغوا خروجهم فيسمونه بمصطلحات شرعية، لترويج ذلك على الجهال، فمن ذلك:

أولاً: الجهاد:

والواقع أن مصطلح الجهاد لا علاقة له بالثورات، ويتضح ذلك من بيان معنى الجهاد، فنقول:

الجهاد في اللغة: معناه المشقة، يقال: جهدت أي بلغت المشقة[4].

وهو في الشرع: بذلك الجهد في قتال الكفار، ويطلق على معان أخرى كمجاهدة النفس والشيطان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٦/ ١٧)، برقم: (١٧٠٩).

(٢) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة النووي، الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا، شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السالفين ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى توفي رحمه الله ليلة الأربعاء، الثلث الأخير من الليل، رابع وعشرين رجب، سنة ست وسبعين وست مئة بنوى. طبقات الشافعية (٨/ ٣٩٥). وانظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين ص٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي، راجعه الشيخ خليل الميس، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، (١٢/ ٢٢٩).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٣٣).

والعصيان»[1].

والمراد هنا: بذل الجهد في قتال الكفار والمنافقين ومن في حكمهم.

والجهاد هو سنام الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[2].

قال أبو جعفر الطبري –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: «أي: يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف، وكان قتادة يقول: في تفسير هذه الآية، أي: أن الله أمر نبيه أن يقاتل الكفار بالسيف»[3].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾[4]، قيل: عني به جهاد الكفار، وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل من نهى الله عنه"[5].

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ ﴾[6].

قال القرطبي رحمه الله أي ومن جاهد في الدين وصبر على قتال الكفار، وأعمال الطاعات، فإنما يسعى لنفسه أي ثواب ذلك كله له[7].

وعن عمر بن عنبسة أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: وما الجهاد؟ قال: "أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم"، قال: أي الجهاد أفضل؟ قال: " من عقر جواده وأُهريق دمه"[8].

فكما ترى، الجهاد الشرعي هو قتال لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون تحت ولاية وراية إمام المسلمين، بينما الثورات هي قتال للمسلمين، أو لغيرهم دون إذن إمام

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/ ١٩١).

(٢) سورة التوبة، آية ٧٣.

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، للطبري (٢٣/ ٤٩٦).

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١٢/ ٩٩).

(٦) سورة العنكبوت، آية:٦.

(٧) المرجع السابق (١٣/ ٣٢٧).

(٨) مسند الإمام أحمد، تخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ (٥/ ١٨٧)، برقم: (١٧٠٢٧).

المسلمين، وإنما يفتاتون عليه.

بل إن الخوارج وأهل الثورات يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، فكيف يكون ذلك جهادا؟!

ثانيا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا عند المعتزلة وأتباع ابن سبأ، الذين يخرجون على ولاة الأمور، ويسمون ذلك أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، ولهذا من أصول المعتزلة الخمسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقصدون به الخروج على الحكام.

كما أن ابن سبأ قال لأتباعه: "أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والطعن في أمرائكم تستميلوا قلوب العامة".

فكان من نتيجة ذلك قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، قتلوه تحت غطاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثاني
أسباب الثورات ووسائلها

المطلب الأول: أسباب الثورات:

أولا: الأسباب الدينية:

لكل نتائج مقدمات سبقتها، فإن كانت مقدمات صحيحة كانت النتائج صحيحة، وإن كانت خاطئة كانت النتائج خاطئة، ومن ذلك الثورات، فإنها تستند على مقدمات ومسوغات وأسباب غير صحيحة، فكان من نتائجها القتل وسفك الدماء، ومخالفة النصوص الشرعية، ومن تلك الأسباب ما يلي:

١ـ توهم كفر الحكام:

فيتوهمون ما ليس بكفر كفرا، فيبنوا على ذلك خروجهم، فالخوارج في زمن الصحابة توهموا أن التحكيم كفر بالله، وليس الأمر كذلك، وهكذا عامة أهل الضلال، يضعون قواعد مبتدعة وأفكارا ضالة، ثم يضللون من لم يوافقهم عليها.

٢ـ الخلل في منهج الاستدلال:

وقد أشار إلى ذلك ابن عمر، كما في صحيح البخاري، حيث قال في الخوارج: " انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين"[1].

٣ـ اتباع المتشابه من الوقائع التاريخية لبعض من خرج من أهل الفضل والعبادة:

وقد أخبرنا الله تعالى أن الذي في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه، فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[2].

وأما الراسخون في العلم، فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم، ومعلوم أن الحوادث

---

(١) رواه البخاري في صحيحه-تعليقاً- في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ووصله الحافظ ابن حجر كما في" تغليق التعليق" (٥/ ٢٥٩)، وقال: إسناده صحيح.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

التاريخية ليست دليلا شرعيا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع وإنما الحجة النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية، لا بأقوال بعض العلماء، فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية، لا يحتج بها على الأدلة الشرعية"[1].

وقال أيضاً: " ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين"[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله: " أما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظافرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق...."[3].

٤ـ كيد الأعداء للإسلام وأهله:

هذه الثورات هي ربيع الكفار، يُذْكونها، ويشجعون عليها؛ لأنهم المستفيدون منها، فالقاتل مسلم، والمقتول مسلم، ولا يرون المسلمين إلا فخارا يكسر بعضه بعضا، وبالتالي يضعفون وتذهب ريحهم، وتُقسم بلادهم، وتؤكل خيراتهم، ولهذا فهم يستأجرون أهل الإعلام؛ ليحسنوا الثورات عن طريق المطالبات بالإصلاح، ودفع الظلم، والمناداة بالحقوق، ليكره الناس ولاتهم، فيتقتتلون.

وقد كان عدو الإسلام والمسلمين عبد الله بن سبأ هذا ديدنه.

قال الآجري[4]: " فهكذا عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام، وأظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصار له أصحاب في الأمصار، ثم أظهر الطعن على الامراء، ثم أظهر

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٦/ ٢٠٢).

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/ ٥٢٩).

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ٢٢٩).

(٤) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثا، كان صالحا عابدا، وروى عن أبي مسلم الكجي وأبي شعيب الحراني وأحمد بن يحيى الحلواني والمفضل بن محمد الجندي، وخلق كثير من أقرانهم. كان ثقة صدوقا دينا، وله تصانيف كثيرة. حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة، ثم انتقل إلى مكة فسكنها، وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم ابو نعيم الأصبهاني. توفي بمكة بها أول يوم من المحرم سنة ستين وثلثمائة. وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٣.

الطعن على عثمان ﷺ ثم طعن على أبي بكر وعمر ﷺ، ثم أظهر أنه يتولى علياً ﷺ "[1].

ثانياً: الأسباب الدنيوية:

١ـ حب الظهور والحكم:

فالثوار يريدون الدنيا، والعلو في الأرض، وأما طاعة الله فلم يمنعوا منها، يدل على ذلك أنه "أتى رجل من الخوارج إلى الحسن البصري[2] فقال له: ما تقول في الخوارج، قال الحسن البصري: هم أصحاب دنيا، قال ومن أين قلت أنهم أصحاب دنيا، والواحد يمشي بين الرماح حتى تنكسر فيه، ويخرج من أهله وماله وولده، قال الحسن: حدثني عن السلطان، هل منعك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج والعمرة؟ قال: لا، فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها"[3].

٢ـ الحقد على الحاكم والخلافات الشخصية:

من الناس من يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، وهذا نقص في إيمانهم، فالله له الحكمة البالغة، يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء، لكن أصحاب القلوب المريضة لا يرون أن فلانا يستحق ما آتاه الله فيحسدونه، فإن كان حاكما خرجوا عليه، وقد بين الآجري أحد الأسباب التي حملت اليهودي عبد الله بن سبأ على إيقاع الفتنة بين المسلمين ودفعهم للخروج هو الحسد، فقال: "... فحمله الحسد للنبي ﷺ ولصحابته وللإسلام، فانغمس في المسلمين كما انغمس ملك اليهود بولس بن شاؤول في النصارى حتى أضلهم وفرقهم فرقاً وصاروا أحزاباً، فلما تمكن فيهم البلاء والكفر تركهم..."[4].

٣ـ الطمع المادي والرغبة بالثراء:

---

(١) الشريعة، للآجري، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ (ص٥٩٧).

(٢) الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ الزاهد العابد سيد زمانه إمام أهل البصرة، بل إمام أهل العصر، ولد بالمدينة سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه... وتوفي ليلة الجمعة سنة عشر ومائة وعمره تسع وثمانون سنة وقيل ست وتسعون سنة. الوافي بالوفيات ١٢/ ١٩١.

(٣) البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي: تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ (١/ ١٥٦).

(٤) الشريعة، للآجري(ص٥٩٧).

وهذا هو أصل خروج الخوارج، فرأسهم ذو الخويصرة التميمي، إنما خرج على الرسول ﷺ من أجل الطمع المادي حيث قال: " اعدل فإنك لم تعدل"[1].

٤ـ اجتماع الشهوة والشبهة واتباع الهوى:

وهذه ظلمات بعضها فوق بعض، ما اجتمعت في أحد إلا أهلكته.

قال ابن بطة[2] رحمه الله: "أعاذنا الله وإياكم من الآراء المخترعة، والأهواء المتبعة، والمذاهب المبتدعة، فإن أهلها خرجوا من اجتماع إلى شتات، وعن نظام إلى تفرق، وعن أنس إلى وحشة، وعن محبة إلى بغضة، وعن نصيحة وموالاة، إلى غش ومعاداة، وعصمنا وإياكم من الانتماء إلى كل اسم يخالف الإسلام والسنة"[3].

المطلب الثاني: وسائل الثورات:

يعلم محبو الثورات والشغب أن قيامها لا يتحقق إلا بوسائل ومقدمات، تهيج الناس وتثيرهم، فمن تلك الوسائل:

أولاً: التحريض على المنابر وفي وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي – كالتويتر والفيسبوك ـ والمنشورات والاجتماعات السرية:

وهذا المسلك هو طريقة الخوارج وأصحاب الثورات، يدل على هذا فعل ابن سبأ، حيث حرّض الناس وهيّجهم باسم الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد استشعر بعض من انطلت عليهم حيل هذا الخبيث ابن سبأ، وظنوا أنه مصلح، والواقع أنه مفسد، فكانوا يرون أن عدّ مساوئ أمير المؤمنين عثمان بن عفان في المجالس ونحوها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين(٤/ ٩١)، برقم: (٣١٣٨)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم (٣/ ١٠٩)، برقم: (١٠٦٣).

(٢) الإمام القدوة العابد المحدث، شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى" في ثلاث مجلدات. روى عن أبي القاسم البغوي، وابن صاعد، وأبي ذر بن الباغندي، وأبي بكر بن زياد النيسابوري، وغيرهم حدث عنه: أبو الفتح بن أبي الفوارس، وأبو نعيم الأصبهاني، وعبيد الله الأزهري، وغيرهم. قال عن نفسه: ولدتُ سنة أربع وثلاثمائة. وتوفي رحمه الله سنة سبع وثمانية وثلاثمائة. سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٦٥.

(٣) الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١/ ٣٨٨).

إعانة على دمه، فعن هلال بن أبي حميد قال: سمعت عبد الله بن عكيم يقول: لا أُعين على دم خليفةً أبداً بعد عثمان، فقيل له: يا أبا معبد أوَ أعنت على دمه؟ فقال: إني أعد ذكر مساوئه عوناً على دمه..."[1].

ثانياً: العصيان المدني:

لا يعرف المسلمون العصيان المدني، وإنما ذلك من أساليب الكفار، يتخذونه للضغط على الحكومات، فسار أهل الثورات على سننهم، القذة حذو القذة، ثم تطور الأمر إلى محاولة إسقاط الحاكم، الذي هو خروج عليه.

ثالثاً: المظاهرات:

المظاهرات، وهذه أيضا ليست من سيرة أهل الإسلام، وإنما هي أسلوب غربي لإنكار ما يرونه منكرا، وقد أبدلنا الله نحن المسلمين بخير من ذلك، وهو المناصحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، بعيدا عن الصخب والضجيج الذي دأب عليه أهل المظاهرات، لمنازعة الحكام، أو لمضايقة المسلمين في عباداتهم كالحج ونحوه.

قال الشيخ ابن باز[2] رحمه الله: "... أما القيام بالمسيرات والمظاهرات في موسم الحج في مكة المكرمة أو غيرها لإعلان البراءة من المشركين فذلك بدعة لا أصل لها، ويترتب عليه فساد كبير وشر عظيم، فالواجب على كل من يفعله تركه، والواجب على الدولة وفقها الله منعه لكونه بدعة لا أساس لها في الشرع لما يترتب على ذلك من أنواع الفساد والشر ..."[3].

رابعاً: الاغتيالات:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف، مكتبة الرشد، الرياض، (٦/ ٣٦٢).

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن باز عالم وفقيه سعودي، والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد منذ عام ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ثم أصبح مفتياً عاماً، ولد بالرياض، في أسرة يغلب على كثير من فضلائها طلب العلم، وكان بصيراً في أول الدراسة ثم أصابة المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره، وهو أحد العلماء الذين وهبوا حياتهم كلها خدمة للإسلام، توفي رحمه الله يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ. نقلاً عن الموسوعة العربية العالمية.

(٣) مجموع فتاوي الشيخ ابن باز، لابن باز، أشرف على جمعة وطبعه: محمد الشويعر (١٨/ ٤٣٠).

"الاغتيال مصطلح يستعمل لوصف عملية قتل منظمة ومتعمدة تستهدف شخصية مهمة، ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة أسباب عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصاً معيناً يعتبره منظمو عملية الاغتيال عائقاً في طريق انتشار أوسع لأفكارهم أو أهدافهم، ويتراوح حجم الجهة المنظمة لعملية الاغتيال من شخص واحد فقط إلى مؤسسات عملاقة وحكومات"[1].

وهي من أساليب الكفار ومن يتبعهم من الثوار والخوارج، الذين يستهينون بالدماء، من أجل الوصول إلى الكرسي؛ لأنهم يرون هذه الوسيلة أقرب الوسائل للتخلص من الحكام، وأما الإثم وما أعده الله تعالى لمن سعى في الأرض فسادا، وسفك الدماء، فلا يقيمون له وزنا.

خامسا: التفجيرات:

التفجيرات التي ينفذها الخارجون على الحكام من أخطر الوسائل، لأنها لا تفرق بين البشر والحجر، وتأتي على كل شيء، وراح ضحيتها الكثير من الأبرياء، وسببت التأخير لكثير من البلدان، وأعاقت كثيراً من أعمال الخير، لأنها مخالفة لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

لكن الثائرين من الخوارج لا يلتفتون إلى النصوص الشرعية، وإنما يلجئون إلى هذه التفجيرات من أجل الضغط على الحاكم للتنحي عن منصبه، وقد يصل الأمر لتفجير موكب الحاكم، أو أماكن عمله، ويقوم بذلك إما بنفسه عن طريق زرع المتفجرات بجسده، أو التفجير بالسيارات المفخخة، أو زراعة المتفجرات بالأماكن الحيوية.

(١) انظر: الموسوعة: الحرة(ويكبيديا) على الرابط التالي: (Http://ar.wikipedia.org/wiki.

المبحث الثالث

دراسة لبعض الثورات القديمة

ما من طائفة خرجت على ولاتها إلا حصل لها من الشر أضعاف أضعاف ما قالت أنها ستنيله، وهذا أمر معلوم في التاريخ القديم والحديث، فمن القديم:

أولاً: الثورة على عثمان بن عفان رضي الله عنه:

الشعار الذي رفعه الثوار ضد عثمان رضي الله عنه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحفظ بيت المال، والواقع أنهم أحدثوا المنكر، وسرقوا بيت المال، وقتلوا أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وانفتح الشر الذي لا يزال الناس في آثاره: قال ابن كثير في سرده لقصة هؤلاء الثوار الخوارج: "ثم مال هؤلاء الفجرة على ما في البيت فنهبوه وذلك أنه نادى مناديهم: أيحل لنا دمه ولا يحل لنا ماله؟ فانتهبوه..."[1]. وذكر أيضاً موقفهم من بيت مال المسلمين فقال: "... ثم تنادى القوم أن أدركوا بيت المال لا تُسبقوا إليه، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا: النجاء النجاء! فإن هؤلاء القوم لم يَصْدقوا فيما قالوا من أن قصدهم قيام الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله، وكذبوا؛ إنما قصدهم الدنيا، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيئاً كثيراً جداً"[2]. وأول الخوارج ذو الخويصرة: إنما خرج على النبي ﷺ من أجل المال، وقال: اعدل فإنك لم تعدل.

ثانياً: الثورة على علي رضي الله عنه **وخروج الخوارج:**

دأب الخوارج على التعالم، واحتقار العلماء، ولهذا اتهموا عليا بعدم الفهم، والوقوع بالكفر، بسبب مسألة التحكيم.

قال الطبري في ذكر بعض الأسباب التي أدت بالخوارج للخروج: "... وجعل علي رضي الله عنه يمشي بين القتلى منهم ويقول بؤساً لكم لقد ضركم من غركم، فقالوا يا أمير المؤمنين

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، توثيق: على محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٠/ ٣١٦).

(٢) المرجع السابق (١٠/ ٣١٦).

ومن غرهم؟ قال: الشيطان وأنفس بالسوء أمارة غرتهم بالأماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم أنهم ظاهرون.. "[1]؛ فكان من نتائج ثورتهم قتل الآلاف، واستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثالثاً: ثورة ابن الأشعث:

ابن الأشعث[2] عبد الرحمن بن محمد الكندي، كان قائداً عسكرياً أموياً من أهل الكوفة وأشرافها، وصاحب أعنف الثورات ضد الدولة الأموية، استطاع أن يضم عدداً كبيراً من البلدان لصالح الدولة الأموية، وشارك في قتال المختار الثقفي[3].

ومسلم بن عقيل[4].

وكان إعجاب ابن الأشعث بنفسه، كما هو دأب الثوار والخوارج، أدى به غلى هذه الثورة التي استباحت خلقا من الدماء المعصومة، وقُتل هو أيضا، وقد كان كتب للحجاج معطبا بنفسه: "فإن الله أنهضني لمصاولتك، وبعثني لمناضلتك، حين تحيرت أمورك وتهتكت ستورك.."[5]، وكانت نتائج هذه الثورة وخيمة.

---

(١) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري (٥/ ٨٨).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. بعثه الحجاج على سجستان، فثار هناك وأقبل في جمع كبير، وقام معه علماء لما انتهك الحجاج من إماتة وقت الصلاة، ولجوره وجبروته. فقاتله الحجاج، وجرى بينهما عدة مصافات، وينتصر ابن الأشعث. ودام الحرب أشهرا، وقتل خلق من الفريقين وفي آخر الأمر انهزم جمع ابن الأشعث وفر هو إلى الملك رتبيل ملتجئا إليه، وقتل سنة أربع وثمانين. سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٢.

(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي، الكذاب، كان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، قد أسلم في حياة النبي -ﷺ-، ولم نعلم له صحبة. استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تنسب وقعة جسر أبي عبيد. ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين، وقتل سنة سبع وستين. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٦.

(٤) مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم: تابعي، من ذوي الرأي والعلم والشجاعة، انتدبه الحسين ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه، فرحل مسلم إلى الكوفة فأخذ بيعة ١٨٠٠٠ من أهلها وكتب للحسين بذلك، فشعر به عبيد الله بن زياد فطلبه، فمنعه الناس، ثم تفرقوا عنه، فأوى إلى دار امرأة من كندة فأخفته، ولم يلبث أن قبض عليه ابن زياد وقتله. الأعلام، للزركلي(٧/ ٢٢٢).

(٥) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري (٢/ ٢٠٩).

روى ابن سعد: عن حمّاد بن زيد[1] قال: " ذكر لأيوب السختياني[2] القرّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، فقال: لا أعلم أحداً منهم قتل إلا وقد رغِب عن مصرعه ولا نجا أحداً منهم إلا حَمِدَ الله الذي سلّمَه، وَنَدم على ما كان منه، وقال ابن عوْن: لما وقعت الفتنة زَمَنَ ابن الأشعث خَفَّ مسلِم[3] فيهّا، وأبطأَ الحسن – يعني: البصري –، فارتفع الحسن، واتَّضع مسْلم"[4].

قال الحافظُ ابن حجر: "وخرج عليه ابن الأشعث ومعه أكثر الفقهاء والقراء من أهل البصرة وغيرها، فحاربه حتى قتله، وتتبع من كان معه، فعرضهم على السيف؛ فمن أقرَّ له أنه كَفَر بخروجه عليه أطلقه، ومن امتنع قتله صبراً، حتى قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كلُّ أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وأخرج الترمذيُ من طريق هشام بن حسان: أحصينا من قتله الحجاج صبراً، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً..."[5].

وكان لشخصية ابن الأشعث التي تتصف بالغرور والتعالي والترف والاعتداد بالذات أثراً بالغاً في مواقفه السياسية، وخروجه على الحاكم، ونكثه للبيعة، قال رحمه الله: " له أبهة في نفسه، وكان جميلاً بهياً منطقياً، مع ما كان له من التقدم والشرف، فازدهاه ذلك وملأه كِبراً وفخراً وتطاولاً.."[6].

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو إسماعيل البصري الأزرق مولى آل جرير بن حازم، قال ابن مهدي: لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد، كان ثقة ثبتاً حجة كثير الحديث، مات في رمضان سنة: (١٧٩). تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر(٣/ ٩-١١).

(٢) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر البصري مولى عنزة ويقال مولى جهينة، رأى أنس بن مالك، وكان شديد الاتباع للسنة، ففيها ثقة ثبتاً في الحديث جامعاً كثير العلم حجة عدلاً، مات سنة: (١٣١هـ)، وهو ابن ثلاث وستين سنة: انظر: تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر(١/ ٣٩٧) وما بعدها.

(٣) مسلم بن يسار، أبو عبد الله البصري، القدوة، الفقيه الزاهد، مولى بني أمية، روى عن عبادة بن الصامت، ولم يلقه، وعن ابن عباس وابن عمر، حدث عنه محمد بن سيرين وقتادة وثابت البناني وأيوب السختياني ومحمد بن واسع، توفي سنة مائة، وقيل إحدى ومائة. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠ وما بعدها.

(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/ ١٤٠).

(٥) تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر (٢/ ٢١١)، في ترجمة الحجاج، وانظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤/ ٣٠٦-٣٠٧)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٢/ ٣٣٧).

(٦) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري (٢/ ٢٠٨).

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في ذكر سبب خروج ابن الأشعث على الحجاج: "... وفي سنة ثمانين للهجرة توجه عبد الرحمن إلى سجستان، بعد إبادة جيش عبيد الله بن أبي بكرة[1] من قبل الترك، وغزا عبد الرحمن بلاد الترك، فعرض صاحبهم أن يدفع الخراج للمسلمين، فلم يجبه عبد الرحمن حتى ضم من بلادهم جزءاً كبيراً، وتوقف بسبب دخول موسم الشتاء، وبعث الحجاج برسالة إلى عبد الرحمن ينهاه عن التوقف، وهدده بعزله وتعيين أخاه إسحاق بن محمد أميراً على الناس، فتشاور عبد الرحمن مع جنده، وقال أنه لا ينقض رأياً رآه بالأمس، ووافقه عامر الكناني، ودعوا إلى خلع من سموه بـ (عدو الله) الحجاج، فكانت تلك بداية واحدة من أعنف الثورات وأشدها على الدولة الأموية"[2].

وقال أيضاً: "واستمر خروج ابن الأشعث قرابة الأربع سنين، وخاض بضعاً وثمانين معركة مع الحجاج وجيوشه، كلها كانت لصالح عبد الرحمن إلى أن هُزم في دير الجماجم، فهرب عبد الرحمن إلى بلاد الترك، هو وعبيد بن أبي سبيع التميمي، فأرسل الحجاج عمارة بن تميم اللخمي[3]، يطلب عبد الرحمن، فعندما أدرك الكندي أنه سيسلم إلى اللخمي، آثر الانتحار على أن يسلم للحجاج، وذلك في سنة خمس وثمانين للهجرة"[4].

قال ابن تيمية رحمه الله في الذين خرجوا: " وغاية هؤلاء، إما أن يُغلبوا، وإما أن يَغلبوا، ثم يزول ملكهم، فلا تكون لهم عاقبة"[5].

---

(١) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، الأمير، من أبناء الصحابة ولي سجستان، ولد في سنة أربع عشرة، كان جوادا شجاعا كبير القدر، روى عن أبيه وعن علي، وروى عنه سعيد بن جهمان، ومحمد بن سيرين. توفي بسجستان سنة تسع وسبعين. سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٨.

(٢) انظر: تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري (٦/ ٣٢٥-٣٢٩).

(٣) عمارة بن تميم اللخمي ويقال القتي وفد على عبد الملك مع الحجاج بن يوسف وولاه فلسطين وكان من عقلاء العرب وولي سجستان للحجاج، وله أخبار مع الحجاج. انظر ترجمته في " تاريخ دمشق، لابن عساكر (٤٣/ ٣٠٢) ترجمة رقم (٥١٢٩).

(٤) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري (٦/ ٣٣٥).

(٥) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/ ٥٢٧).

رابعاً: ثورة يزيد بن المهلب[1]:

ثار يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بن عبد الملك[2]، وخلعه وقام بحربه والخروج وتأليب العامة عليه، وانضم إليه خلق كثير في هذه الفتنة العظيمة، التي كان من أسبابها الغرور والاعتداد بالنفس، والمطامع الدنيوية، والرغبة بالحكم والخلافة، والانتقام من بيت الخلافة المتمثل بآل مروان، والجهل في الدين حيث صور حرب ولاة الأمر أنه أعظم ثواباً من قتال الكفار.

قال أبو جعفر رحمه الله: "... لحق يزيد بن المهلب بالبصرة، فغلب عليها، وأخذ عامل يزيد ابن عبد الملك عليها عدي بن أرطاة الفزاري[3]، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك"[4].

وقال أيضاً رحمه الله: "... أن يزيد لما استجمع له البصرة، قام فيهم فحمد الله واثنى عليه، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ويحث على الجهاد، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم"[5].

وكان موقف أهل العلم مخالفاً لما يقوم به ابن المهلب، فقد كان الحسن البصري رحمه الله يدعو الناس لعدم الخروج، ونبذ الفرقة.

---

(١) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأمير، أبو خالد الأزدي، ولي المشرق بعد أبيه، ثم ولي البصرة لسليمان بن عبد الملك، ثم عزله عمر بن عبد العزيز بعدي بن أرطاة، وطلبه عمر، وسجنه، روى عنه: ابنه؛ عبد الرحمن، وأبو إسحاق السبيعي، وُ زمن معاوية، سنة ثلاث وخمسين، دعا عليه الحسن البصري وسماه عدوَّ الله، وقال الذهبي: قتل عن تسع وأربعين سنة، ولقد قاتل قتالا عظيما، وتفللت جموعه، فما زال يحمل بنفسه في الألوف لا لجهاد، بل شجاعة وحمية، حتى ذاق حمامه – نعوذ بالله من هذه القتلة الجاهلية. سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٣ وما بعدها.

(٢) يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي. استخلف بعهد عقده له أخوه سليمان بعد عمر بن عبد العزيز، ولد سنة إحدى وسبعين، وكان أبيض، جسيما، جميلا، مدور الوجه، لم يتكهل، وتوفي سنة خمس ومائة. سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٢.

(٣) عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي، أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو بن عبسة وأبي أمامة الباهلي، قال الدارقطني يحتج بحديثه، وقتله معاوية بن يزيد وجماعة صبرا سنة اثنتين ومائة، وروى له مسلم والأربعة. الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ١٩/ ٣٤٨.

(٤) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري(٦/ ٥٥٧).

(٥) المرجع السابق (٦/ ٥٨٧).

قال الطبري رحمه الله: " وكان الحسن البصري يثبط الناس عن يزيد بن المهلب، وكان يقول في تلك الأيام: أيها الناس، الزموا رجالكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله مولاكم، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض، إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفي والمعروف التقي، فمن كان منكم خفياً فليزم الحق، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً؛ وكفى له بها من الدنيا خلفاً؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك، فواهًا لهذا! ما أسعده وأرشده واعظم أجره وأهدى سبيله! فهذا غداً – يعني يوم القيامة – القرير عيناً، الكريم عند الله مآباً"[1].

ولكن الخوارج كما هو حالهم دائماً، يصمُّون آذانهم عن الحق، ويردُّونه بالباطل، ويشرعنون لما يقومون به، ويتطاولون على العلماء الربانيين، ويتهمونهم بنواياهم، بل ويؤذونهم، ويمضون لإنفاذ باطلهم، ويتسابقون للموت فيه، ويدعون أنه حق لهم والحقيقة غير ذلك.

قال الطبري رحمه الله: " فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب[2] قام خطيباً كما يقوم، فأمر الناس بالجد والاحتشاد، ثم قال لهم: لقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي – ولم يسمه – يثبط الناس، والله لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل يرعف أنفه، أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا، وأن ننكر مظلمتنا! أما والله ليكفن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط الأبلي[3]، وعلوج[4] فرات البصرة – قوماً ليسوا من أنفسنا، ولا ممن

---

(١) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري(٦/ ٥٩٤).

(٢) مروان بن المهلب بن أبي صفرة: شجاع، خطيب، من أشراف العرب، خرج بالعراق مع أخيه(يزيد) حين خلع طاعة بني مروان، وكانت وقائعُ قُتل في آخرها سنة: (١٠٢هـ). الأعلام، لخير الدين الزركلي (٧/ ٢٠٩).

(٣) الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمي في زاوية الخليج الذي يدخل مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي(١/ ٧٧).

(٤) العلوج: جمع علج ويطلق على الحمار السمين القوي، وعلى الرجل الكافر من العجم. انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص ١٩٩) مادة: (علج).

جرت عليه النعمة من أحد منها – أو لأنحين عليه مبرداً خشناً"[1].

فلما بلغ ذلك الحسن قال: والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه، فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه! آمركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا، ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب"[2].

وكانت نتيجة هذه الثورة هي مقتل يزيد بن المهلب، بعدما تفرق عنه من كان معه من الجيش، ومن نتائجها أيضاً تكبد المسلمين خسائر بالأرواح، وضعف المسلمين، وتسلط عدوهم عليهم.

قال أبو جعفر رحمه الله: " وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره، حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب، فعطف عليه خيول أهل الشام، وعلى أصحابه،

فقتل يزيد بن المهلب، وقتل معه السميدع[3]، وقتل معه محمد بن المهلب"[4].

---

(١) تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري(٦/ ٥٩٤).

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) السميدع الكندي من بني مالك بن ربيعة من ساكني عُمان يرى رأي الخوارج. انظر: تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري(٦/ ٥٩٤).

(٤) المرجع السابق (٦/ ٥٩٧).

المبحث الرابع
حـــكم الثـــورات

عرفنا المقصود بالثورات، وهو الخروج على الحكام، وحكم الخروج على الحكام منكر دلت عليه الأدلة الشرعية، وبين ذلك العلماء في كتب الاعتقاد، ونظرا لأن بعض الثورات الحديثة لا يلحقها بعض الناس بالخروج من أجل أنها ثورات، وقالوا: لم يُشر أهل العلم المعاصرون إلى الثورة، ولم يتكلموا عن حكمها، لهذا فسأذكر أقوال العلماء المعاصرين، وهي موافقة لما عليه أهل العلم قديما.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وأن لا يتَّخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن مَلْءَ القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا مَلْءُ القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها، فإذا حاول أحد أن يقلّل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر ضاع الشرع والأمن، لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلم الأمراء تمرَوا على كلامهم، وحصل الشر والفساد، فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، أن يعرف العواقب، وليعلم أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة"[1].

وقال رحمه الله: هؤلاء الذين نعتبرهم سفاء، خرجوا على ولاة الأمور لمجرد أنهم رأوهم فَسَقَةً! فماذا حصل؟! حصل من الشر والفساد ما هو أعظم مما كان عليه هؤلاء الولاة، اقرأ التاريخ، من حين حصل الاختلاف على الأئمة إلى يومنا هذا، تجد الشرور والفساد كله في الخروج على ولاة الأمور.

ماذا حصل من مقتل عثمان رضي الله عنه ؟

(١) نقلاً عن رسالة: حقوق الراعي والرعية، من مجموع خطب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (ص٢٩-٣٠).

ومِن قتل علي بن أبي طالب ﷺ ؟

ومِن قتل من قُتل من بقية الخلفاء؟

حصل الشر والفساد، حتى أولئك السفهاء الذين خرجوا على ولاتهم، واستحلوا كراسيهم، وسموها ثورة وما أشبه ذلك، ماذا حصل منهم ؟ هل أصلحوا الوضع؟ أبداً، بل إن المتأمل يجد أن الوضع الذي كان في السابق خير مما هو عليه الآن، كل ذلك بسبب الخروج عن طاعة الله ورسوله، فلو أن هؤلاء أطاعوا الله ورسوله في الصبر على ولاة الأمور، وطاعتهم في غير معصية الله، لرأوا خيراً كثيراً، حتى لو رأيتهم يعصون الله في أمور فأطاعهم، فطاعتك إياهم خير لك، وإثمهم على أنفسهم، وإن قالوا: لا تتكلم، فلا تتكلم، وانصحهم فيما بينك وبينهم إن تمكنت، وإلا فأمرهم إلى الله.

يُذكر أن بعض الخلفاء من بني أمية سمع كلاماً من بعض الناس، قال: لِمَ لا يكون هذا الخليفة مثل عمر بن الخطاب، مثل علي بن أبي طالب، مثل كذا، مثل كذا؟ فجمع الناس والوجهاء، وقال: أنتم تريدون أن أكون لكم مثل عمر بن الخطاب؟ قالوا: نعم. قال: كونوا مثل الناس زمن عمر بن الخطاب، أكون لكم مثل عمر بن الخطاب! فخصمهم.

وهذا من حكمة الله، كما تكونون يُولى عليكم، وليس من الحكمة أن يأتي واحد مثل عمر بن الخطاب لقوم بينهم وبين وصف عمر بن الخطاب مثلما بين المشرق والمغرب.

جاء رجل من الخوارج إلى علي بن أبي طالب، وقال: يا علي: لِمَ راح الناس عنك، ولم يقبلوا عليك ويلتفوا حولك، كما التفوا حول أبي بكر وعمر؟ قال: لأن رجال أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورجالي أنت وأمثالك! فخصمه.

فالولاة الآن عليك أن تسأل الله لهم العافية والهداية، فيما حصل لهم من المخالفات، ولكن لا تُثر الناس عليهم، لأنه لا يفيد أبداً،بل ما يزيد الأمر إلا شدة، قال ابن القيم وغيره: يُولى على الناس من كان مثلهم.

ولو رجعنا إلى هؤلاء الذين يريدون من حكامهم أن يكونوا مثل الخلفاء الراشدين، لوجدنا عندهم من البغي والحقد الشيء الكثير! بل إن هؤلاء لو تأملت أحوالهم لوجدت غاية ما عندهم أن ينالوا المنصب فقط! ولا تجد منهم التقوى الحقيقية، والإنابة، والرجوع

إلى الله جل وعلا، بل هم متساهلون في كثير من هذه الأشياء، ويريدون أن يصلوا إلى المناصب فقط، وهذا أمر مشهور عمن اشتهر بمحبة الخروج على الأمة، وأن الغالب منهم أنهم يريدون الوصول إلى الكرسي، وهذا هو الواقع، ولا حاجة بنا إلى أن نضع النقط على الحروف، ونقول: مثل كذا وكذا، فهذا أمر معلوم.

كانوا في الأول قاموا على من قاموا عليه يريدون أن يمكّنوا حكم الله في الأرض، فصاروا شبه الأول.

فالسياسة الشرعية هي أن نمشي على ما في كتاب الله وسنة رسوله، اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك، ومن رأى من أميره ما يكره فليصبر إن لم يأمر بمعصية، لو قال للناس: تعالوا،اضربوا على العود، غنوا، وارقصوا، قلنا: لا سمع ولا طاعة، أو قال: اظلموا الناس، وكُلوا أموالهم، واضربوا أبشارهم، ما أطعناهم في ذلك، لأن هذا معصية لله جل وعلا"[1].

وقال أيضاً رحمه الله في إجابة على سؤال طُرح عليه حول الثورات: " هات لي أي ثورة من الثورات، صار الناس فيها أصلح من قبل، تستطيع؟ ما تستطيع أبداً، انظر إلى المصالح والمفاسد، الأمة الإسلامية قبل أن تختلف كانت مهيبة، يهابها الناس من كل جانب، ونُصِروا بالرعب مسيرة شهر، ولما تفرقوا صار بعضهم يقتل بعضاً، يعني انشغلوا بقتل بعضهم بعضاً عن قتال الكفار، أنا ما أقول وأدعي باني الحاكم على المصالح أو المفاسد، أنا أقول انظر للواقع"[2].

وقال فضيلة الشيخ صالح الفوزان[3] - حفظه الله -: " الثورات على الحكام لا تأتي بخير، وإنما يحصل بها الفوضى، وسفك الدماء، وتخريب الممتلكات، ومقدرات الدولة، كما هو الواقع المشاهد، بخلاف مناصحة الحكام، ودعوتهم إلى الله تعالى، ولهذا فإن الرسل

(١) التعليق على القواعد الحسان، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٣١هـ (ص ١٧١-١٧٤).

(٢) انظر: شرح كتاب الصيام من كتاب الكافي (صوتي) شريط رقم: (٢)، الوجه الأول.

(٣) فضيلة الشيخ د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، من آل فوزان، عضو اللجنة الدائمة وعضو هيئة كبار العلماء، ولد عام ١٣٦٣هـ وهو عضو في المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو في لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، نقلاً عن: موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

– عليهم الصلاة والسلام–، والمصلحين، ما كانوا يثورون على الحكام، وإنما كانوا يناصحونهم، كما هو موقف إبراهيم مع النمرود، وموقف موسى مع فرعون، فإذا لم يستجيب الحكام، فإن الرسل وأتباعهم يصبرون على مواصلة الدعوة، وفي النهاية تكون العاقبة لهم، وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، وأما مصادمة الحكام فإنها لا تجر إلا شراً أعظم من الصبر على أذاهم حتى يأتي الفرج"[2].

(١) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٢) من الأسئلة التي عرضت على الشيخ الفوزان، نقلاً عن تطبيق (فتاوى العلماء في الثورات).

المبحث الخامس
شبهات حول الثورات، والجواب عليها

أهل الثورات يعلمون أنه متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون، وليس لهم أدلة من كتاب الله ولا من سنة رسول الله، فصاروا يعمدون إلى وقائع تاريخية لها سياقات معنة، ندم أصحابها أن دخلوا فيها، و من ذلك:

الشبهة الأولى: استدلال الخوارج بخروج الحسين بن علي رضي الله عنه:

وهذا ما يحتج به الثوار، لا سيما في العصر الحاضر، وعند النظر في هذا الاستدلال، نرى أن الحجة هي في الدليل الشرعي، لا في الحوادث التاريخية، التي يُحتج لها ولا يُحتج بها.

ولهذا نقول هذه الشبهة باطلة من عدة أوجه:

الوجه الأول: ورود الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ والتي تمنع الخروج على ولي الأمر ولو كان عاصياً فاسقاً ومن هذه الأحاديث:

عن ابن عباس رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة فمات، فميتة جاهلية"[1].

وعن أسيد بن حضير رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: " إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[2].

الوجه الثاني: مخالفة الصحابة للحسين رضي الله عنه في خروجه، ومحاولتهم منعه من الخروج.

وحاول منعه كثير من الصحابة ونصحوه بعدم الخروج مثل ابن عباس وابن عمر

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ" سترون بعدي أموراً تنكونها" (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٦/ ٢١)، برقم: (١٨٤٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجزية، باب: ما أقطع النبي ﷺ من البحرين (٤/ ٩٨)، برقم: (٣١٦٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام (٣/ ١٠٥)، بقم: (١٠٦١).

وابن الزبير وأبي سعيد الخدري وابن عمرو وأخيه محمد بن الحنفية وغيرهم فهذا أبو سعيد الخدري يقول له: يا أبا عبد الله إني لك ناصح وإني عليكم مشفق قد بلغني أن قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم فلا تخرج إليهم فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: والله قد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني وما يكون منهم وفاء قط ومن فاز بهم بالسهم الأخيب والله ما لهم من نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف"[1].

وقال ابن عمر ﷺ للحسين ﷺ: " إني محدثك حديثاً: إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بَضْعَةٌ منه والله ما يليها أحد منكم أبداً وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه وبكى وقال: استودعك الله من قتيل"[2].

وروى سفيان بسند صحيح عن ابن عباس ﷺ أنه قال للحسين في ذلك " لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي من رأسك، فلم أتركك تذهب"[3].

وقال عبد الله بن الزبير له: " أين تذهب؟ إلى قوم قتلوا أباك وطعنوا أخاك"[4]، وقال عبد الله ابن عمرو بن العاص ﷺ: " عجّل الحسين قدره، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني"[5].

وقال ابن الأثير[6] رحمه الله عن خروج الحسين ﷺ: " فأتاه كتب أهل الكوفة وهو بمكة، فتجهز للمسير، فنهاه جماعة، منهم: أخوه محمد ابن الحنفية وابن عمر وابن عباس

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر، تهذيب: ابن بدران، المكتبة العربية، دمشق، ط١، ١٩١١م (٤/ ٣٢٩).

(٢) الشريعة، للآجري (ص ٦٧٩).

(٣) المعجم الكبير، للطبراني (٣/ ١١٩)، برقم: (٢٨٥٩)، وأخبار مكة، للفاكهي (٢/ ٢٤٦)، برقم: (١٤٨٧)، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٨/ ١٧٢).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٧٧)، برقم: (٣٧٣٦٤)، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٨/ ١٧٤).

(٥) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٨/ ١٧٣).

(٦) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد، نجم الدين ابن الأثير الحلبي الأصل، القاهري: من كتّاب الإنشاء بمصر، وممن كان يحضر(دار العدل) بين يدي السلطان، توفي سنة: (٧٣٧هـ). انظر: الأعلام للزركلي(١/ ٩٧).

وغيرهم"[1].

الوجه الثالث: أن الإجماع استقر على منع الخروج على الحاكم، إلا في حالة الكفر الصريح فقط:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين"[2].

والوجه الرابع: خروج الحسين ﷺ فتنة ولا يصح الاستدلال بالفتنة كما هو معلوم.

والوجه الخامس: أن خروج الحسين ﷺ لم يكن فيه تفريق للجماعة بل قد صح عنه أنه لما كثرت عليه المكاتبات من أهل العراق، وطلبهم منه أن يلحق بهم ليبايعوه، فأجابهم لذلك فلما قدم عليهم ورأى أنهم قد خذلوه قال لأمير جيش عبيد الله بن زياد وكان هو: عمر بن سعد: " يا عمر! اختر مني إحدى ثلاث، إما أن تتركني أرجع، أو فسيرني إلى يزيد، فأضع يدي في يده، فإن أبيت فسيرني إلى الترك، فأجاهد حتى أموت"[3] فأبوا إلا قتاله ﷺ !

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان ذلك: " فإنه ﷺ لم يفرق الجماعة، ولم يُقتل إلا وهو طالب للرجوع إلى: بلده، أو إلى الثغر، أو إلى يزيد، داخلاً في الجماعة، معرضاً عن تفريق الأمة"[4].

فالاستدلال بخروج الحسين ﷺ غير صحيح، لأمور منها: أنه خالفه جمع من الصحابة ﷺ، وأن الحسين ﷺ لما رأى أن الأمر سيؤول إلى فتنة وتفريق للأمة، رجع عن الأمر، مع مخالفة الاستدلال بفعل الحسين ﷺ للنصوص الثابتة في طاعة ولاة الأمر الظلمة والنهي عن الخروج عليهم.

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، ط١ (٢/ ٢٨).

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية(٤/ ٥٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٣/ ٣١١).

(٤) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/ ٣٥٣).

الشبهة الثانية: يعتبر الخوارج تعدد الولاة والحكام وتعدد الدول سبباً لنزع الطاعة، وأنه لا تصح البيعة إلا لإمام واحد على جميع الأقطار الإسلامية:

والجواب عن ذلك:

أن المسلمين من زمن الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولم يقل أحد من العلماء أن الإمامة لا تصح إلا بالإمام الأعظم على جميع الأقطار الإسلامية.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: " والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد، والباقون نوابه، فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك – لمعصية من بعضها، وعجز من الباقين – فكان لها عدة أئمة، لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود، ويستوفي الحقوق"[1].

وقال الإمام الشوكاني بعد إشارة إلى واقع المسلمين في عهد النبوة وعصر الخلفاء بعده في الوحدة واتحاد الكلمة: "إن الصحابة لما مات رسول الله ﷺ قدموا أمر الإمامة ومبايعة الإمام على كل شيء، حتى إنهم اشتغلوا بذلك عن تجهيزه ﷺ، ثم لما مات أبو بكر عهِد إلى عمر، ثم عهِد عمر

إلى النفر المعروفين، ثم لما قتل عثمان بايعوا علياً، وبعده الحسن ثم استمر المسلمون على هذه الطريقة حيث كان السلطان واحداً، وأمر الأمة مجتمعاً ثم لما اتسعت أقطار الإسلام، ووقع الاختلاف بين أهله واستولى على كل قطر من الأقطار سلطان: اتفق أهله على أنه إذا مات بادروا بنصب من يقوم مقامه"[2]. ثم قال رحمه الله رداً على من لم يجوز تعدد الأئمة في الأمصار:

"وأما بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته وتباعد أطرافه فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان، وفي القطر الآخر أو الأقطار كذلك، ولا ينفذ لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي رجعت إلى ولايته، فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر، فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته وبايعه أهله كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب، ولا تجب على

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٤/ ١٧٥-١٧٦).

(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأنوار، للشوكاني(ص٩٣٦).

أهل القطر الآخر طاعته ولا الدخول تحت ولايته لتباعد الأقطار، فإنه قد لا يبلغ إلى ما تباعد منها خبر إمامها أو سلطانها ولا يدرى من قام منهم أو مات فالتكليف بالطاعة والحال هذه تكليف بما لا يطاق، وهذا معلوم لكل من له اطلاع على أحوال العباد والبلاد فإن أهل الصين والهند لا يدرون بمن له الولاية في أرض المغرب فضلاً عن أن يتمكنوا من طاعته وهكذا العكس، وكذلك أهل ما وراء النهر لا يدرون بمن له الولاية في اليمين وهكذا العكس، فاعرف هذا فإنه المناسب للقواعد الشرعية والمطابق لما تدل عليه الأدلة ودع عنك ما يقال في مخالفته، فإن الفرق بين ما كانت عليه الولاية الإسلامية في أول الإسلام وما هي عليه الآن أوضح من شمس النهار ومن أنكر هذا فهو مباهت، لا يستحق أن يخاطب بالحجة لأنه لا يعقلها"[1].

وقال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من

العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم"[2].

(١) المرجع السابق (ص٩٤١).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٧/ ٢٣٩).

المبحث السادس

الطرق الشرعية في مواجهة استبداد الحكام الظلمة

تمهيـــد:

يتـوهم كثـير مـن النـاس أن الثـورات عـلى الحكـام، والانقلابـات والمعارضـات والمظـاهرات ونحوهـا، هـي الوسـيلة المجديـة لحـل المشاكل، وتغيـير الأنظمـة المستبدة، ومعالجة جور الأئمة، وليس الأمر كذلك، وإنما الطريق للخلاص مـن جـور الحكـام، هـو اتبـاع النـصوص الـشرعية، التـي تـأمر بإصـلاح الـنفس أولاً، والتوبـة إلى الله والرجـوع والإنابة حتى يغير الله ما بهم من سوء.

قال ابن تيمية رحمه الله: " إن مصير الأمر إلى الملـوك، ونـوابهم مـن الـولاة، والقـضاة، والأمراء ليس لنقص فيهم فقط، بل لنقص في الراعي والرعية جميعاً، فإنه كما تكونون يولى علـيكم"، وقـد قـال الله تعـالى: ﴿ وَكَـذَلِكَ نُـوَلِّي بَعْـضَ الظَّـالِمِينَ بَعْـضاً بِـمَا كَـانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[1]"[2].

قال الطحاوي رحمه الله: " ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله جل وعلا فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"[3].

قال العلامة الألباني[4] رحمه الله تعليقاً على ذلك: " وفي هذا بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام الذين هم " من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا" وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم، ويصححوا عقيدتهم، ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح، تحقيقاً لقوله

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٢٠/ ٣٥).

(٣) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق الشيخ الألباني(ص٤٧).

(٤) هو محمد ناصر الدين بن الحاج نوح نجاتي الألباني، من علماء الحديث المعاصرين البارزين، ولد في أشقودرة عاصمة ألبانيا سنة: (١٣٣٣هـ) وله مؤلفات في الحديث الشريف تصحيحاً وتضعيفاً، توفي سنة(١٤٢٠هـ) في عمان البلقاء، نقلاً عن: الموسوعة العربية العالمية.

– تعالى –: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1]"[2].

والناظر في النصوص الشرعية يرى أن التخلص من ظلم الحكام الظلمة يكون بطرق شرعية منها:

١- الاستكانة والتضرع إلى الله.
٢- المناصحة الشرعية.
٣- بذل الجهد في إصلاح الرعية.
٤- الصبر على جور الأئمة.
٥- عدم منازعة الأمر أهله.
٦- الفصل بين الموقف الشخصي والموقف الشرعي.

المطلب الأول: الاستكانة والتضرع إلى الله:

تعريف الاستكانة والتضرع:

الاستكانة لغة:استكان: ذل وخضع[3].

الاستكانة اصطلاحاً: هي إظهار الخضوع والاستسلام، فأصل الاستكانة هو أن يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد واستكنَّ واستكان بمعنى: خضع وذل، فالاستكانة لله هي الخضوع له سبحانه.

قال الواحدي[4]: "الاستكانة الخضوع، أن يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد"[5].

التضرع:

لغة: يأتي لمعان كثيرة هي: التذلل والخشوع، والابتهال، والتلوي، والاستغاثة[1].

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.
(٢) العقيدة الطحاوية، شرح وتعليق الشيخ الألباني(ص٤٧).
(٣) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة(٢/ ٨٠٦).
(٤) الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدي، النيسابوري، الشافعي، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، من أولاد التجار، وأصله من (ساوه). انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي(١٨/ ٣٣٩).
(٥) انظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي(٩/ ٣٨١).

وقال ابن منظور: " ضرع إليه يضرع ضرعاً وضراعةً: خضع وذلك، فهو من قوم ضرعة وضورع، وتضرع: تذلل وتخشع، ومعنى قول الله جل وعلا: ﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢]، أي تذللوا وخضعوا"[٣].

اصطلاحاً: قال المناوي[٤]: الضراعة هي الخضوع والتذلل، والتضرع دعاء الله جل وعلا بضراعة[٥].

وقد ورد لفظ التضرع والاستكانة في القرآن في عدة مواضع منها:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ ﴾[٨].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس(٣/ ٣٩٥)، ولسان العرب، لابن منظور (٨/ ٢٢١) مادة (ضرع).

(٢) سورة الأنعام، آية: ٤٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٢٢١) مادة: (ضرع).

(٤) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تأليفه، له نحو ثمانين مصنفاً، منها الكبير والصغير والتام والناقص، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة: (١٠٣١هـ) أنظر: الأعلام للزركلي(٦/ ٢٠٤).

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق: محمد الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، (ص٢٢٢).

(٦) سورة الأنعام، آية: ٤٢-٤٣.

(٧) سورة الأنعام، آية: ٦٣.

(٨) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[1].

قال الطبري رحمه الله: " يقول الله جل وعلا: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف، فما استكانوا لربهم، يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، ويُنيبوا إلى طاعته، وما يتضرعون، يقول: وما يتذللون له"[2].

وعن الفضل بن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الصلاة مثنى مثنى، تشهد في كل ركعتين وتخشع، وتضرع، وتمسكن، وتذرع وتقنع يديك- يقول ترفعهما إلى ربك مستقبلاً ببطونهما وجهك- وتقول: يا رب يا رب، ومن لم يفعل ذلك فهو كذا وكذا"[3].

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: " إن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً، حتى أتى المصلي، فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد"[4].

قال الحسن البصري رحمه الله:" إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم ولكن عليكم الاستكانة والتضرع فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[5]"[6].

فالظلم والجور الصادر من الحكام الظلمة، إنما يعالج بالاستكانة والتضرع إلى الله، وليس بالمواجهات، واستشراف الفتن، فإن رسول الله ﷺ يقول:" تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من يستشرف لها تستشرف له، ومن وجد

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٧٦.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، لابن جرير الطبري(١٧/ ٩٢).

(٣) رواه الترمذي كتاب مواقيت الصلاة، باب: ما جاء في التخشع في الصلاة، برقم (٣٨٥)- واللفظ له -، والإمام أحمد في مسنده(١/ ٢١١)، برقم: (١٧٩٩)، وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر على تصحيح الحديث في المسند (٢/ ٤٠١) بتحقيقه.

(٤) رواه الترمذي كتاب الوتر، باب: ما جاء في الجمع بين الصلاتين، برقم: (٥٥٨)، وقال: حديث حسن صحيح، وحسنه الشيخ الألباني كما في صحيح سنن الترمذي.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٧٦.

(٦) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٤/ ٥٢٩).

منها ملجأ أو معاذاً فليعذ به"[1].

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، فإن الله ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتربية وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم"[3].

قال ابن تيمية رحمه لله:"إن جملة من الخلاف الواقع في الأمة سببه الذنوب، وإن الاستغفار والتوبة إلى الله يرفع البلاء ويجلب الرحمة"[4].

المطلب الثاني: المناصحة الشرعية:

النصيحة اسم من نصحه، ونصح له، كمنعه، نصحاً ونصاحةً ونصاحيةً، يقال: نصح الشيء: خلص، والناصح الخالص من العسل وغيره، وكل شيء خلص، فقد نصح، فاصل النصح في اللغة: الخلوص، والنصح نقيض الغش[5].

وأما النصيحة في الاصطلاح الشرعي: تعني إرادة الخير كله للمنصوح له، مع محبة ما به من خير وكره مفارقته للأمة.قال الخطابي رحمه الله:" النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة وهي إرادة الخير للمنصوح له"[6].وقال ابن الأثير: " هي إرادة الخير للمنصوح له"[1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام(٤/ ١٩٨)، برقم: (٣٦٠١)، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: نزول الفتن كمواقع القطر(٨/ ١٦٩)، برقم: (٢٨٨٦).

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٥٢).

(٤) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٣٥/ ٨٣).

(٥) لسان العرب، لابن منظور(٢/ ٦١٥).

(٦) فتح الباري، للحافظ ابن حجر(١/ ١٣٨)، وانظر: معالم السنن، للخطابي (٤/ ١٢٥-١٢٦)، وكشف الشكل من حديث الصحيحين (٤/ ٢١٩).

وقال الراغب الأصفهاني[٢] رحمه الله: " لنُّصح تَحرِي فعلٍ أو قول فيه صلاحُ صاحبه"[٣].

وقال محمد بن نصر[٤] رحمه الله: " قال بعضُ أهل العلم: جِمَاعُ تفسير النَّصيحة هو عناية القلب للمنصوح، مَن كان"[٥].

وقال الجرجاني[٦] رحمه الله: " هي الدُعاء إلى ما فيه الصَّلاح، والنهي عمَّا فيه الفساد"[٧].

وقد أمر الله ورسوله ﷺ بمناصحة الإمام إن زل، وبيَّن الطرق الشرعية لكيفية هذه النصيحة، لكي تتحقق الأهداف المرجوة منها على أكمل وجه.

ومن الأدلة على وجوب تقديم النصيحة ما يلي: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ (٥/ ٦٣).

(٢) الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، توفي سنة اثنتين وخمسمائة. سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠.

(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد الكيلاني، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ (ص٤٩٤).

(٤) محمد بن نصر المروزي الإمام أبو عبد الله أحد الأعلام في العلوم والأعمال قال الحاكم فيه إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة كان أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم، توفي سنة أربع وتسعين ومائتين. الوافي بالوفيات لابن خلكان ٥/ ٧٦.

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وابراهيم، مؤسسة الرسالة، بيروت (١/ ٢٢٠).

(٦) على بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني، أبو الحسن: قاض من العلماء بالأدب، كثير الرحلات، له شعر حسن، ولد بجرجان وولي قضاءها، ثم قضاء الري،فقضاء القضاة، وتوفي بنيسابور سنة: (٣٩٢هـ)، وهو دون السبعين، فحمل تابوته إلى جرجان. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٣٠٠).

(٧) التعريفات، لعبد القاهر الجرجاني (ص ٣٦٠).

(٨) سورة التوبة، آية: ٩١.

لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ ﴾[1].

قال رسول الله ﷺ "الدين النصحية" قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا نصح العبد لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين"[3].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ عن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[4].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثاً، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم"[5].

وقال رسول الله ﷺ: "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع"، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: " لا ما أقاموا فيكم الصلاة"[6].

وعن عياض بن غنم قال: يا هشام بن حكيم أو لم تسمع رسول الله ﷺ يقول: " من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له"[7].

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (١/ ٥٣)، برقم: (٥٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق(٣/ ١٥٠)، برقم (٢٥٥٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ " الدين النصيحة" (١/ ٢١) برقم (٥٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة(١/ ٥٤)، برقم (٥٦).

(٥) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة(٥/ ١٣٠)، برقم (١٧١٥).

(٦) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم(٦/ ٢٤)، برقم (١٨٥٥).

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٣)، برقم (١٥٣٣٣)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢/ ٧٣٧)، برقم: (١١٣٠)، وصححه الشيخ الألباني في التعليق على كتاب السنة (٢/ ٧٣٧).

وبذل النصيحة للحاكم تكون سراً وعلانية، ويجب النصح متى ما أمن المسلم على ألا يترتب على إنكاره هذا ما هو أشد منه، فلا يجوز إزالة المنكر بما هو أنكر منه، قال ابن القيم رحمه الله:" إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر"[1].

ولهذا فإن أهل العلم ينصون على هذا الأمر في كتب الاعتقاد، قال ابن تيمية رحمه الله مبيناً صفات أهل السنة والجماعة: " ويدينون بالنصيحة للأمة"، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح هذه الجملة: " يدينون؛ أي: يتعبدون لله عز وجل ويعتقدون ذلك ديناً"[2].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم، وتحسين الظن بهم، والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وكف وجوه الأذى عنهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه"[3].

قال النووي رحمه الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم"[4].

قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله:" النصيحة لأئمة المسلمين تعني حب صلاحهم

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١(٣/ ١٢).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن العثيمين (ص٥١٩).

(٣) فتح الباري، للحافظ ابن حجر(١/ ١٦٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي (٢/ ٢٢٧).

ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله"[1].

وقال الخطابي رحمه الله: "ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم وترك الخروج بالسيف عليهم"[2].

ومن النصيحة لهم إجلالهم: فقد قال رسول الله ﷺ: "من أجل سلطان الله أجله الله يوم القيامة"، وعدم إهانتهم: فقد قال رسول الله ﷺ: " من أهان سلطان الله في الأرض، أهانه الله"[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... وأن تعتصموا بحبل اله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[4].

وقال النبي ﷺ:" والنصح لكل مسلم، وأن تنصح لجماعة المسلمين وعامتهم"[5].

وقال أبو نعيم الأصبهاني[6]: " من نصح الولاة والأمراء اهتدى ومن غشهم غوى واعتدى"[7].

وقال ابن جماعة[8] في حقوق ولي الأمر: " يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم

---

(١) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ(٢/ ٦٩٣-٦٩٤).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، (٢/ ٢٢٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢، ٤٨-٤٩)، ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢/ ٦٩٤)، برقم (١٠٥١)، ١٠٥٢، و ١٠٥٨، ١٠٥٩)، وحسنه الشيخ الألباني في التعليق على السنة لابن أبي عاصم(٢/ ٦٩٤).

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة(٥/ ١٣٠)، برقم (١٧١٥).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي(ص٧٤-٧٨)، ولم أقف عليه في كتب تخريج الأحاديث بهذا اللفظ.

(٦) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان سنة: (١٤٣٠ه). انظر: الأعلام للزركلي(١/ ١٥٧).

(٧) فضيلة العادلين من الولاة، لأبي نعيم الأصبهاني(ص١٤٠).

(٨) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء

قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظون حرمتهم، ويلبُّون دعوتهم، مع زهدهم وورعهم وعدم الطمع بما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم فليس من السنة"[1].

وقد نهى الشرع عن إذلال الحاكم واحتقاره، وأن من يفعل ذلك فقد فتح ثغرة في الإسلام، لا تقبل له توبة حتى يسدها، فهذا الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ﷺ عندما عرضوا عليه النصرة حين خرج إلى الربذة، رفض وقال: " مهلاً، مهلاً يا أهل الإسلام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " سيكون بعدي سلطان فأعزوه، من التمس ذله ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت"[2].

وهذا هدي السلف من الصحابة والتابعين ﷺ، فقد جاء رجل إلى عبد الله ابن عباس ﷺ فقال له: إني أريد نصح السلطان فقال له: " إن كنت فاعلاً بينك وبينه"[3].

ومن النصيحة لأئمة المسلمين حب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل والبغض لمن رأى الخروج عليهم.

قال الشافعي[4] رحمه الله:

بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة، وتوفي بمصر سنة (٧٣٣ه). انظر: الأعلام للزركلي(٥/ ٢٩٧).

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، لابن جماعة (ص٦٣).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة(٢/ ٧٢٧)، برقم (١١١٣)، وصححه الشيخ الألباني كما في ظلال الجنة، برقم: (١٠٧٩).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي(١/ ٢٢٥)، ولم أقف عليه في كتب التخريج الأخرى بهذا اللفظ.

(٤) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام عالم العصر، ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي الغزِّي ، قيل ولدسنة ١٥٠هـ؛يوم مات أبوحنيفة. انتقلت به أمه وهو ابن عامين إلى مكة، قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، أقبل على الرمي حتى فاق الأقران، وكان يصيب تسعة من عشرة، ثم أقبل على العربية والشرع فبرع وتقدم، ثم حُبب إليه الفقه فساد أهل زمانه، و ارتحل إلى المدينة فأخذ الموطأ عن مالك عرضه عليه من حفظه وقيل غير ذلك، وصنف

تعهدني بنصحك في انفـرادي وجنبني النصيحة في الجماعـة
فإن النصح بين النـــاس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعـه
فإن خالفتني وعصيـت قولي فلا تغضب إذا لم تعط طاعة[1].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "ليس منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجّه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم، ولما فتحوا - أي الخوارج - الشر في زمن عثمان ﷺ، وأنكروا على عثمان جهرة، تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقُتل عثمان بأسباب ذلك، وقُتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس وليَّ أمرهم وقتلوه، نسأل الله العافية"[2].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: " الله، الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمر فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها، فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر، ضاع الشرع والأمن، لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلم الأمراء تمردوا على كلامهم وحصل الشر

التصانيف ودون العلم وردّ على الأئمة مُتبعا الأثر وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة، مات في شهر شعبان سنة أربع ومائتين وله نيف وخمسون سنة. سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، (٨/ ٢٦٩).

(١) التعليق على كتاب: الفرق بين النصيحة والتعبير، لابن رجب الحنبلي(ص٣٩).
(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، لابن باز، إشراف محمد الشويعر (٨/ ٢١٠).

والفساد"[1].

فنصيحة ولي الأمر، وفق المنهج الشرعي، من أعظم الأدوية النافعة في إصلاح الحكام، وردهم عن الظلم والاستبداد.

المطلب الثالث: بذل الجهد في إصلاح الرعية:

قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وعن أبي بكر الصديق ﷺ، قال رسول الله ﷺ: " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب"، وفي رواية أبي داود: " ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب"[3].

ومن جملة العقاب أن يسلط الله عليهم الحكام الظلمة، بسبب فسادهم وعصيانهم، فالواجب على علماء المسلمين، أن يبينوا للرعية أهمية التمسك بالدين، ويحذروهم من الفساد والإفساد، لئلا يبتلوا بعقوبات عظيمة، منها جور السلطان.

قال ابن القيم رحمه الله: " وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم: فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة، فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكلما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم.

---

(١) حقوق الراعي والرعية (ص٢٩ -٣٠)، نقلاً عن شريط نصيحة مهمة لشباب الأمة.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم، باب: في الأمر والنهي، برقم: (٤٣٣٨)، صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب(٢/ ٢٨٦)، برقم: (٢٣١٧.

ولما كان الصدر الأول خيار القرون، وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة، فحكمة الله تأبى أن يولي علينا في هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن مثلاً أبي بكر وعمر ﷺ، بل ولاتنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها"[1].

وقد وضح الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الطريقة الصحيحة في مناصحة الرعية والسعي لإصلاحها فقال: " فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصداً سيئاً فلينصحه برفق وإخلاص لدين الله وترك الرياء والقصد الفاسد ولا يفل عزمه عن الجهاد ولا يتكلم فيه الظن السيئ وينسبه إلا ما لا يليق"[2].

ومن الذنوب التي ينصح الرعية باجتنابها، غيبة ولاة الأمور وسبهم والطعن فيهم.

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: " نحن – ولله الحمد– على ثقة من ولاة أمرنا، وعلى ثقة من المنهج الذي نسير عليه، وليس معنى هذا أننا قد كمُلنا، وأنه ليس عندنا نقص ولا تقصير، بل عندنا نقص ولكن نحن في سبيل إصلاحه وعلاجه – إن شاء الله – بالطرق الشرعية.

أما أننا نتخذ من العثرات والزلات سبيلاً لتنقص ولاة الأمور، أو الكلام فيهم، أو تبغيضهم إلى الرعية، فهذه ليست طريقة السلف أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة يحرصون على طاعة ولاة الأمور، وعلى تحبيبهم للناس، وعلى جمع الكلمة هذا هو المطلوب، والكلام في ولاة الأمور من الغيبة والنميمة، وهما من أشد المحرمات بعد الشرك، لا سيما إذا كانت الغيبة للعلماء ولولاة الأمور، فهي أشد لما يترتب عليها من المفاسد من تفريق الكلمة وسوء الظن بولاة الأمور، وبعث اليأس في نفوس الناس والقنوط".

المطلب الرابع: الصبر على جور الأئمة:

على المسلم عندما يرى من إمامه شيئاً يكرهه من جور وظلم وفسق وأثرة بالمال،

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت (٢/ ١٧٧-١٧٨).

(٢) الدار السنية في الأجوبة النجدية، كتاب الجهاد(٨/ ٦).

فعليه الصبر من أجل مصلحة الأمة، فهي الغاية العظمى التي يجب على المسلم التضحية من أجلها، فالصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة، أمر به الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وحض عليه العلماء، جلباً للمصالح ودرءً للمفاسد.

ومن الأدلة على وجوب الصبر على جور الأئمة ما يلي: قال تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾[2].

وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات فميتة جاهلية"[3].

وقال رسول الله ﷺ: " من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه"[4].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: " أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة السلف، وفقهاء الأمصار، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ... وذكر منها: والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل وجور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروُا"[5].

وعن عمر بن يزيد[6] أنه قال: قال الحسن – يعني البصري-: " والله لو أن الناس إذا

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ " سترون بعدي أموراً تنكرونها" (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن(٦/ ٢١)، برقم: (١٨٤٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ " سترون بعدي أموراً تنكرونها" (٩/ ٤٧)، برقم (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن (٦/ ٢١)، برقم (١٨٤٩).

(٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان الآلوسي، قدم له على المدني، مطبعة المدني(ص٢٢٦).

(٦) عمر بن يزيد بن عمير، من بني أسيد، من تميم: أحد الشجعان الرؤساء المقدمين في أيام بني مروان، ذكره يزيد بن عبد الملك يوماً فقال: " هذا رجل العراق" قتله ملك بن المنذر بن الجارود صاحب شرطة البصرة بأمر خالد ابن عبد الله القسري لما ولي العراق. الأعلام، لخير الدين الزركلي(٥/ ٦٩).

ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله عز وجل ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف، فيوكلون إليه، والله ما جاؤوا بيوم خير قط، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[1]"[2].

وعن الزبير بن عدي[3] قال: " أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقي من الحجاج – أي الحجاج بن يوسف الثقفي – فقال: " اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ[4].

وقال الحسن: " اعلم – عافاك الله – أن جور الملوك نقمة من نقم الله – تعالى – ونقم الله لا تلاقى بالسيوف، وإنما تتقى وتستدفع بالدعاء والإبانة والإقلاع عن الذنوب..."[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة"[6].

وقال الآجري رحمه الله: " قد ذكرت من التحذير عن مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عز وجل الكريم عن مذهب الخوارج، ولم ير رأيهم وصبر على جور الأئمة وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه وسأل الله العظيم أن يكشف الظلم عنه وعن جميع المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعتهم فأمكنته طاعتهم أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم وإذا دارت بينهم الفتن لزم بيته وكف لسانه

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣٧.
(٢) الشريعة، للآجري (ص٤٣).
(٣) الزبير بن عدي الهمداني أبو عدى، مولده بالكوفة سكن الري سمع أنس بن مالك وكان من العبادوالمتقنين من الزهاد مات سنة: (١٣١هـ). انظر: مشاهير علماء الأمصار، لابن حيان(ص٢٠٤).
(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب: لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه(٩/ ٤٩)، برقم: (٧٠٦٨).
(٥) آداب الحسن البصري، لابن الجوزي (ص١١٩-١٢٠).
(٦) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٢٨/ ١٧٩).

ويده، ولم يهو ما هم فيه ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى"[1].

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "... والذي عليه الأكثر من العلماء أن الصبر على طاعة الأمام الجائر أولى من الخروج عليه،.. والأول مذهب طائفة من المعتزلة وهو مذهب الخوارج فاعلمه..."[2].

وقال الآجري رحمه الله: " قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذاهب الخوارج، ولم ير رأيهم، فصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله كشف الظلم عنه وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته، وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم- إن شاء الله -"[3].

المطلب الخامس: عدم منازعة الأمر أهله:

المنازعة لغة: من نزع، النون والزاء والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء، ونزعت الشيء من مكانه نزعاً[4].

وقال الأزهري:" والمنازعة في الخصومة: مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان، وبهذا قال ابن منظور، وقال ابن السكيت: قال الكسائي: يقولون لتعلمن أينا أضعف منزعة، والمنزعة: ما يرجع إليه الرجل من رأيه وتدبيره"[5].

وقال ابن منظور: " والنَّزاعة والنِّزاعة والمِنزعة والمَنزعة: الخصومة. والتنازع:

(١) الشريعة، للآجرى (ص٣٧).
(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٢/ ١٠٩).
(٣) الشريعة، للآجري(ص٤٣).
(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/ ٤١٥) مادة: (نزع).
(٥) تهذيب اللغة، للأزهري (١/ ٥٤٩-٥٥٠)، مادة: (نزع).

التخاصم. وتنازع القوم: اختصموا، وبينهم نزاعة أي خصومة في حق"[1].

وقال الفيروز آبادي في القاموس: ونازعه: خاصمه وجاذبه، والتنازع: التخاصم والتناول[2].

وبناء على ما تقدم فالمنازعة تعني: الاختلاف والمخاصمة والمجاذبة والمشاجرة.

قال تعالى: ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[3]، قال أبو جعفر في تفسير هذه الآية: " ولا تنازعوا، أي: ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم"[4].

وقال رسول الله ﷺ:".. ولا تنازعوا الأمر أهله، وإن كان لكم"[5].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال لجنادة بن أبي أمية الأنصاري: " تعال حتى أخبرك ماذا لك وماذا عليك؟

إن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطاك ومكرهك والأثرة عليك، وأن تقول بلسانك، وأن لا تنازع الأمر أهله، إلا أن ترى كفراً بواحاً"[6].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: " دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان"[7].

ومن أقوال العلماء في حرمة منازعة الأمر أهله:

قال النووي رحمه الله: " معنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٨/ ٥١٨-٥١٩)، مادة: (نزع).

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص٦٨٩-٦٩٠)، مادة: (نزع).

(٣) سورة الانفال، آية: ٤٦.

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، للطبري (١٣/ ٥٧٥).

(٥) مسند الشاميين، للشامي، تحقيق:حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١(٢/ ٤٠٢)، برقم(١٥٨٤).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٤)، برقم (٣٧٢٥٨).

(٧) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ:" سترون بعدي أموراً تنكرونها" (٩/ ٤٧)، برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية(٦/ ١٧)، برقم: (١٧٠٩).

ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم"[1].

وقال ابن حجر رحمه الله " وأن لا ننازع الأمر أهله" أي الملك والإمارة، زاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: وإن رأيت أن لك - أي وإن اعتقدت أن لك - في الأمر حقاً فلا تعمل بذلك الظن بل أسمع وأطع"[2].

وأكثر الخلاف بين الحكام والمحكوم، هو بسبب التدخل في صلاحيات الحاكم، ومنازعته الأمر، مما ينتج عنه الشر والفساد، والأثرة الاستبداد، والظلم والجور.

وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقه ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته.

وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب القفه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحكي عن المعتزلة أيضاً، فغلط من قائله، مخالف للإجماع..."[3].

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ٢٢٩).
(٢) فتح الباري، للحافظ ابن حجر(١٣/ ٨).
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٢/ ٢٢٩)، و(١٢/ ٢٤٣-٢٤٤).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، الذي ما ترك من خير إلا دلنا عليه، وما من شر إلا حذرنا منه، ورضي الله تعالى عن أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن أهم نتائج هذا الموضوع المهم هو أن ما اندلع في جوانب العالم العربي منذ بضع سنوات مما سُمّي بـ"الربيع العربي" ما هو إلا خروج عن هدي الإسلام، وانسياق وراء حزبيات ضيقة، تحكمها مصالح، أو أهواء ضالة، جرّت على المنطقة ويلات لما نزل نتلظى بنارها، ومن لم يُصب بها مباشرة، جاءه من شررها وخبثها.

ولو أننا تبعنا هدي ديننا في الاستكانة والتضرع لله تعالى عند الفتن، ومناصحة ولاة الأمر، وبذل الوسع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوة الناس إلى الخير، والصبر على جور الأئمة، وعدم منازعة الأمر أهله، لو أننا فعلنا ذلك لحُقنت دماء أريقت، وأعراض انتهكت، ومحارم انكشفت، وموارد أُهدرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأهم وصايا هذا البحث، هي أن يُعمم هدي الإسلام في التعامل مع الأزمات والفتن على الشباب من خلال وسائل الإعلام بشتى صوره، والمدارس والجامعات والهيئات المختلفة.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رُشد، يُعز فيه أهل الطاعة، ويُهدى فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المراجع

- الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، ط١.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: أبو عبيدة مشهور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١.
- الإمامة العظمى، ناصر العبيدان، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.
- الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: علي والشيخ عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
- البداية والنهاية، لابن كثير، توثيق: علي محمد وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
- البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي: تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، للطبري، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
- التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- التعليق على القواعد الحسان، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٣١هـ.
- تفسير الطبري، جامع البيان، للطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- تهذيب تاريخ دمشق، لابن عساكر، تهذيب: ابن بدران، المكتبة العربية، دمشق، ط١، ١٩١١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، تحقيق: محمد الدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وابراهيم، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- السيل الجرار، للشوكاني، دار ابن حزم، ط١.
- شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار مدار الوطن، مؤسسة ابن عثيمين، ١٤٢٦هـ.
- شرح صحيح مسلم، للنووي، راجعه الشيخ خليل الميس، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الشريعة، للآجري، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- فتح الباري، للحافظ ابن حجر، تحقيق: محب الدين وآخرون، دار الريان للتراث ودار المطبعة السلفية، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عامر حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، شرح ابن عثيمين، أضواء السلف، ط٣، ١٤١٥هـ.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ.

- مجموع فتاوي الشيخ ابن باز، لابن باز، أشرف على جمعة وطبعه: محمد الشويعر.
- مرفاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مسند الإمام أحمد، تخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف، مكتبة الرشد، الرياض.
- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
- المغني، لابن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المفردات، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد الكيلاني، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٤٢٠هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

إِطْلالَةٌ على تجربة عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات.. سجون المباحث نموذجًا

أ.د. أحمد بن محمد الحسين

وكيل عمادة التعلم الإلكتروني للدراسات العليا والجودة

أستاذ المناهج وتطوير التعليم

١/ عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد:

١/١: النشـأة:

منذ صدور المرسوم الملكي الكريم رقم م/ ٥٠ وتاريخ ٢٣/ ٨/ ١٣٩٤هـ المبني على قرار مجلس الوزراء رقم ١١٠٠ وتاريخ ١٧/ ٨/ ١٣٩٤هـ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية عالية، شاملة المعاهد العليا والكليات والمعاهد العلمية، وهي في تطور واتساع مستمر مستمد من نمو وازدهار المملكة العربية السعودية.

وقد اعتبرت الجامعة أن إتاحة التعليم إلى جميع الراغبين فيه من جميع أنحاء المملكة هدفاً رئيساً لها، لذلك أقرت رؤية استراتيجية جديدة تتمثل في بعض مكوناتها في دمج التقنية بالتعليم مما يتيح للطلاب التعلم بطريقة فعالة وسهلة ومن أي مكان من خلال شبكة الإنترنت والتقنيات المتنوعة.

وبناءً على ذلك صدرت الموافقة السامية بإنشاء "عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد" التي تعتبر الجهة المسئولةً عن تقديم خدمات التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد لكافة كليات وفروع الجامعة داخل المملكة وخارجها؛ مما يتيح لها تقديم خدمة شاملة وموحدة تسمح لكل أعضاء هيئة التدريس والطلبة الاستفادة القصوى من أنظمة التعلم الإلكتروني وبتكاليف مناسبة.

وتقدم العمادة نظام الانتساب المطور الذي يجمع بين التعليم وتقنية المعلومات وتقنية الاتصالات الحديثة للطلاب والطالبات الذين لا يستطيعون الانتظام بها بسبب ظروفهم الاجتماعية أو الجغرافية.

كما تضطلع العمادة بدور ريادي وتحقيق رؤية الجامعة في تحويل التعلم والتعليم إلى مرحلة متقدمة عبر توظيف التقنيات الحديثة، ولها رؤيتها الخاصة في تطبيق آليات ومعارف حديثة في التعليم تستند للوصول لشريحة أكبر من المتعلمين؛ وعلى تحقيق الموائمة مع متطلبات سوق العمل.

وينظر أبناء العالم الإسلامي نظرة تقدير وإجلال إلى جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية وبرامجها المتميزة خصوصاً البرامج الشرعية التي تقدمها عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، والتي يطلع عليها كثير من أبناء العالم الإسلامي عند الدخول إلى مواقع العمادة على مواقع الإعلام والتواصل.

ويقف أبناء المجتمع السعودي وقفة احترام وتقدير للجامعة كذلك، وللعمادة بشكل خاص نظراً لما تقدمه من برامج نافعة تخدم المجتمع وتثري ثقافته ونموه وتطويره وما تقوم به من دور رائد في التنمية المهنية، وهذا أمر ملموس يصل إلى العمادة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

١/٢: الرؤية:

الريادة والتميز في تقديم التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

١/٣: الرسالة:

إيجاد منظومة متميزة في التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، تعتمد على أسلوب تفاعلي؛ لتحسين العملية التعليمية في الجامعة، وتعزيز التبادل المعرفي؛ للمساهمة في تحقيق رسالة الجامعة وأهدافها.

١/٤: الأهداف:

١/ ٤/ ١: تطبيق التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد بجودة عالية، مع التطوير المستمر بما يضمن تحسين العملية التعليمية.

١/ ٤/ ٢: تيسير وسائل التعلم محليًّا وعربيًّا وعالميًّا.

١/ ٤/ ٣: بناء منظومة تعليمية إلكترونية متكاملة في الجامعة، وفق أحدث الوسائل التقنية والتعليمية.

١/ ٤/ ٤: تأمين ونشر المحتوى الرقمي للمقررات، وتعزيز التعاون في مجال المحتوى داخل الجامعة وخارجها.

١/ ٤/ ٥: تنمية مهارات أعضاء هيئة التدريس في التعامل مع أنظمة التعلم الإلكتروني، ونشر ثقافته في الجامعة.

١/ ٤/ ٦: دعم أعضاء هيئة التدريس للمشاركة في إنتاج الوحدات التعليمية الرقمية، وتفعيل التعلم الإلكتروني في المقررات.

١/ ٥: القـيم:

١/ ٥/ ١: التعليم.

١/ ٥/ ٢: التطوير.

١/ ٥/ ٣: التدريب.

١/ ٥/ ٤: التوعية.

١/ ٥/ ٥: التنافسية.

١/ ٥/ ٦: المرونـة.

١/٦: المهام:

١/ ٦/ ١: إتاحة المجال للراغبين من جميع أنحاء العالم في إكمال تعليمهم الجامعي عن طريق التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

١/ ٦/ ٢: إتاحة التعليم العالي في التخصصات الشرعية لجميع الـراغبين في ذلـك مـن المسلمين داخل وخارج المملكة.

١/ ٦/ ٣: الإشراف على برنامج التعليم عن بعد (الانتساب المطور).

١/ ٦/ ٤: الإشراف على القناة الجامعة .

١/ ٦/ ٥: الإشراف على مشروع التعلم الإلكتروني في الجامعة.

١/ ٦/ ٦: إعداد المحتوى والمقررات الإلكترونية بالتعاون مع الكليات والعمادات.

١/ ٦/ ٧: تـدريب أعـضاء هيئـة التـدريس عـلى أنظمـة وبـرامج وآليـات الـتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

١/ ٦/ ٨: نشر المحتوى الإلكتروني والتوعية والتثقيف.

١/ ٦/ ٩: توفير البيئات المحفزة للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد.

٢/ المدخل إلى الورقة.. الخلفية المفاهيمية:

تمهيـد:

مع تنامي ظاهرة العولمة والتـداخل الـشائك التـي يـشهده العـالم منـذ بدايـة تـسعينات القرن الماضي، والتحول في المنظـور الفكـري والاجتماعـي للمجتمعـات، والأدوار المناطـة والمرتبطـة بـه، ومـع التـسارع التقنـي والتكنولـوجي ووسـائل التواصـل الاجتماعـي،

والشبكات المختلفة، برزت اتجاهات لتحديد المفاهيم الخاصة بها والأدوار المرتبطة بها، ومن ذلك قضايا الجماعات والأحزاب والانحراف.

إن ما يسمى بالمواطن الصالح أو العالمي أو الدولي هو نتيجة ما تقوم به الهيئات الدولية والمنظمات وفي مقدمتها اليونسكو، ومنظمات التعليم المتنوعة، حيث أفرزت أبعاد اجتماعية لهذا الدور ومن ذلك البعد الوطني الداخلي لتربية المواطنة، والبعد العالمي الخارجي لتربية المواطنة.

ومع تنوع العقائد والمذاهب والأفكار والاتجاهات، وتطور التقنية ووسائل الاتصال الحديثة، وتنوع المصادر الإعلامية التي تسهم بشكل فعال وسريع في سرعة وصول الأفكار والاتجاهات السلبية المنحرفة، التي تتطور إلى انحرافات فكرية مقرونة بالتخريب والدمار والعنف وسفك الدماء، ظهرت الحاجة الملحة إلى تحقيق الأمن الفكري، حيث أحاطت الشبهات بحياة الناس، وبرزت لنا مصطلحات كالأمن، والانحراف الفكري، والإرهاب، والتطرف، والغلو؛ وحماية الشباب من الجماعات، والأحزاب، والانحراف، وهي تحتاج إلى دراسات معمقة ونقاشات مستفيضة وتمحيص علمي شديد ومؤكد.

وقد أكد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز - رحمه الله - وهو من أبرز المعنيين بقضايا الأمن والأمن الفكري في العالم، على أن الانتهاكات الخطيرة التي تحدث من قبل الفئات الضالة ما هي إلا محصلة لفكر منحرف (الأمن والحياة، ١٤٢٥هـ، ص ١٣)، مما يؤكد على أهمية دراسة الأمن الفكري وبحث أسبابه وسبل علاجه والوقاية منه.

ويخطئ من يظن أن مسؤولية الأمن قاصرة على رجال وأفراد الأمن وحدهم؛ بل أن الأمن مسؤولية المجتمع بكافة مؤسساته وأفراده، ويأتي على رأس ذلك التربية؛ والجامعات على رأس هرم التربية، لأنها الوسيلة الأولى لتحقيق التنمية والحراك الثقافي والاجتماعي، والسياج الأول لصد الملوثات والمعطلات التي توجه إلى عقول طلابنا في مختلف المراحل الدراسية، وتقديم الجرعات العلاجية الكافية والوقائية من الوعي والإرشاد والتنوير، ولا يمكن أن يتحقق الأمن في وطننا الغالي في عمومه وحماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف بفاعلية حقيقية "من دون نظام تعليمي يتوافق مع

أهداف الأمن وسياساته" (على، ١٩٨٩م).

ولقد سخرت دولتنا المباركة (المملكة العربية السعودية)، دولة العز والخير والعطاء جل اهتمامها في بناء وتنمية مجتمعها المحلية في كافة المحافظات والمدن والقرى، وهيأت سبل العلم والمعرفة لكافة أبناؤها المواطنين دون استثناء.

وقد بينت بعض الدراسات العلمية أهمية تحقيق الأمن الفكري وحماية الشباب، ومن ذلك دراسة (المويشر ١٤٢٨هـ) التي تؤكد على غرس مفاهيم الاعتدال والوسطية لتحقيق الأمن الفكري، وكذلك دراسة (المالكي ١٤٢٧هـ) التي ترى أن من الأسباب المؤدية للإرهاب الانحراف الفكري، تقصير المؤسسات التعليمية والمناهج، وكذلك ما أشار له (عبد الحى ٢٠٠٨م) من وجود عوامل فكرية ساهمت في إبراز ظاهرة الإرهاب، ودراسة (البراق ١٤٠٨هـ) التي أكدت على أن الانحراف الفكري من أهم الأسباب للعنف والإرهاب.

ولكون التعليم في وقتنا الحاضر ركيزة أساسية؛ وعامل مؤثر وفاعل في صقل وإصلاح خبرات وتأهيل الفرد في وطننا الغالي، بادرت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، بالتعاون مع مقام وزارة الداخلية ممثلة بالإدارة العامة للمباحث والمديرية العامة للسجون، والعمل على شراكة استراتيجية حقيقية وفعالة تحقق رؤى وتطلعات ولاة أمرنا يحفظهم الله، وتتسق مع منظومة التعليم في بلادنا، وواجب الجامعات السعودية في تقديم سياج آمن، ومؤثر في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.

وتوجت تلك الجهود بافتتاح برنامج تعليمي أكاديمي نوعي يخدم الطلاب نزلاء السجون، في كثير من مدن المملكة، وإنشاء عدد من مراكز الاختبارات في السجون والاصلاحيات لتسهيل إجراءات التحاق نزلائها ببرنامج الانتساب المطور بمرحلة البكالوريوس، إيماناً منهما بدور عمليات التعلم والتعليم في العلاج الناجع، والتوعية بنشر أسس العقيدة السمحة، وتعديل السلوكيات والأفكار المنحرفة، وحماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.

ولا شك بأن نزلاء السجون والاصلاحيات من أحوج فئات المجتمع إلى التعلم

والمعرفة والإصلاح؛ ومحاربة الجهل والغفلة، وانحسار الثقافة والعلم، ليتم إعادة دمجهم بالمجتمع علمياً واجتماعياً ومهنياً بعد خروجهم من السجن، وذلك تجسيداً لتحقيق الغاية من السجن وهي استصلاح السجين وتقويم انحرافه وتعديل سلوكه وحاجة المجتمع إليه إنساناً صالحاً.

إن ما تقوم به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من دور فاعل ورائد من خلال تأثير مناهجها الشرعية السمحة، وحمايتها للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، وما تقدمه من لمضامين العقيدة الوسطية السليمة التي يحاول البعض تشويهها وتقديمها بشكل مغاير عما هي عليه في الواقع المعاش، وتلبية احتياجات المجتمع ليساعد في تمكن نزلاء السجون من ممارسة حياتهم أفراداً أسوياء بعد انقضاء فترة محكوميتهم، هو تجسيدٌ لعراقتها وحسن أدائها وتميزها في تقديم العلم النافع والمساهمة في تقويم سلوك الفرد في مملكتنا الغالية.

وقد يتساءل الكثير عما إذا كان طلاب الانتساب المطور في عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد نزلاء السجون والاصلاحيات استفادوا حقاً من هذا البرامج؟

إن أصدق من يقدر على الإجابة كما أشار تقرير (عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد - ثمرات يانعات، ١٤٣٨هـ) هو:

١- إدارة السجن والإصلاحية التي يوجد بها السجين من خلال تتبع حالته في سجنه، وأثر التعليم في حياته داخل السجن واستفادته من وقته.

٢- مطالبة إدارة السجون بفتح مراكز عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد فيها، بعد أن لمسوا الأثر الإيجابي لذلك.

٣- عائلة الذين زرع فيهم التعليم عن بعد الأمل في صلاح أبنائهم، وعدم ضياع مستقبلهم، ويظهر ذلك في تواصلهم الدائم مع مسؤولي العمادة، وشكرهم على طوق النجاة الذي ساهم في إنقاذهم بتيسير سبيل الدراسة لهم.

٤- نزلاء السجون أنفسهم، فالأثر النفسي الكبير الذي يعيشه الموقوف طوال الفصل الدراسي وإحساسه بقدرته على شق طريق النجاح، والرجوع إلى جادة الصواب، واستدراك ما فاته من تفريط، بل إن من نزلاء السجون من واصل دراسته العليا بعد

انتهاء محكوميته، متسلحاً بما تزود به أثناء سجنه من علم تيسرت سبله عن طريق التعليم عن بعد.

٥- الاستمرار في الدراسة بعد الخروج من السجن.

٦- التواصل بعد الخروج من السجن مع العمادة لطلب فتح برامج دراسات عليا.

١/٢: أهداف الورقة:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى:

التعرف على الدور النوعي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، وتسليط الضوء على تجربة عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد فيما يخص تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات - سجون المباحث نموذجًا - عبر التعرف على الآتي:

- دور جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف عبر تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات.
- أهداف تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات العلاجي.
- آليه العمل والتدريس لنزلاء السجون والاصلاحيات.
- بيان التتبع التاريخي لعدد المراكز والطلاب الدارسين.

٢/٢: أهمية الورقة:

تتمثل أهمية هذه الورقة في العناصر التالية:

- مواكبة خطط الدولة الاستراتيجية وفقها الله في نشر العلم النافع وتحسين المجتمعات.
- تسليط الضوء على الدور النوعي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.
- تسليط الضوء على تجربة عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد فيما يخص تدريس نزلاء السجون وتحديداً سجون المباحث نموذجًا، ودورها الريادي في تعزيز عمليات التعلم والتعليم.

- تقديم صورة واقعية عن تجربة العمادة في مجال التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في مجال خدمة المجتمع.
- طرح خيارات التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد كأحد الاتجاهات العالمية الحديثة في مجال تعليم السجون.
- توجيه أنظار المفكرين والأدباء في مختلف بلاد العالم وفي مجتمعنا المحلي، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة للدور المهم والخبرات المتحصلة من تدريس هذه الفة.

٣/٢: منهجية الورقة:

وفقاً لأهداف الورقة وأهميتها فإن المنهج المستخدم فيها هذه هو المنهج الوصفي الذي يشيع استخدامه في الدراسات التي تصف الوضع الراهن للظاهرة وتتبعها وتفسيرها (فان دالين، ٢٠٠٧م)، ولعل من أسباب اختيار هذا المنهج، ما أطلع عليه الباحث من أدبيات ذات صلة بالدراسة، والتي أكدت في مجملها مناسبته لهذه الدراسة وشبيهاتها.

٤/٢: حدود الورقة:

تقتصر حدود هذه الورقة على التعرف على الدور النوعي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مجال حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، عبر عرض تجربة عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد فيما يخص تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات - سجون المباحث نموذجًا.

٣/ عناصر الورقة:

ساعد التطور المتسارع، وتبدل أنماط الحياة، والمعيشة والحراك الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، وتغير المعطيات النفسية والثقافية والاقتصادية والانفتاح الكوني، وشبكات التواصل الاجتماعي، والارتباط بالعالم الخارجي، على إحداث نقلات نوعية مجتمعية كبيرة متسارعة، وتحول نحو الأفضل في التعليم والصحة والأمن والمستوى الاجتماعي كافة؛ إلا أنه مع هذا التحسن الهائل والواضح، خرجت جملة من المظاهر والأعمال والأفعال والسلبيات، التي ساهمت بشكل أو بآخر في وقوع بعض الشباب في مزالق الجريمة، فأوقفت مستقبلهم، وأفقدتهم الحافز، وجعلتهم ينظرون - بسبب فقدان

الأمل - نظرة تشاؤم أو لامبالاة لحياتهم، ومجتمعهم، وقادتهم إلى غياهب السجون.

وفي تلك السجون، وهنا يكمن الخطر الأشد والموجع، لا يستقي ويأخذ السجين الشاب المعرفة أو العلم في سجنه إلا من جليسه ونظيرة الذي هو مثله، أو أشد منه خطورة وجهلاً وظلالاً، فكم من سجين زاد غية وانحرافه، وأشتد خطره منذ أن جالس قرناء السوء في سجنه، وأكل وشرب من فكرهم وأخلاقهم وتوجهاتهم.

وكان متوجباً على كل ذي بصيرة، وقدرة ومسؤولية نافذة؛ المساهمة بشكل فاعل وملموس في مكافحة ومحاربة هذا الخطر الحقيقي الذي يحدق بهم أثناء محكوميتهم، وما يترتب عليه بعد خروجهم من السجن أو الاصلاحية، والسعي الحثيث المستمر المتواصل، بإشعارهم بقدرتهم على الرجوع من جديد إلى الطريق السوي الواضح البين، وشحذ همتهم، لخدمة أنفسهم أولاً، وأسرهم ثانياً، ووطنهم ثالثاً، وهذا مصداق لحديث النبي الكريم ﷺ الذي رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)، وفي هذا الحديث دليل عظيم على محاسن الإسلام التي جاء بها، ومن جملتها أنه جعل الإحسان إلى الأسرة من أفضل الأعمال والقربات، وفاعله من خيرة الناس.

وقد قال صاحب تحفة الأحوذي في شرحه لهذا الحديث: قوله: (خيركم خيركم لأهله :أي لعياله، وذوي رحمه، وقيل لأزواجه وأقاربه، وذلك لدلالته على حسن الخلق، "وأنا خيركم لأهلي"فأنا خيركم مطلقا، وكان أحسن الناس عشرة لهم، وكان على خلق عظيم.

ومن ثم نشأت الضرورة لإيجاد نوع من التعليم يسهم في حل مشكلات استبعادهم عن التعليم التقليدي، ومدهم بالعلم والمعرفة التي تحميهم - بإذن الله - فكان التعليم عن بعد، الذي ينطبق تماماً على الطالب الذي منعته ظروفه الاجتماعية أو السلوكية بسبب سجنه من إكمال ومواصلة تعليمه.

وهو ما تنبهت له جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخذت فيه زمام المبادرة وقصب السبق منذ وقت مبكر ١٤٢٩هـ، وكان لها الدور الكبير والمؤثر في حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.

١/٣ أهمية حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف:

تنبع أهمية الأمن الفكري حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف والحاجة إليه، من خلال أهميته الاستراتيجية المتزايدة يوما بعد يوم، والتي يؤكدها ارتباطاته وعلاقاته الوثيقة المتداخلة بالدين الإسلامي الحنيف بما فيه من حماية للضرورات الخمس، والتصاقه بالعقل البشري الذي كرم به الإنسان وميزه عن غيره من المخلوقات، وبتكامله مع تقسيمات وصور الأمن المتعددة، ومن العناصر التي تؤكد أهميته كما أشار إلى ذلك كل من: (السديس، ١٤٢٦هـ، وحريز ١٤٢٦هـ، واللويحق ١٤٢٥هـ):

- تحقيقه للأمة أهم خصائصها، بتحقيقه التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية.
- في غيابه سيكون خلل في الأمن في جميع فروعه.
- كونه من المداخل التي تساعد على الإبداع والتطور والنمو للمجتمع وثقافته.
- حمايته لأهم المكتسبات، وأعظم الضروريات؛ دين الأمة.
- تعديه إلى كل شرائح المجتمع على اختلاف مستوياتها.
- لأهميته لكل دار، وكل عقل.
- ويدعم جانب الأهمية ارتباطه وعلاقاته بالممارسات السياسة، وفي أبعاده الدينية والاجتماعية، وفي تحقيقه للتنمية الاقتصادية والرفاهية للمواطنين.

وتتأكد أهمية الأمن الفكري والحاجة إليه لطلاب المرحلة المتوسطة والثانوية، نظراً لقلة إدراك الطلاب وسهولة السيطرة عليهم وتغيير أفكارهم واتجاهاتهم، وكذلك لتسارع تغير خصائصهم النفسية والفسيولوجية، وسرعة تقبلهم لما يطرح وكأنه حقائق مجردة، مما يدعو الباحث بالتأكيد على أهمية تحقيق وتعزيز الأمن الفكري ودعم جهود المنهج ممثلاً بكافة أركانه وخصوصاً المعلم.

ويمكن النظر إلى أبرز التحديات والمداخل التي تواجه الأمن الفكري وترتبط بحماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف في المرحلة الجامعية كما يرى كل من (الحمود، ١٤٢٩هـ، الشهري، ١٤٢٩هـ، القريشي، ١٤٢٩هـ) في الآتي:

- الجهل.
- التغرير والقدوة السيئة.
- التقليد الأعمى.
- تصارع الاتجاهات والأفكار.
- الانترنت، حيث أثبتت الأحداث الإرهابية المتتالية، عظم دورها في مجال ترويج الفكر المنحرف، وتسهيل التواصل بين أعضاء التنظيمات ونشر بياناتهم وكسب المزيد من المتعاطفين إضافة إلى دورها في مجال الإرهاب الفكري الموجه ضد خصوم هذه التنظيمات، وكون الاعتبارات الجغرافية تتراجع أمامها، حتى ترى العالم من خلالها وقد أصبح قرية صغيرة.
- المؤلفات المتنوعة الصغيرة والكبيرة.

ويضيف الباحث في هذا الصدد التحديات التالية:

- المنهج الخفي.
- الكتاب المدرسي الخفي.
- عضو هيئة التدريس المتطرف.
- الطالب المتطرف المؤثر.
- التكتلات الطلابية داخل الجامعة وخارجها.
- الإعلام بكافة أنواعه ووسائله.

أن كل نظام تعليمي يسعى أن تكون بيئة التعلم في مراحله المختلفة آمنه يشعر فيها الطالب بالأمن والطمأنينة النفسية والاجتماعية، وأن تكون أخلاقية تسود بين أعضائها الأخلاق الإسلامية الفاضلة، ونظامية يسودها النظام الدقيق العادل الذي تكسب الطلاب خلّة الشعور بالالتزام والانضباط والمسؤولية، واجتماعية يتفاعل أفرادها تفاعلات ايجابية بالرأي والحوار والقرار والإدارة، وتكسبهم شعوراً بالثقة في النفس والمسؤولية والايجابية تجاه الغير

٢/٣ أهداف تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

يحقق تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات جملة من الأهداف والفوائد المحمودة

التي تقود في مجملها إلى حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف من الفكر الضال والمنحرف، عبر أدوار علاجية متنوعة على النحو الآتي:

- المساهمة الفعالة في معالجة أسباب سجنهم؛ إذ السجن وإن كان عقوبة، فهو كذلك من وسائل العلاج في الوقت نفسه.
- التزود بالعلوم والمعارف التي تعينهم في حياتهم وتنفعهم بعد مماتهم، وخاصة الشرعية والدعوية، والتي تساعد على رقي النفس البشرية، وتهذب سلوكهم، وتقوم اعوجاجهم، وتنير بصيرتهم.
- إعطاء فسحة من النور والأمل للمسجون لاستغلال وقته، واستدراك ما فاته، وإحياء النظرة الإيجابية فيه للحياة والمجتمع عند الخروج، وانتهاء المحكومية، فما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.
- إعادة التأهيل للاندماج مع المجتمع، والحصول على فرصة عمل مناسبة بعد تخرجهم تمهد لهم السبل للالتحاق بركب المجتمع العامل وخدمة وطنه.
- قضاء الوقت النافع فيما يعود عليه بالفائدة والمصلحة.

٣/٣ دور الدولة في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

للدولة - وفقها الله وسددها - دور إيجابي مؤثر ومعزز في اصلاح المجتمعات، كما لها دور واضح في تقديم سياج آمن، ومؤثر ومتماسك لحماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، ويمكن النظر إلى ما سيأتي من ذكر لفهم دور الدولة تجاه حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، وعلاجهم عبر دعم وتقديم برامج أكاديمية من جامعات وطنية، ويتبلور هذا الدور في هذا البرنامج بوضوح فيما يلي:

- الموافقة الرسمية على فتح البرامج: تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات.
- الموافقة على مجانية البرنامج: بناءً على ما رفعه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية يرحمه الله؛ فقد صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله على تكفل الدولة بالرسوم الدراسية للطلاب نزلاء السجون، وتقديم هذا النمط من التعليم مجانا لأبنائهم المواطنين.

- الموافقة على استمرارية البرنامج: حيث لازالت الدولة وفقها الله في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز - حفظه الله - وسمو ولي عهده الأمين الأمير محمد بن نايف، وسمو ولي ولي العهد الأمين الأمير محمد بن سلمان - يحفظهم الله - تذلل كافة الصعاب وتفتح المزيد من البرامج.
- الموافقة على امتداد البرنامج، عبر فتح برنامج للدراسات العليا.

٤/٣ دور الجامعة في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دوراً كبيرا ومؤثراً في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، وكان للنظرة الثاقبة لمعالي مدير الجامعة عضو هيئة كبار العلماء بأن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عليها مسؤولية عظيمة تجاه الوطن وولاة أمره ومواطنيه.

وهي جامعة مؤهلة علمياً وأكاديمياً لانتشال هذه الفئة من أبنائنا وإعادتهم إلى جادة الصواب، حيث تم التوجيه لعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد أن تسهم بشكل فعال في تحمل تلك المسؤولية، والقيام بالواجب الذي تحملته الجامعة منذ إنشائها في المساهمة بكل ما يخدم الدين والوطن، ويحميه من كل فكر هدام، أو دعوة مضللة، أو سلوكيات منحرفة.

وعليه فقد تم عقد شراكة وتعاون بين وزارة الداخلية ممثلة في الإدارة العامة للمباحث، والمديرية العامة للسجون، وبين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في شراكة علمية وتربوية وتوجيهية تخدم هذه الفئة من أبناء الوطن، وتعليم كل من زلت به القدم، وحاد عن الطريق، ومساعدته في إكمال دراسته الجامعية داخل السجون في مختلف أنحاء المملكة، فتكون مع جهود العاملين في وزارة الداخلية لبناتٍ بعضها فوق بعض، يشد بعضها بعضا، تساهم في تعديل المعوج وتصحيح السلوك، وتزرع العلم الشرعي، والأخلاق الإسلامية العالية لتحمي وتكافح الشهوات والشبهات والأفكار المنحرفة والسلوكيات الضارة، وفق مناهج شرعية وعلمية رصينة، وبرامج أكاديمية عالية الجودة، حرصت الجامعة على أن تكون غذاءً لأبنائها وبناتها.

٥/٣ دور المساندين الأكاديميين في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

للمساندين الأكاديميين أعضاء هيئة التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية دوراً كبيرا ومؤثراً ومهم، في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، عبر عرض وبسط الأفكار العلمية ذات الأبعاد المتعلقة بحماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، وتقديم النافع والمفيد عند تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات.

٦/٣ آليه العمل في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

منذ العام الجامعي ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ وحتى وقتنا الحالي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تقدم خدماتها المجتمعية في هذا المجال الحيوي، وما سوف نقدمه لاحقًا من أرقام وحقائق تترجم ثمرة جهود تيسرت بفضل الله ثم توجيهات ولاة الأمر – حفظهم الله – ثم بمتابعة صاحب المعالي مدير الجامعة، وإشراف مباشر من سعادة عميد التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، والتي دائماً ما تؤكد على ضرورة تذليل كل الصعوبات والعوائق في تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات، وكل من حاد عن الطريق، ومساعدتهم في إكمال دراستهم الجامعية داخل السجون في مختلف أنحاء المملكة، فتكون مع جهود العاملين في وزارة الداخلية عامل مساعد في تعديل الأفكار المنحرفة وتصحيح المعوج من السلوك، وتقديم العلم الشرعي على يد نخبة من العلماء والمفكرين،

والمساندين الأكاديميين مقدمي اللقاءات المسجلة أعضاء هيئة التدريس من الأقسام العلمية في الجامعة.

ولأجل ضبط العمل، وتحقيق الجود المنشودة في عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تم إنشاء إدارة خاصة لشؤون نزلاء السجون في وكالة العمادة للتعليم عن بعد يهتم بهم، ويتولى التواصل مع ذويهم، ومع إدارة السجن أو الاصلاحية فيما يتعلق بشؤون نزلاء السجون الجامعية، واحتياجاتهم من الكتب والمراجع والتدريب العملي والبحثي.

كما تم تعيين مندوب في كل سجن - من منسوبيه - تم تدريبه في العمادة على آلية العمل؛ ليكون منسقاً وهمزة وصل بين الإدارة والسجين، يتمثل عمل المنسق المتابع فيمايلي:

- تلقى طلبات التسجيل، من نزلاء السجون واستكمال شروط القبول.
- الرفع للعمادة وفق بيان خاص بملف لكل طالب من أجل استكمال قبولهم في الانتساب المطور.
- بعد الموافقة على قبولهم يتم تزويد مندوب السجن بأسماء الطلاب؛ ليتم تسجيل مقررات كل طالب التي يرغب التسجيل فيها - من خلال اسم مستخدم خاص به -.
- تسليم الطالب إفادة بمواعيد اختبار مقرراته.
- التنسيق مع المسؤولين في السجن بما يتعلق بتجهيز قاعات الاختبار.
- التنسيق مع المسؤولين في السجن لحضور الطالب للاختبار، وفق ضوابط متفق عليها بين العمادة وإدارة السجن.
- تسليم الطالب كشف بنتائج اختباراته النهائية.
- تقديم الخدمات الأكاديمية المعتادة لطلاب الانتساب المطور، كالتوصيات العلمية والسجل الأكاديمي، وغيرها.

وقبل موعد الاختبار يتم تشكيل ما يلي:

- لجنة اختبار لكل سجن من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أو من معلمي المعاهد

العلمية، للمشاركة في الإشراف والترتيب.

- تجهيز كل سجن بمتطلبات الاختبار من الأسئلة والأقلام وغيرها.
- متابعة سير عملية الاختبارات بجميع جوانبها.

كما تتولى إدارة نزلاء السجون بالعمادة التواصل مع المفرج عنهم، وكذا المطلق سراحهم التابعين لمركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية فيما يتعلق بالإعفاءات المالية، أو رعاية شؤونهم الجامعية.

٧/٣ عدد الملتحقين ببرنامج تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات:

بلغ عدد الطلاب نزلاء السجون المسجلين في الانتساب المطور منذ افتتاح مراكز السجون حتى العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ (٢٤٥٧) طالباً. وفي الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ بلغ عدد الطلاب المسجلين على النحو الآتي:

م	التخصص	عدد الطلاب	م	التخصص	عدد الطلاب
١	التحضيري	٣٥٧	٦	إدارة الأعمال	٢٣٦
٢	الشريعة	١٨٢	٧	الاقتصاد	١٣
٣	الدعوة	٢٤	٨	المحاسبة	٦
٤	أصول الدين	٦١	٩	الأنظمة	٨٠
٥	اللغة العربية	٨	–	–	–
المجموع		**٩٦٧ طالباً**			

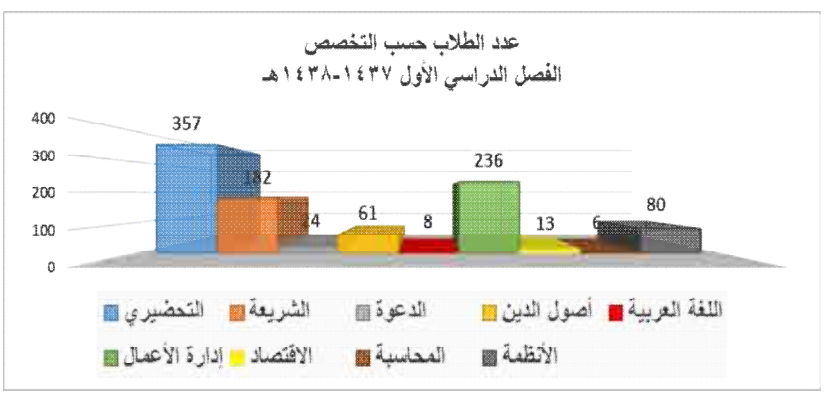

٨/٣ عدد الخريجين من السجناء حسب التخصص:

م	التخصص	عدد الطلاب
١	الشريعة	٦٠
٢	الدعوة	٢٢
٣	اللغة العربية	٢
٤	إدارة الأعمال	٣٠
٥	الاقتصاد	٤
	المجموع	**١١٨**

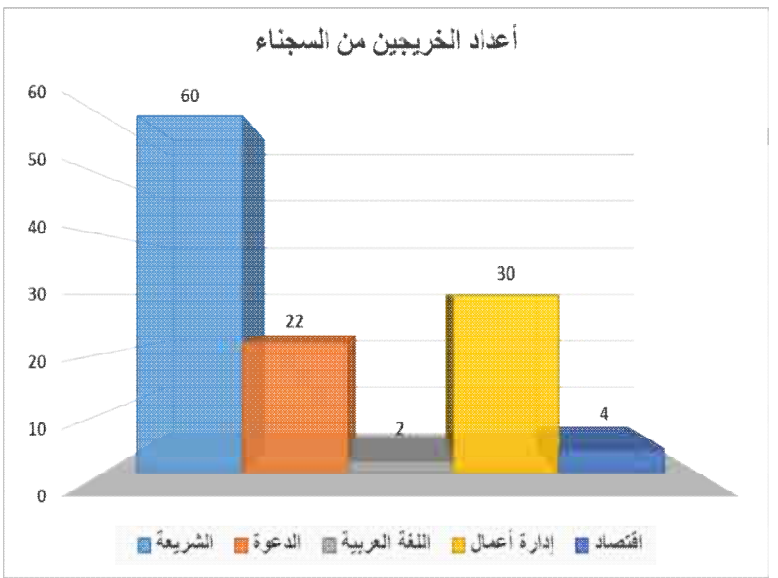

٩/٣ عدد الطلاب الذين أكملوا دراستهم بعد الخروج من السجن حسب التخصص:

م	التخصص	عدد الطلاب	م	التخصص	عدد الطلاب
١	التحضيري	١١١	٦	إدارة الأعمال	٢١٣
٢	الشريعة	١٢٣	٧	الاقتصاد	١٢
٣	الدعوة	٤٦	٨	المحاسبة	٣
٤	أصول الدين	٢٩	٩	الأنظمة	١٧
٥	اللغة العربية	٣	–	–	–
المجموع		**٥٦٠ طالبًا**			

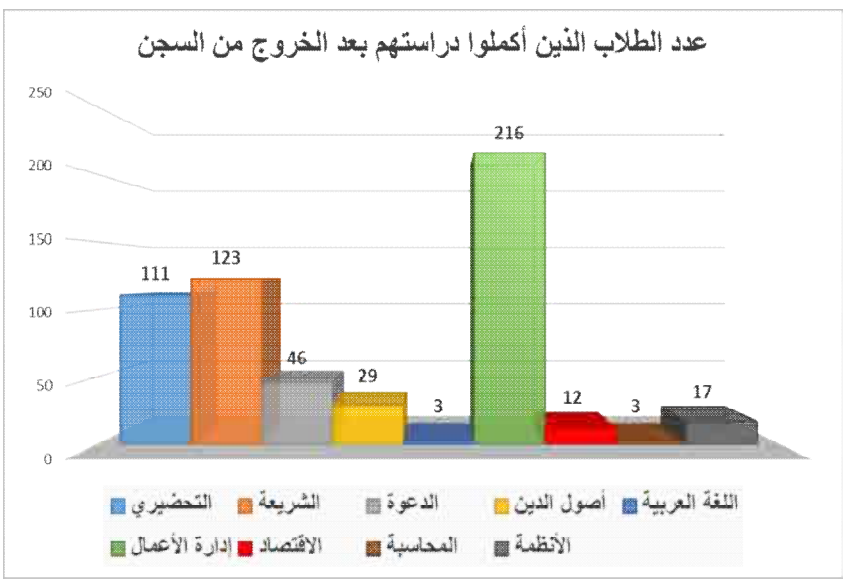

١٠/٣ عدد طلاب مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية:

م	التخصص	عدد الطلاب	م	التخصص	عدد الطلاب
١	التحضيري	١٩	٦	إدارة الأعمال	١٥
٢	الشريعة	٦٦	٧	الاقتصاد	١
٣	الدعوة	١٢	٨	المحاسبة	–
٤	أصول الدين	٥	٩	الأنظمة	١
٥	اللغة العربية	١	–	–	–
المجموع		**١٢٠ طالبًا**			

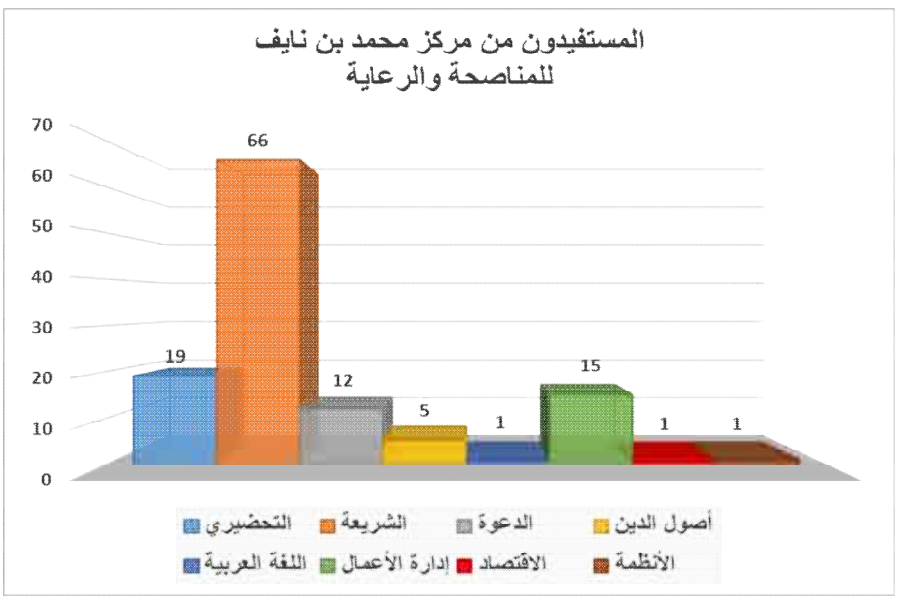

٤/ مراكز السجون في المملكة:

١/٤ مراكز اختبارات عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد في السجون:

نتيجة للتعاون المتميز والمثمر والبناء بين وزارة الداخلية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد تم افتتاح أربعة عشر مركزًا في مختلف سجون المملكة العربية السعودية، وهي على النحو الآتي:

١/١/٤ مراكز سجون المباحث العامة:

١	سجن المباحث العامة بالحاير في الرياض	٤	سجن المباحث العامة بمدينة الدمام
٢	سجن المباحث العامة بالطرفية في القصيم	٥	سجن المباحث العامة بمحافظة جدة
٣	سجن المباحث العامة بمدينة أبها	-	-

٢/١/٤ مراكز سجون المديرية العامة للسجون:

١	إصلاحية الحاير بالرياض	٦	سجن محافظة عنيزة
٢	سجن الملز بالرياض	٧	سجن المباحث العامة بمحافظة جدة
٣	سجن محافظة الخرج	٨	سجن رفحاء العام
٤	سجن حائل العام	٩	سجن محافظة الأحساء
٥	سجن محافظة حفر الباطن	١٠	سجن محافظة الرس

٤/٢ التطور التاريخي لبرنامج تدريس نزلاء السجون والاصلاحية من حيث الافتتاح وعدد الطلاب والخريجين:

٤/ ٢/ ١ المركز الأول: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالحاير بالرياض:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٢٩/١٤٣٠هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٩ طلاب.
عدد الطلاب حاليًا	٢٦٨ طالبًا.
عدد الخريجين	٧٧ طالبًا، والمتوقع تخرجهم هذا الفصل ١٧ طالبًا.

٤/ ٢/ ٢ المركز الثاني: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالطرفية بالقصيم:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٠/١٤٣١هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	١٥ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	١٢٠ طالبًا.
عدد الخريجين	٢٠ طالبًا، والمتوقع تخرجهم هذا الفصل طالب واحد.

٤/ ٢/ ٣ المركز الثالث: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالحاير بمدينة أبها:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/١٤٣٨هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٥ طلاب.
عدد الطلاب حاليًا	-
عدد الخريجين	-

٤/ ٢/ ٤ المركز الرابع: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالحاير بمدينة الدمام:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/١٤٣٨هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٤ طلاب.
عدد الطلاب حاليًا	-
عدد الخريجين	-

٤/ ٢/ ٥ المركز الخامس: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالحاير بمدينة جدة:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/١٤٣٨هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٦ طلاب.
عدد الطلاب حاليًا	-
عدد الخريجين	-

٤/ ٢/ ٦ المركز السادس: مركز اختبارات إصلاحية الحاير بالرياض:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٦٠ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٢٥٦ طالبًا.
عدد الخريجين	٩ طلاب، والمتوقع تخرجهم هذا الفصل طالب واحد.

٤/ ٢/ ٧ المركز السابع: مركز اختبارات سجن الملز بالرياض:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٣٠ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٢٤ طالبًا.
عدد الخريجين	٣ طلاب.

٤/ ٢/ ٨ المركز الثامن: مركز اختبارات سجن محافظة الخرج:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٢٠ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٣٧ طالبًا.
عدد الخريجين	خريج واحد، والمتوقع تخرجهم هذا الفصل طالب واحد.

٩/٢/٤ المركز التاسع: مركز اختبارات سجن حائل العام:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٥/١٤٣٦هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٣٤ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	١٠٦ طالبًا.
عدد الخريجين	خريج واحد.

١٠/٢/٤ المركز العاشر: مركز اختبارات سجن محافظة حفر الباطن:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٥/١٤٣٦هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٤٤ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٥٣ طالبًا.
عدد الخريجين	-

١١/٢/٤ المركز الحادي عشر: مركز اختبارات سجن محافظة عنيزة:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٢١ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	١٥ طالبًا.
عدد الخريجين	-

١٢/٢/٤ المركز الثاني عشر: مركز اختبارات سجن رفحاء العام:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٢١ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٢٣ طالبًا.
عدد الخريجين	-

١٣/٢/٤ المركز الثالث عشر: مركز اختبارات سجن محافظة الأحساء:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٢٣ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	٣١ طالبًا.
عدد الخريجين	-

١٤/٢/٤ المركز الرابع عشر: مركز اختبارات سجن المباحث العامة بمحافظة الرس:

الافتتاح	الفصل الدراسي الأول من العام الجامعي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ.
عدد الطلاب في الافتتاح	٣٢ طالبًا.
عدد الطلاب حاليًا	١٩ طالبًا.
عدد الخريجين	-

وبالنظر إلى ما تقدم من بيانات تتبع تاريخي نجد الآتي:

١- إن البرنامج تم افتتاحه في عام ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ وقد بلغ من التحق به من الطلاب حتى الفصل الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ (٢٤٥٧) طالباً.

٢- بلغ عدد المسجلين في الفصل الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ (٩٦٧) طالباً.

٣- بلغ عدد الطلاب الذين أكملوا دراستهم الجامعية بعد الخروج من السجن (٥٦٠) طالباً.

٤- بلغ عدد الطلاب من مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية (١٢٠) طالباً.

٥- بلغ عدد مراكز الاختبارات لعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد داخل السجون والاصلاحيات (١٤) مركزاً.

٣/٤ أعداد الطلاب في مراكز السجون:

م	اسم المركز	عدد الطلاب
١	مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالحاير في الرياض	٢٦٨ طالبًا
٢	مركز اختبارات سجن المباحث العامة بالطرفية في القصيم	١٢٠ طالبًا
٣	مركز اختبارات سجن المباحث العامة بمحافظة أبها	٥ طالبًا
٤	مركز اختبارات سجن المباحث العامة بمحافظة الدمام	٤ طالبًا
٥	مركز اختبارات سجن المباحث العامة بمحافظة جدة	٦ طالبًا

م	اســـم المركـــز	عدد الطـــلاب
٦	مركز اختبارات إصلاحية الحاير بالرياض	٢٥٦ طالبًا
٧	مركز اختبارات سجن الملز بالرياض	٢٤ طالبًا
٨	مركز اختبارت سجن محافظة الخرج	٣٧ طالبًا
٩	مركز اختبارات سجن حائل العام	١٠٦ طلاب
١٠	مركز اختبارات سجن محافظة حفر الباطن	٥٣ طالبًا
١١	مركز اختبارات سجن محافظة عنيزة	١٥ طالبًا
١٢	مركز اختبارات سجن رفحاء العام	٢٣ طالبًا
١٣	مركز اختبارات سجن محافظة الأحساء	٣١ طالبًا
١٤	مركز اختبارات سجن محافظة الرس	١٩ طالبًا
	المجمـــوع	**٩٦٧ طالبًا**

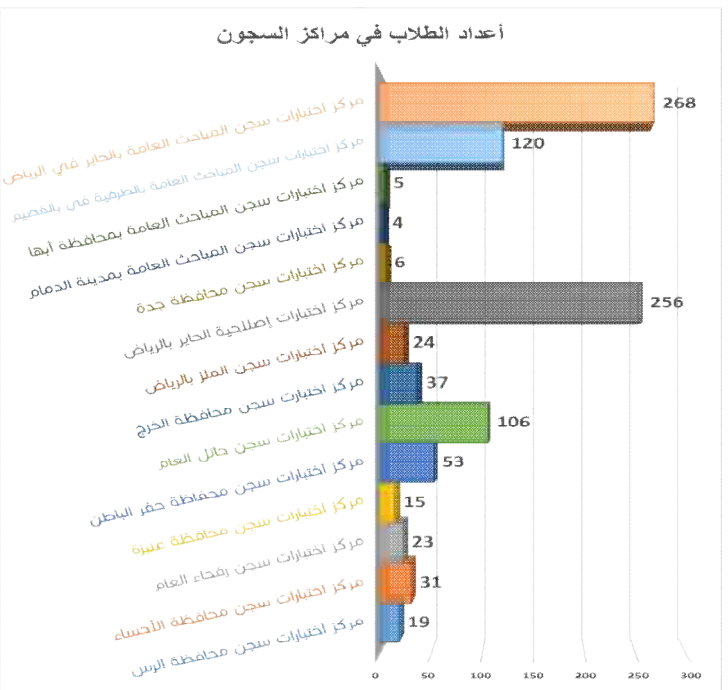

٥/ أهم النتائج والتوصيات:

١/٥ أهم النتائج:

توصلت الورقة العلمية إلى جملة من النتائج على النحو الآتي:

- اهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بقضايا حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.
- اهتمام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفئة نزلاء السجون والاصلاحيات.
- الدور الرائد والمؤثر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.
- مسايرة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للتطورات العالمية في ما يخص تقديم البرامج الأكاديمية النوعية، ومنها برنامج تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات.
- تفضيل طلبة السجن التسجيل في البرامج التي تقدمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في برامج العمادة.
- ارتفاع الطلب على للتسجيل في البرامج التي تقدمها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في برامج العمادة.
- بلغ من التحق بالبرامج منذ افتتاحه من الطلاب حتى الفصل الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ (٢٤٥٧) طالباً.
- بلغ عدد المسجلين في الفصل الأول من العام الجامعي ١٤٣٧/ ١٤٣٨هـ (٩٦٧) طالباً.
- بلغ عدد الطلاب الذين أكملوا دراستهم الجامعية بعد الخروج من السجن (٥٦٠) طالباً.
- بلغ عدد الطلاب من مركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية (١٢٠) طالباً.
- بلغ عدد الخريجين للدفعة الأولى (١١٨) طالبًا.
- بلغ عدد مراكز الاختبارات لعمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد داخل السجون والاصلاحيات (١٤) مركزاً.

٢/٥ التوصيات:

عطفاً على النتائج يوصي الباحث بما يأتي:

- التوسع في البرنامج ليشمل سجون أخرى.
- نشر أدبيات البرنامج وآليات عملة على مستوى العالمي، والمشاركة في مؤتمرات وأنشطة تسلط الضوء عليه.
- تطوير المقررات الدراسية التي تقدم في البرنامج لتكون مقررات إلكترونية.
- إجراء دراسة لمدى فاعلية برنامج تدريس نزلاء السجون والاصلاحيات في حماية للشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف.

٦/ المراجـــع:

- أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الأمن والحياة، (١٤٢٥هـ)، السنة ٢٣ جمادى الأولى١٤٢٥هـ، العدد ٢٦٤.
- عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد (١٤٣٨هـ)، سجل حفل تخريج الدفعة الأولى من نزلاء سجن المباحث من طلاب الانتساب المطور بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد (١٤٣٨هـ)، ثمرات يانعات للتعاون بين عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد والمدرية العامة لسجون المباحث والمديرية العامة للسجون.
- عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد (١٤٣٨هـ)، التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- البراق، سالم (١٤٠٨هـ)، الإرهاب الوقاية والعلاج، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الشرطية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- حريز، محمد الحبيب (١٤٢٦هـ)، واقع الأمن الفكري، الأمن الفكري، الرياض: مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- الحمود، إبراهيم ناصر (١٤٢٩هـ)، الانحراف الفكري وعلاقته بالإرهاب، الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- السديس، عبد الرحمن محمد (١٤٢٦هـ)، الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، الأمن الفكري، الرياض: مركز الدراسات والبحوث بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- الشهري، فايز عبد الله (١٤٢٩هـ)، الخطاب الفكري على شبكة الإنترنت رؤية تحليلية لخصائص وسمات التطرف الالكتروني، الرياض: جامعة الملك سعود.
- عبد الحي، رمزي أحمد (٢٠٠٨م)، التربية وظاهرة الإرهاب دراسة في الأصول الثقافية للتربية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- القريشي، خالد عبد الرحمن (١٤٢٩هـ)، الإرهاب الفكري مفهومه، بعض صوره، سبل الوقاية منه، الرياض: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- على، سعيد إسماعيل (١٩٨٩م)، الأمن التربوي العربي، القاهرة: عالم الكتب.
- فان دالين، ديوبولد (٢٠٠٧م)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نوفل وآخرون، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- اللويحق، عبد الرحمن معلا (١٤٢٥هـ)، الإرهاب والغلو: دراسة في المصطلحات والمفاهيم، بحث مقدم للمؤتمر العالمي " موقف الإسلام من الإرهاب " الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المالكي، عبد الحفيظ عبد الله (١٤٢٧هـ)، نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، دراسة وصفية لدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- المويشر، محمد أحمد (١٤٢٨هـ)، دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري دراسة تطبيقية على مدينة سكاكا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- موقع عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد -http://e-imamu.edu.sa

دور الأستاذ الجامعي

في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب

أ.د. أسماء بنت عبد العزيز الداود

وكيلة عمادة الدراسات العليا

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[1]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[2]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾[3]... أما بعد[4]:

لقد جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، ومقاصده العظيمة ليحفظ للناس دينهم، ويصون حقوقهم، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

يقول العز بن عبدالسلام ـ رحمه الله ـ: (معظم مقاصد القرآن: الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها)[5].

وحفظ الضروريات الخمس في المقدمة من هذه المصالح وهي كما عرفها الشاطبي ـ رحمه الله ـ: (ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين)[6].

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة كما سماها العلماء وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بعض طرقها استقصاها في رسالة بعنوان: خطبة الحاجة (الرسالة المذكورة ص ١٣-١٤، ط٤، ١٤٠٠هـ، الناشر: المكتب الإسلامي).

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/ ٨. لأبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السليم، مؤسسة الرياض، بيروت، ١٤١٠هـ.

(٦) الموافقات ٢/ ٨. تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط الأولى، ١٤١٧هـ، الناشر: دار ابن عفان.

وحددها العلماء بأنها حفظ: (الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسب).

ومعلوم أن ثمة ترابطاً بين الأمن وحفظ هذه الضروريات فأمن الناس لا يكون إلا باستقامة الحياة في جوانبها الضرورية، ولئن كانت الحاجة إلى الأمن ظاهرة في كل حين، فإن تلك الحاجة تزداد، وتستوجب الاهتمام، حين تكثر العوامل المؤدية إلى الإخلال بالأمن أو العوادي التي تستهدف ذلك، وليس زمان عاشته الأمة كهذا الزمان، فتطور الاتصالات والوسائل التي دخلت كل دار جعلت الأفكار تسري في الناس سريان الهواء في الآفاق.

ولا شك أن الحفاظ على نعمة الأمن ليست مقصورة على رجال الأمن وحدهم، بل هي مسؤولية تقع على عاتق كل مسلم يعلم أن الأمن من أعظم النعم التي امتن الله بها على عباده عندما قال سبحانه: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[1].

والأستاذ الجامعي وهو أحد أفراد المجتمع يقع على عاتقه مسؤولية كبيرة في تعزيز الأمن الفكري والدعوة إليه وتحصين أفراد المجتمع ضد أمراض الغلو والتطرف من خلال إكسابهم المعايير الدينية والقيم الخلقية والقدوة الحسنة، وتتمثل هذه المسؤولية بالتوعية والوقاية أولاً ثم التقويم والمعالجة ثانياً.

فالتوعية هي الأداة الوقائية المثلى من كافة أشكال انحرافات الفكر والسلوك خاصة في ظل الفوضى الفكرية وازدواجية المعايير التي يشهدها العالم.

وتزداد أهمية التوعية في خضم ما تطالعنا به بعض الجهات من نتاج فكري شاذ ومنحرف وغريب عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية. ومن هنا جاءت أهمية الدعوة إلى تعزيز الأمن الفكري وتحقيقه لدى جميع فئات المجتمع عن طريق كافة المؤسسات التربوية والتعليمية.

وإذا كانت الأهداف الرئيسة للجامعة تكمن في إعداد الشباب الإعداد الصحيح عن طريق تزويدهم بالمعرفة والعمل على تعميقها، وتشجيع روح البحث العلمي، وتنمية

(١) سورة قريش، الآيتان (٣-٤).

شخصياتهم ومواهبهم وتعزيز قدراتهم، فضلاً عن خدمة المجتمع من خلال التنمية والتطوير الشامل، فإن الذي يلاحظ مع كل أسف شديد أن كثيراً من الجامعات ينصب دورها أساساً على الاهتمام بنقل المعارف العلمية المجردة والحقائق مع إهمال الجوانب الفكرية للطلاب، خاصة المتعلقة بتنمية إحساسهم بالانتماء وتزويدهم بالقيم، وإعدادهم لمجابهة المخاطر التي تحيط بهم، والتحديات التي تهدد وطنهم وأمنهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أن الإسلام دين العدالة والأمن والمحبة وهو دين يحارب العنف ويحرم الظلم والبغي والإفساد في الأرض.

٢- أن في الأمن الفكري حماية لأهم المكتسبات وأعظم الضروريات وعلى رأسها دين الأمة وعقيدتها.

٣- أن العنف والتطرف أصبح ظاهرة منتشرة في بلاد العالم كله مما يهدد سلامة الجماعات والأفراد وأمنهم.

٤- أن منافذ الغزو الفكري أوسع من أن تحد، فالأمن الفكري يحتاج إلى حراسة كل دار، بل كل عقل، وحمايته من الاختراق قدر الإمكان، وهذا يوسع المسؤولية.

٥- ظهور حركات الغلو والتطرف في مجتمعاتنا الإسلامية يستدعي الاتحاد والتعاون في القضاء عليها والعمل الجاد على اجتثاثها من جذورها كل حسب تخصصه وميدانه.

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم الأمن الفكري وأهميته.

٢- التعرف على ركائز الأمن الفكري.

٣- الكشف عن جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.

٤- الكشف عن مهددات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب في المؤسسات التعليمية.

٥- بيان دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ومجالاته.

تساؤلات البحث:

١- ما مفهوم الأمن الفكري وما أهميته؟

٢- ما ركائز الأمن الفكري؟

٣- ما جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب؟

٤- ما مهددات تعزيز الأمن الفكري في المؤسسات التعليمية؟

٥- ما دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ومجالاته؟

تقسيمات البحث:

- المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره، أهداف البحث، تساؤلات البحث، تقسيمات البحث)
- المبحث الأول: مفهوم الأمن الفكري وأهميته وركائزه، وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري.
  - المطلب الثاني: أهمية تعزيز الأمن الفكري.
  - المطلب الثالث: ركائز الأمن الفكري.
- المبحث الثاني: جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.
  - المطلب الثاني: مهددات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب في المؤسسات التعليمية.
- المبحث الثالث: دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ومجالاته، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.
  - المطلب الثاني: مجالات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.
- الخاتمة وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول
مفهوم الأمن الفكري وأهميته وركائزه

تمهيـــد:

من أكبر النعم أن منَّ الله علينا بنعمة الإسلام وحفظ لنا الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل والمال والنسل يقول الشاطبي ـ رحمه الله ـ: (اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضرورات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت لنا بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد)[1].

لذا كان من مقاصد هذه الشريعة الحنيفية حماية الفكر المسلم من الانحراف من جهة التقصير والتفريط، والانحراف من جهة الغلو والتطرف وخروجه عن دائرة الاعتدال والوسطية يقول تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[2].

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (والشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في أمور المعاش والمعاد فهي خير كلها وعدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ومن المصلحة إلى ضدها فليست من الشريعة)[3].

ويمكننا التعرف على مفهوم الأمن الفكري وأهمية الدعوة إلى تحقيقه من خلال المطلبين التاليين:

---

(١) الموافقات ١/ ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٣/ ١٤ لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط الثانية، ١٣٩٧هـ، دار الفكر، بيروت.

المطلب الأول: مفهوم الأمن الفكري:

الأمن في اللغة ضد الخوف. يقال: أَمِنَ يأْمَنُ أمناً. والمأمن: موضع الأمن والأصل أن يستعمل في سكون القلب. فالأمن يعني: السكينة والاستقرار والطمأنينة والصدق وعدم الخيانة [1].

أما عن معنى الأمن في الاصطلاح فقد اختلفت التعريفات بحسب اختلاف التخصصات، وقد عرفه المتقدمون بأنه: عدم توقع مكروه في الزمان الآتي[2].

وعرفه المعاصرون بأنه: السلامة والطمأنينة للجميع في كل مجالات الحياة[3].

وقيل أن الأمن هو: الشعور بالطمأنينة الذي تتحقق من خلال رعاية الفرد والجماعة ووقايتها من الخروج عن قواعد الضبط الاجتماعي من خلال ممارسة الدور الوقائي والقمعي والعلاجي الكفيل بتحقيق هذه المشاعر [4].

وقد وردت كلمة (الأمن) في القرآن الكريم في عدة مواطن منها:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ

---

(١) انظر: العين ٨/ ٣٨٨ للخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال، وانظر: معجم مقاييس اللغة ١/ ١٣٣ لأحمد بن فارس بن زكريا، ط٢، ١٤٢٠هـ، الناشر: دار الجيل، بيروت، وانظر: لسان العرب ١٣/ ٢١ لابن منظور، الناشر: دار صادر، بيروت، وانظر: المصباح المنير ١/ ٢٤ مادة (أمن) للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

(٢) انظر: التعريفات ص٥٥، تأليف: الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط الأولى، ١٤٢٧هـ، الناشر: دار الفيحاء للنشر والتوزيع، سوريا، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٩٠ للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط ١، ١٤١٢هـ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية.

(٣) انظر: نحو أمن فكري إسلامي ص١٩ تأليف: رضوان بن طاهر الطلاع، ط٢، ١٤٢٠هـ، الناشر: الدار الإسلامية. وانظر: الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه: (الندوة العالمية الرابعة: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأفقية) ص٥٣. الناشر: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض. وانظر: تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، ص٤ تأليف: د. حسن خطاب، ١٤٣٠هـ، وانظر: الأمن في ضوء الإسلام ص٩ تأليف: علي فايز الحجني، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.

(٤) إدارة الأمن في المدن الكبرى ص٣٢ تأليف: عماد حسين عبدالله، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤١١هـ.

مُهْتَدُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] ويقول جل شأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[4].

وجاء في السنة أيضاً كما في حديث عبدالله بن محصن الخطمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)[5].

وكان من دعاء النبي ﷺ: (اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي)[6] فالخوف والروع نقيض الأمن الذي يطلبه المسلم في حياته.

والفكر في اللغة مأخوذة من فكر في الأمر أي: أعمل العقل فيه وتأمله يقال: رجل فكير: كثير التفكر. والفكر: إعمال الخاطر في الشيء[7]. يقال: لي في الأمر فكر: أي نظر وروية.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٨١).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٤) سورة النحل، الآية: (١١٢).

(٥) أخرجه الترمذي في باب الزهد ٤/ ٥٧٤ رقم: (٢٣٤٦)، وأخرجه ابن ماجة في باب القناعة (١٣٨٧) رقم (٤١٤١) والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٢) رقم: (١٠٦٣٢) وقال الترمذي: (حديث حسن غريب) وقال البيهقي: (هذا أصح ما روي في هذا الباب).

(٦) أخرجه أبو داود في باب ما يقول إذا أصبح (٤/ ٣١٨) رقم: (٥٠٧٤)، والنسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا أمسى (٦/ ١٤٥) رقم: (١٠٤٠١)، وابن ماجة باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٢/ ١٢٧٣) وأحمد في المسند (٢/ ٢٥) رقم: (٤٧٨٥) وصححه ابن حبان (٣/ ٢٤١) رقم: (٩٦١) والحاكم: (١/ ٦٩٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٤٦ مادة (فكر)، وانظر: لسان العرب ٥/ ٦٥، وانظر: مختار الصحاح ص٢٤٢ تأليف: محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٩م، وانظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨. قام بالإخراج د. إبراهيم أنيس، د. عبدالحكيم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المطبعة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا.

والفكر اصطلاحاً: اختلفت تعريفات الباحثين في معنى الفكر فذهب بعضهم إلى أن الفكر هو: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول [١].

وقيل: انتقال النفس في المعاني انتقالاً بالقصد لطلب علم أو ظن [٢].

وقيل: هو استخدام العقل وتوظيفه للوصول إلى الحقائق والسلامة والأمان[٣].

ولقد دعا الإسلام إلى التفكر وحث عليه كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنْ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾[٥] وقوله جل شأنه: ﴿ فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦].

ومصطلح (الأمن الفكري) مصطلح حديث تعددت فيه آراء الباحثين والمهتمين بقضايا الفكر فقيل هو: سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون بما يؤول به إما إلى الغلو والتنطع أو الإلحاد والعلمنة الشاملة[٧].

وقيل هو: خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها [٨].

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء ص٣٤٩ تأليف: محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، ط٢، ١٤٠٨هـ، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) انظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ص٧٦ تأليف: عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٣) انظر: الانحراف الفكري وأثره في الإرهاب ص٣٢٧ أ.د خالد القريني، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٤) سورة الحشر، الآية: (٢١).

(٥) سورة الروم الآية: (٨).

(٦) سورة الأعراف، الآية: (١٧٦).

(٧) الأمن الفكري الإسلامي ص٥١ تأليف: سعيد بن مسفر الوادعي، مجلة الأمن والحياة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية رقم ١٨٧.

(٨) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ص٢٣ للدكتور حيدر بن عبدالرحمن، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، وانظر: دولة تحت مظلة الأمن ص٢٥-٢٧ تأليف: خالد صالح الشمري، ١٤١٩هـ.

وهناك قدر مشترك يتفق الجميع فيه على أن المراد بهذا المفهوم سلامة الفكر، وحمايته من المؤثرات التي تتحول من أفكار إلى مبادئ ثم إلى سلوكيات.

المطلب الثاني: أهمية تعزيز الأمن الفكري:

الأمن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[1].

والأمن المقصود في الآية هو: (الأمن من المخاوف والعذاب، والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم)[2]، وقد جاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - قال: لما نزلت: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[3] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أينا لم يظلم نفسه فقال لهم رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون، إنما هو ما قال لقمان لابنه: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[4][5].

والأمن أنواع: منه ما يتعلق بالأمن على الأنفس، ومنه ما يتعلق بالأمن على الأعراض، ومنه ما يتعلق بالأمن على الأموال، ومنه ما يتعلق بالأمن على العقل، والاعتداء على أحد هذه الأنواع والضرورات يعد من أكبر الكبائر الذي يؤول بأصحابها إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

وإن من أهم أنواع الأمن ولبه، وركيزته، هو الأمن الفكري: إذ بالعقل يتميز الخبيث من الطيب والباطل من الحق، والضلال من الهدى.

وقد أمر الله تعالى بحفظ العقول من أي اعتداء عليها، ونهى عن تعاطي كل ما يضر بها وحرمه، لأن العقل هو قوام الإنسان وزينته وإليه يوجه الخطاب، ولقد خاطب الله

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٢٩٢ للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح الثقافي، عنيزة، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

(٤) سورة لقمان، الآية: (١٣).

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، ٦/ ٢٥٤٢، حديث رقم: (٦٥٣٨).

سبحانه أصحاب العقول في مواضع كثيرة من القرآن حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾[3].

وبأمن العقول يطمئن الناس على ما عندهم من أصول وثوابت، ويأمنوا على ما لديهم من قيم ومبادئ.

لذلك حرصت الشريعة الإسلامية على تعزيز الأمن الفكري، فخاطبت العقول والقلوب في مواضع كثيرة من نصوص القرآن والسنة المطهرة وأسهمت في حفظ العقول من كل فكر ضال يمس الثوابت والعقيدة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (الشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف الأمة في العقائد، والأحوال، والعبادات، والأعمال والسياسات والأحكام)[4].

ولذلك كان من المهم أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين مطمئنين حتى يتحقق لهم ما يلي:

١- أن الأمن الفكري يحقق للأمة أهم خصائصها من التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج.

٢- أنه سياج آمن للأفراد والمجتمعات من الانحرافات الضارة بمصالح العباد والبلاد.

٣- أن الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته على أسس منهجه المستمد من كتاب الله وهدي النبي الكريم محمد ﷺ، إذ في

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٦٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩٠).

(٣) سورة القصص، الآية: (٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩/ ٣٠٨. جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

غياب الأمن الفكري تكون العقول مشغولة بأمنها لا يستقر لها حال، ممزقة الأوصال مشتتة الأفكار والآراء فلا تستطيع بناء حضارتها وثقافتها.

٤- بالأمن الفكري يمكن التصدي لأي هجوم فكري هدفه التشكيك والطعن في الإسلام ومبادئه وأهله.

٥- بالأمن الفكري تنعم البلاد ويستريح العباد من الأفكار الضالة المخالفة للفطرة. فالأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة لضرورته في تحقيق مصالح الأفراد والجماعات.

٦- أن في تحقيقه صيانة للشريعة وذباً عن حياضها لأن الغاية التي يتفق عليها جميع أعداء الإسلام هي الطعن والتشكيك فيه.

٧- يعمل الأمن الفكري على غرس المبادئ الأخلاقية والسلوكية التي تعمل بدورها على حفظ الشخصية وحريتها وعدم ذوبانها في غيرها.

المطلب الثالث: ركائز الأمن الفكري:

إن الأمن الفكري يعتبر من أهم مطالب الحياة لضرورته في تحقيق مصالح الأفراد والجماعات حيث أن له معنى شاملاً في حياة الإنسان فهو يشمل فضلاً عن ضمان أمنه على حياته، الأمن على عقيدته التي يؤمن بها، وموارد حياته المادية وهويته الفكرية والثقافية وكذلك الدول تحتاج إلى ضمان أمنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي فبدون تحقيقها لن يتمكن من النهوض بشعوبها والتطلع إلى مستقبل أفضل. ويمكن بيان ركائز الأمن الفكري من خلال:

١- التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة:

إن أعظم مقومات الأمن الفكري وركائزه هو تحقيق التوحيد وهو أساس المقومات وأقواها وأعظمها نفعاً وأثراً. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[1]. الأمن هنا كما قال بعض المفسرين هو الأمن التام في الحياة الدنيا والآخرة[2]. فالذي يحقق التوحيد يأمن على جميع أموره شخصية كانت أو عامة، كما

(١) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/ ١٥٣ للإمام إسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت.

يأمن من العذاب في الآخرة[1].

ويعد الانحراف الفكري نتيجة حتمية ومؤكدة للبعد عن التمسك بثوابت العقيدة الإسلامية الصحيحة وكل ما نشاهده اليوم من مظاهر الانحراف الفكري فسببه الرئيس هو البعد عن الأخذ بأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، أو الأخذ بمبادئ منحرفة بعيدة عن منهج سلف الأمة في أبواب معينة سيما أبواب الجماعة والإمامة والولاء والبراء التي تحال معظم الانحرافات الفكرية إليها وينبغي التنبيه هنا إلى أن تحقيق الأمن الفكري من خلال ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة والتمسك بثوابتها يحتاج إلى:

- إبراز قيم العقيدة المتعلقة بجوانب الانحراف الفكري وذلك من خلال مجالات تستهدف التنشئة والتربية والتعلم والتعليم.
- بيان موقف المسلم الحق تجاه تلك الثوابت وأنه موقف الرضا والتسليم.
- إبراز ثوابت العقيدة الصحيحة وربطها بمصادرها الأصيلة بفهم سلف الأمة لها.

٢- السمع والطاعة لولي الأمر:

أكد الإسلام على وجوب طاعة ولي الأمر قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2] وأولوا الأمر هم: العلماء والأمراء[3].

فالولاء للولاة ومحبتهم من أهم ركائز الأمن الفكري ويتمثل ذلك في إعطائهم حقهم من السمع والطاعة والنصح والدعاء لهم والتعاون على مصالح الدين والدنيا، إذ أنه لا يمكن أن تقوم المصالح وتنضبط ويتحقق للمجتمع المسلم الأمن والطمأنينة والوحدة إلا من خلال الولاية الشرعية ولا تتحقق مقاصد الولاية إلا بسمع وطاعة [4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من

---

(١) انظر: مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام ص٣٢. تأليف: أ.د سليمان بن عبدالله أبا الخيل، ط الأولى، ١٤٢٩هـ، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض.

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٣) حقوق ولاة الأمور (من كتاب: قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني) ص٥ تأليف: عبدالمحسن بن حمد العباد البدر، ط الأولى، ١٤٢٨هـ، الناشر: مطابع الحميضي، الرياض.

(٤) انظر: مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام ص.٦٩

أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا باجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: «إذا خرج ثلاث في سفر ليؤمروا أحدكم»[1] فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً على سائر أنواع الاجتماع)[2].

فالولاء للولاة والسمع والطاعة لهم ومحبتهم وبذل حقوقهم من أهم ركائز الأمن الفكري لاسيما وأن العائد من استقرار الولاية الشرعية في المجتمع هو تحقيق الأمن والأمان وقيام الحضارة [3].

وتبرز أهمية السمع والطاعة لولي الأمر كأحد ركائز تحقيق الأمن الفكري في المجتمع من جوانب عدة:

١- أن فيه امتثال لأمر الله تعالى وابتدار طاعته فإن من أطاع بالمعروف فقد أطاع الله قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[4].

٢- بالطاعة لولي الأمر تتماسك الأمة وتتحد كلمتها وتنتظم أمورها وتقوي الصلة بين أفرادها.

٣- بالطاعة لولي الأمر يتحقق الأمن والاستقرار والطمأنينة في المجتمع والدولة.

٤- بالطاعة لولي الأمر تظهر هيبة وقوة الأمة المسلمة أمام الأعداء ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[5].

٥- بالطاعة لولي الأمر يستقر الأمن وتتفرغ الأمة للبناء والتعمير وتحقيق الأهداف التنموية لبناء الفرد المسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقم (٢٦٠٨)

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص٤٤٧-٤٤٩. تأليف: تقي الدين أحمد بن تيمية، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

(٣) انظر: حب الوطن من منظور إسلامي ص٦١، إعداد: زيد بن عبدالكريم الزيد، ط الأولى، ١٤١٧هـ، مطبعة سفير، الرياض.

(٤) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٥) سورة الأنفال، الآية: (٤٦).

٣- لزوم جماعة المسلمين:

من مقاصد الشرع العظيمة الاجتماع والائتلاف والوحدة وهو أحد سمات أهل السنة والجماعة وسموا بذلك لأنهم اجتمعوا على السنة ولم يلتفتوا إلى ما سواها[١]. قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[٢].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أسباب تآلف القلوب: لزوم جماعة المسلمين. عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبداً: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[٣].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: (فقد جمع في هذه الأحاديث الخصال الثلاث: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة)[٤].

فعلى المسلمين التكاتف فيما بينهم والاجتماع وإزالة أسباب الفرقة والاختلاف.

٤- تعزيز قيم الوسطية والاعتدال:

تعد الوسطية ميزة لهذا الدين، ومن أبرز سماته وخصائصه، فالإسلام دين وسطية في العبادات والطاعات، وفي الأحكام والتصرفات قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[٥].

وهذه الميزة تعد من ركائز الأمن الفكري التي يمكن من خلالها تجنب المسالك المنحرفة الشاذة التي توقع في طرفي النقيض: الغلو والتطرف، والإفراط والتفريط وكلاهما من مهددات الأمن الفكري.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/ ٣٦٧. إعداد وترتيب: أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم، ط ١، ١٤١١هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٨٣ والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع رقم: (٢٦٥٨).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

وهذا ما عانت منه أمة الإسلام منذ الصدر الأول: فظهور الخوارج والجهمية والفرق المبتدعة إنما جاء بسبب مجانبة الوسطية، وتسلل هذا الفكر المنحرف إلى وقتنا هذا، بل ظهر بصورة أكبر وبعد أعمق. ظهر المتشددون الغالون في دين الله بسبب اتباع الهوى، ومجانبة الوسط. ظهر الانحراف الفكري واختل الجانب الأمني وكثر الخلاف والاختلاف والافتراق والنزاع [1].

ويمكن بيان أهمية تعزيز قيم الوسطية والاعتدال في تحقيق الأمن الفكري من خلال النقاط التالية:

١- إن سلوك مسلك وسطية هذا الدين في الفكر يحقق التوازن فيه ويعمل على تثبيت العقيدة الصحيحة.

٢- إن ترسيخ وسطية هذا الدين في فكر الطلاب يدفعهم إلى الثبات على المنهج الحق ويبعدهن عن منهج الغلو والتفريط.

٣- إن ترسيخ مبدأ الوسطية في فكر الطلاب يمكنهم من الوقوف على أخطاء المناهج الفكرية الوافدة والنظر إليها نظرة الناقد الواعي.

٤- إن اتباع الوسطية في الفكر يجعل المسلم يرجع في التنازع والخلاف إلى ثوابت الدين المتفق عليها قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [2][3].

٥- تنمية قيم الانتماء والمواطنة:

لقد دلت النصوص الشرعية على أن حب الوطن والدفاع عنه غريزة فطرية جُبل

---

(١) انظر: الاعتصام ٢/ ٧٣٧-٧٤٠، تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي بعناية: أحمد عبدالشافي، ط الثانية ١٤١١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، وانظر: أدب الدنيا والدين ص٢٣-٣٢، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ط الثانية ١٤١٥هـ، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٣) انظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص١١٠-١١١ رسالة ماجستير للباحثة: أمل محمد أحمد عبدالله محمد نور، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية عام ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ.

عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

فارتباط الإنسان بوطنه وبلده مسألة متأصلة في النفس فهو مسقط الرأس ومكان العبادة ومحل للمال والعرض ومكان الشرف.

ولهذا فلا غرابة أن يشتاق النبي ﷺ للمدينة إذا خرج منها ثم عاد فأبصر مشارفها. عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ كان ﷺ إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته ـ أي أسرع بها ـ وإذا كانت دابة حركها قال أبو عبدالله: زاد الحارث بن عمير عن حميد: (حركها من حبه)[2].

قال ابن حجر في الفتح[3] والعيني في عمدة القارئ[4] والمباركفوري في تحفة الأحوذي[5]: (فيه دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه).

ويتضح هنا أنه لا بد من ترسيخ مفاهيم الانتماء الوطني في أذهان الأجيال بكل الوسائل من مناهج تعليمية وبرامج إعلامية وغيرها لكي يتحقق القدر الأمثل في الانتماء لهذا الوطن الغالي ولقد أثبتت بعض الوقائع على خلفية الانحراف الفكري أن ثمة ارتباطاً طردياً وعكسياً بين الانتماء والمواطنة الحقة والانحراف فكلما قويت محبة الإنسان لوطنه ضعفت لديه عوامل الانحراف وكلما ضعف هذا الجانب أصبح يتقبل كل فكر دخيل ومنحرف بل ويسهل عليه أن يمد يده إلى من يستهدف الوطن بأي سوء والعياذ بالله.

---

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٤).

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٣/ ٦٢١، ووصل الزيادة الترمذي، وصححها الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ٢٧٣٧.

(٣) فتح الباري ٣/ ٦٢١ للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ: عبدالعزيز بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٣٥، تأليف: البدر العيني، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٩/ ٤٠٢ للحافظ محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

المبحث الثاني
جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري

تمهيـــــد:

تعد المؤسسات التعليمية الركيزة الأساسية التي يكتسب من خلالها الفرد العلم والمعرفة وفي مراحلها المتدرجة تتكامل فروع العلم وتتسع آفاق المعرفة وتنمو المهارات وتتحسن السلوكيات. ففي المرحلة التعليمية يكون طالب العلم على استعداد لتلقي كل ما من شأنه أن يؤثر إيجابياً في تحسين سلوكياته وعاداته، وبخاصة ما ينعكس منها على زيادة فرص الأمان لشخصه ولأسرته. لذا يجب أن يتم تزويد الطلاب والطالبات بجرعات وقائية يراعى فيها التأثير على حسّهم وانتمائهم الاجتماعي بما يدفعهم نحو الميل التلقائي إلى التمسك والالتزام بالنظم والتعليمات في كافة سلوكياتهم. ومن هنا تبرز أهمية هذه المؤسسات التعليمية في تأكيد دورها نحو التكاملية والمساهمة جعلها روافد لتزويد المجتمع بمواطنين صالحين لا ينحصر دورهم في الوظيفة أو المهنة فحسب، بل في تخريج الفرد الصالح الذي يقوم عليه المجتمع الأمر الذي يستدعي إحداث نقلة نوعية في تغيير سلوك الأفراد وإعدادهم الإعداد المتوازن الذي يكون بمثابة الدروع الواقية ضد التيارات المنحرفة.

المطلب الأول: جهود المؤسسات التعليمية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب:

ينبغي على المؤسسات التعليمية الاهتمام بتدعيم انتماء الشباب، وارتباطهم بأهدافه وقضاياه الأساسية، من خلال التحريك الفاعل لطاقاتهم ومن أهمها: الطاقات المعنوية التي تتمثل في القيم الدينية والثقافية التي تنعكس على سلوك الأفراد والجماعات.

ولكي يزداد ارتباط الشباب بمجتمعاتهم المحلية عليهم أن يمارسوا أثناء فترة دراستهم بعض الأنشطة التطوعية التي تحقق هذه الغاية ويمكن أن تكون نتائج هذه الممارسة واحدة من الأسس التي تراعى عند تقويمهم خلال فترة حصولهم على درجاتهم العلمية.

كما يجب على المؤسسات التعليمية أن تواجه مهمة رئيسة تتلخص في العمل على مساعدة الشباب على اكتشاف دورهم الاجتماعي وتهيئتهم له على أعلى مستوى من الكفاءة والفاعلية. وعلى كل من يتصدر للتوجيه العلمي والاجتماعي للطلاب أن يركز على الجوانب الإيجابية والعقلانية وذلك بتعريفهم بالدين الصحيح الذي يدعو إلى الوسطية ونبذ العنف والتطرف وتحصينهم ضد الأفكار المتطرفة ومراقبة سلوكهم وتوعيتهم بخطورة التشدد والتطرف من خلال إستراتيجية شاملة ومدروسة متبوعة بآليات عمل واضحة حتى يكون لديهم مناعة ضد كل التيارات الفكرية المنحرفة والمذاهب الهدامة التي تحاول اختراق فكرهم.

كما أن وظيفة المؤسسات التعليمية يجب أن لا تقتصر على تنمية المعرفة بل يجب أن تهتم إلى جانب ذلك بتنمية القدرات والمهارات للاستفادة منها في استثمار وقت الفراغ، ويتأتى ذلك بتوعية الشباب بأهمية وقت الفراغ وتعريفهم بميولهم بعد اكتشافها وتنميتها مع توفير الإمكانات المناسبة لاستغلال وقت فراغهم بما يفيدهم.

كما يجب أن تركز هذه المؤسسات التعليمية على الأنشطة اللاصفية والتي تعد جزءاً متمماً للعملية التعليمية، التي لا ينبغي أن يقتصر دورها على مجرد التأهيل العلمي للطلاب، بل لا بد من توسيع نطاق دورها ليسهم في تكوين شخصياتهم من خلال حثهم على المشاركة والاندماج والتفاعل مع الزميلات، ومع الهيئة التدريسية والإدارية في الأنشطة الطلابية متعددة المجالات. الأمر الذي يمكن أن يؤسس رؤية تقوم على مساعدة الشباب وتهيئتهم معرفيا وسلوكياً واجتماعياً لمعالجة أي فكر منحرف.

فالمؤسسات التعليمية مجال رحب لتعليم المزيد من المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات والأدوار الاجتماعية الجديدة بشكل مضبوط ومنظم ففيها يتعود الطلاب على الاعتماد على النفس، والتنافس الشريف وتحمل المسؤولية واحترام الأنظمة والتمسك بالحقوق وأداء الواجبات، والعمل بروح التعاون فإذا قامت هذه المؤسسات بواجبها الديني وواجبها الوطني تجاه توجيه الشباب التوجيه السليم، وجذبهم إلى دائرة الخير والصلاح ومحبة مجتمعهم ووطنهم، إن فعلت ذلك فقد أضافت للمجتمع عنصراً مهماً وفعالاً.

يقول د. عبدالعزيز الثنيان [1]: (الأصل في المؤسسات التربوية أن يكون لها دور بارز في تكريس الأمن الفكري وهي تعمل في هذا الاتجاه من خلال المناهج ولكن يبقى الدور الأكبر على المعلمين والمعلمات بتفعيل ما تحتويه هذه الكتب، ولا شك أن كليات المعلمين تولي اهتماماً كبيراً بدورات خاصة للأمن الفكري لإعطائها للمعلمين وتحصينهم بها فكرياً فالمؤسسات التربوية تولي مسؤولية الأمن الفكري اهتماماً كبيراً لتكريسها لدى النشء وإن وجدت حالات شاذة من المعلمين من أصحاب الفكر المنحرف فإنها تظل حالات شاذة يجب أن لا تعمم. لذلك يجب تعزيز جانب الأمن الفكري من المدرسة وزرع الانتماء الوطني لدى الطلاب من خلال مناهج التعليم والأنشطة المدرسية التي تؤثر في الطلاب كثيراً، فالفراغ له سلبياته وإشغال الشباب بأنشطة مفيدة وذات أهداف وطنية بناءة سيكون له أثر كبير في تحصين الشباب من الفكر المنحرف وتوجيههم نحو الأمور الحسنة التي تشكل في مجملها أمناً فكرياً)[2].

المطلب الثاني: مهددات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب في المؤسسات التعليمية:

الانحراف الفكري ظاهرة معقدة متشابكة يشترك في ظهورها جملة من العوامل والأسباب، حيث تتداخل العوامل الشخصية والنفسية مع الثقافية والسياسية والاقتصادية لتشكل ظاهرة الانحراف الفكري. ويمكن بيان مهددات تعزيز الأمن الفكري في المؤسسات التعليمية على النحو التالي:

١- الفهم الخاطئ للدين:

يؤدي الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، إلى صنوف من الانحراف والضلال، وأشد ذلك وأعظمه خطراً الحكم على الأشخاص والجماعات دون فقه أو تثبت، أو اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر، مما جعلهم يستبيحون الدماء والأموال،

---

(١) الدكتور عبدالعزيز الثنيان وكيل وزارة التربية والتعليم سابقاً، عضو اللجنة التعليمية بمجلس الشورى.

(٢) (نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع)، قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية ضمن بحوث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات) في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول عام ١٤٣٠، ص١٣-١٤، الناشر: كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.

والاعتداء على حياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم ومصالحهم العامة، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلامية [1]. وهذا ما يدعمه وجود من يدعون العلم والفقه الدين، ويتساهلون في أمور الحلال والحرام، ويأخذون من الأمور ظاهرها أو وفق أهوائهم الشخصية دون الرجوع إلى العلماء الأكفاء وأهل العلم الشرعي الصحيح[2].

٢- التقصير في القيام بواجب النصح والإرشاد:

تقع مسؤولية بيان الحق للناس وهدايتهم إليه على أهل العلم والفقه والمعرفة، فإن الله جل وعلا حملهم هذه المسؤولية العظيمة وهي هداية البشرية، ونشر العلم، وبذل النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، فمتى ما أهمل العلماء هذه المسؤولية العظمى فإن النفوس تتيه، والأفكار تزيغ، يقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

٣- الخلافات الأسرية:

للأسرة في الإسلام شأن عظيم، فهي الأساس الذي عندما يكون راسخاً متيناً، يكون صرح المجتمع وبناؤه شامخاً منيعاً، لما يختزنه من عوامل القوة والحيوية والنماء. وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن أغلب المنحرفين يأتون من أسر يعاني أفرادها من اضطرابات في علاقتهم، أو يجهل الأبوان فيها بأساليب التربية السليمة [4]. ففي المرحلة التي يحتاج فيها المراهق إلى النصح والإرشاد والشعور بالمحبة والألفة، يدخل في جو من الحرمان والضياع، قد يدفع به هذا الشرخ العميق في العلاقات الأسرية إلى ارتكاب الكثير من المعاصي والتهور والعصبية النفسية التي تدخله في طريق مسدود لاسيما إذا صادفته

---

(١) الانحراف الفكري في الأمة إعداد: خالد بن علي المشيقح ورقة بحثية على الإنترنت (http://www-almadiima.com/node/296420)

(٢) انظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية ص ١١ إعداد: أسماء بنت عبدالعزيز الحسين (ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) والذي أقيم في الفترة من ١-٣/ ٣/ ١٤٢٥هـ.

(٣) النحل: ٤٣.

(٤) انظر: دور الأسرة في تحصين أبنائها ضد التطرف والإرهاب وتعزيز الانتماء الوطني لديهم ص٢٠٦-٢١١ إعداد: سمير شعبان (ضمن بحوث مؤتمر الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف) والذي أقيم في الفترة في الفترة من ١٢-١٥/ ٣/ ١٤٣١هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

محرضات خارجية كرفاق السوء، تقوده إلى الفساد والعنف والتطرف والإرهاب ظناً منه أنه يعاقب والديه اللذين سببا له كل هذه المآسي.

٤- الفــراغ:

يقول النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[١]، فهاتان النعمتان لا يعرف قدرهما الكثير من الناس، فإن الفراغ مفسدة للمرء وداء مهلك ومتلف للدين، والنفس إن لم يشغلها المرء بما ينفع شغلته هي بما لا ينفع، والفراغ النفسي والعقلي لدى الطلاب أرض خصبة لقبول كل فكر هدام وغلو وتطرف [٢]، ويتمتع الشباب بأوفر النصيب من هاتين النعمتين اللتين إن لم توجها إلى الأنشطة التي تفيد قد تستغل في غيرها من أعمال العنف والإرهاب[٣].

٥- سوء الاستخدام لبعض مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت:

الإنترنت شبكة عالمية تسمح بالتواصل بين الناس بوسائل بصرية وصوتية ونصية مكتوبة، وبصورة تتجاوز حدود الزمان والمكان والكلفة وقيود المسافات وتتحدى في الوقت نفسه سيطرة الرقابة الحكومية. وتحتوي على العديد من الإمكانات مثل إقامة المؤتمرات وعقد اللقاءات بالفيديو، وإتاحة العديد من الملفات السرية لنقلها واستخدامها بطريقة شخصية [٤]، وهنا مكمن الخطر حيث لا رقابة حكومية ولا أسرية مع وجود سهولة التواصل مع الغير من الذين يروجون لأفكارهم المتطرفة أو المنحرفة ويستغلون الشباب في تحقيق أهدافهم، مما يؤدي إلى انحرافهم فكرياً.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٨/ ٨٨ رقم الحديث: (٦٤١٢).

(٢) انظر: أسباب الإرهاب العنف والتطرف ص٢٧ إعداد: صالح بن غانم السدلان (ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب) والذي أقيم في الفترة من ١-٣/ ٣/ ١٤٢٥هـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) انظر: الإرهاب الأسباب والعلاج ص١١-١٢ إعداد: عصام بن هاشم الجفري (ضمن بحوث المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب) والذي أقيم في الفترة من ١-٣/ ٣/ ١٤٢٥هـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) انظر: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف دراسة تحليلية، ص٣٠-٣١.

المبحث الثالث

دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب ومجالاته

المطلب الأول: دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب:

تعتبر الجامعة مصدراً لتكوين الشخصية والانتماء والهوية الوطنية لدى الشباب من خلال الدور الذي تقوم به في تربية الطلاب.

والوطن بكافة أركانه ومؤسساته وبرامجه المنصبة نحو إيجاد الإنسان المسؤول في المجتمع لن يصل إلى مرامه المنشود إلا إذا ابتدأ سريان نفس هذه الروح نحو الأهداف ذاتها من داخل الجامعة.

ولا شك أن الأستاذ الجامعي له دور كبير في تغذية الطالب بالأسس السليمة للحياة والعمل في المجتمع وتزويده بالمهارات والمواقف الأساسية التي يحتاجها الفرد عبر مزجها بمتطلبات الموقف ومحددات الثقافة المجتمعية في مجتمعه عن طريق كسب الاحترام له ولإمكاناته.

وحتى يكون الدور الذي يقوم به الأستاذ الجامعي قادر على تحقيق أهدافه لابد من توفر ثلاثة مرتكزات أساسية هي:

١- الناحية الفكرية:

فالأستاذ الجامعي تقع عليه مسؤولية تحصين فكر الطلاب من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال؛ لاسيما القضايا الفكرية التي تشكل مصدر تهديد لأمن المجتمع، وحثهم على عدم الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم.

٢- الناحية الوجدانية:

أو ما يسمى بالجانب النفسي، والذي يعد من الجوانب الأساسية التي ينبغي الاهتمام بها وتنميتها بالاتجاه الصحيح، لغرض تعديل وتطوير سلوك الطالب بما يتماشى مع تعاليم وأحكام وأخلاق الشريعة الإسلامية السمحة، والعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع. حيث يمثل الجانب الوجداني بأفكار الطالب وآرائه واتجاهاته وميوله ومعتقداته

ونظرته حول مختلف قضايا الحياة التي يتعايش معها بصورة مستمرة أو التي تصادفه بين مدة وأخرى والتي تتطلب منه إعطاء رأي فيها أو تكوين اتجاه نحوها.

وهذا الجانب مهم جداً في شخصية الطالب لأنه من خلاله يستطيع أن يكون مواطناً صالحاً وإنساناً ملتزماً وفاضلاً أو يكون بالعكس من هذا. ويقع الجزء الأكبر في بناء هذا الجانب وتوجيهه بالاتجاه الإيجابي على عاتق الجامعة بمختلف فعاليتها والأستاذ الجامعي.

٣- الناحية العملية:

يترتب على الجامعة مهمة تطوير اتجاهات الطالب وأفكاره ومعتقداته بالاتجاه الإيجابي في ضوء العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية السائدة في المجتمع والتي تستلهم روح العصر وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم بصورة واعية وصحيحة من خلال إعدادها لخطة منظمة ودقيقة لتنمية اتجاهات الطالب نحو مختلف القضايا وتجعله صاحب رأي صريح وجريء وموقف محدد وإيجابي وقادر على إبداء الرأي في الوقت المناسب وأن يحترم تقاليد وعادات مجتمعه ومبادئ دينه السمحاء والأخلاق الفاضلة وأن يكون حريصاً على وطنه والمساهمة في بنائه وتطويره من أجل اللحاق بصورة سريعة بركب الحضارة العالمية ومفرداتها المختلفة [١].

ويمكن للجامعة أن تسهم في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب من خلال الأستاذ الجامعي عن طريق:

١- الاختيار الفاعل لأعضاء هيئة التدريس.

لا تستطيع الجامعة أداء دورها بالشكل المطلوب ما لم يتوافر لها عدد من المدخلات لعل من أبرزها وأكثرها أثراً في العملية التعليمية عامة وفي تكوين فكر الأجيال القادمة هم أعضاء هيئة التدريس، باعتبارهم منارات الهدى في مؤسساتهم التعليمية.

فنجاح الجامعات في تحقيق أهدافها المنشودة يقع جزء كبير منه على عضو هيئة التدريس، فهو العنصر الأساس في العملية التعليمية، إلى درجة يمكن القول معها بأن أحسن الخطط والكتب والمناهج وغيرها قد لا تحقق أهدافها ما لم يكن الأستاذ الجامعي ذا كفاءة عالية.

---

(١) الحسناوي، ٢٠١٠م.

يقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت معلماً»[1]، والتعليم أهم صفات الأنبياء والمرسلين، لأنه تثقيف للعقل، وتلقيح للفكر، وغذاء للإنسان، ونور في الحياة، ومعرفة للحق، وإدراك للحياة والكون والإنسان، وسمو للروح، وميزة للبشر، ولذلك فالأستاذ هو مشعل النور، وكوكب الهداية، وهو يمثل بحق حجر الزاوية في التربية والتعليم والدعوة، والمحور الذي تدور حوله العملية التعليمية برحاب الجامعة، فهو عصبها وقواها المحركة وعليه تعلق الآمال في التوعية والتوجيه والتقويم والتأثير في توجهات الشباب وقناعاتهم وغرس القيم والمبادئ لديهم، ويتوقف على كفاءته إعداد الأجيال، كما يتوقف عليه إمكانية تطبيق وتبليغ المعلومات والمبادئ التي تنشدها العقيدة أو يدعو إليها الدين الحنيف أو يرسمها المصلحون والمسؤولون في الأمة [2].

ولذلك نعتقد أن ترسيخ القيم لدى الطلبة لا يمكن أن ينجح ما لم يتم تبني استراتيجية واضحة بصدد المواصفات والشروط المطلوبة في هيئة التدريس، التي من شأنها الإسهام في تكوين أجيال صالحة متشبعة بقيمها الدينية والوطنية، منفتحة على القيم العالمية، كالحوار والتسامح ونبذ كل أشكال العنف والتطرف.

ولعل من أهم تلك المواصفات والشروط:

أولاً: حسن اختيار الأستاذ، الذي يتوسم فيه الالتزام بأخلاقيات المهنة، تلك الأخلاقيات التي تتمثل في جملة من المظاهر التي توحي بها نصوص الكتاب والسنة، والتي منها:

الإخلاص في العمل: فالإخلاص هو أفضل وسيلة لنجاح عمل الأستاذ، وبالتالي نجاح الطلبة في تحصيلهم للعلم، ولذا يجب على الأستاذ الجامعي أن يعطي للعلم حقه وللتعليم وقته مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة، وأن يتقن عمله بدافع الإخلاص والأمانة.

الأمانة في العلم: وذلك بأن ينقل الأستاذ ما تعلمه إلى الطلبة ليرشدهم ويزكيهم ويوجه لهم النصيحة، وألا يقول إلا ما أحاط به علمه، وإذا افتقد معلومة فعليه أن

(١) رواه ابن ماجة في السنن، ١/ ٨٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢) د. محمد مصطفى الزحيلي، مساهمة الجامعات الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية اليوم، مقال منشور بمجلة القرويين، العدد ٨، ١٩٩٤، ص١٤٩.

يزود نفسه بالعلم بها. باعتباره مؤتمن على عقول شريحة من الطلبة الشباب بحيث يكون على وعي تام بالقيم والمثل والأفكار التي تحكم سلوك المجتمع الإسلامي ويكون قادراً عن التعبير عنها بالقول والفعل والسلوك، لاسيما أن المجتمع الإسلامي يمر بمرحلة حاسمة من تاريخه، ويعيش تحولات وتغيرات في مختلف جوانب حياته ويتعرض لهجمات شرسة من طرف أعدائه [1].

القدوة الحسنة وهي من أرقى الوسائل التربوية، وأنجحها في إعداد الشباب خلقياً ونفسياً واجتماعياً، فهي الواقع الحي الملموس الذي يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول.

ثانياً: إعداد الأستاذ بعد تعيينه، عن طريق صقل مهاراته وتأهيله وتدريبه لأداء مهامه بما يتفق مع تعاليم الإسلام بما في ذلك ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال في أفكارهم وسلوكهم وردود أفعالهم تجاه مختلف القضايا المعاصرة.

ذلك أن الأستاذ لا يطالب فقط بإيصال مادته العلمية إلى عقول الطلاب بكفاءة عالية، وإنما لابد أن يقوم بدور المربي والموجه الفكري حتى يتمكن عن طريق الجيل الذي يعلمه أن يقود مجتمعه نحو مجمع الفضائل، وأن يخلصه مما اندس إليه من أفكار زائفة ومضللة.

ثالثاً: بذل الجهود اللازمة للتأكد من مدى سلامة توجهات أعضاء هيئة التدريس، ومناسبة ما يقدمونه للطلاب تصريحاً وتلميحاً حول الكثير من القضايا ذات العلاقة، حتى تضمن سلامة الشباب من الأفكار الهدامة التي تنحو بهم نحو الغلو.

وبناء على ذلك فإنه يمكن توضيح دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري من خلال التالي:

١- أن يكون قدوة حسنة في قوله وعمله ونيته وكل شأنه، ولاسيما أنه يقوم بدور المربي والأب والقائد والموجِّه لمن يتعامل معه من الطلاب وغيرهم في داخل المحيط الجامعي.

---

(١) الأستاذ ضياف زين الدين، ود. شوية بو جمعة بعض الصفات الكمالية في الأستاذ، ص١١٦.

٢- أن يكون أميناً في أداء رسالته العظيمة التي تفرض عليه استشعار أهميتها، وأداءها بمهنية عالية، وأن يسعى من خلالها إلى تحقيق أمن واستقرار الوطن، والحرص على سمعته وحفظ مكانته بين المجتمعات الإنسانية الأخرى.

٣- أن يتميز بالأمانة الفكرية والعلمية القائمة على الوسطية الإيجابية، من خلال بحثه المستمر عن الحقائق واجتهاده الدائم في معرفتها والعمل بمقتضاها بحيادية وموضوعية، ودونما إفراط أو تفريط أو نحو ذلك.

٤- أن يحرص على التنويع والتطوير الإيجابي في مختلف الوسائل والأساليب التعليمية التي يستخدمها (تدريساً أو بحثاً) مع طلابه، بأن تعتمد في المقام الأول على مخاطبة الفكر الناضج، وتنمية القدرات الذهنية الواعية عندهم.

٥- أن يسعى لإكساب طلابه مختلف المهارات العقلية والعلمية التي تُنمي عندهم مهارات التفكير العلمي الناقد، والقدرة على التمييز بين الحق والباطل والضار والنافع.

٦- أن يحرص على القيام بدوره التوعوي الملقى على عاتقه في جانب التوجيه والإرشاد للطلاب والدارسين انطلاقاً من شعوره بوجوب دلالتهم على الخير، وتوجيههم إليه، وتحذيرهم من الشر، وتجنيبهم إياه، وحثهم على تقويم السلوكيات الخاطئة لديهم.

٧- أن يُسهم في المناشط والفعاليات المتنوعة لبقية المؤسسات الأخرى في المجتمع، وأن يحرص خلالها على تمثيل الجامعة ومنسوبيها خير تمثيل بما يُقدمه من إسهامات ومشاركات ورؤى وغير ذلك.

٨- أن يُسهم في ترسيخ المفهوم الصحيح والمضامين التربوية اللازمة لغرس أهمية المبادئ السامية التي تُحقق ذلك كالتسامح والتعايش والوسطية والاعتدال والبعد عن الغلو والتطرف والعنف.

٢- استخدام طرائق التدريس الفاعلة:

تعد الجامعة ومؤسساتها العلمية والتربوية والبحثية التابعة لها من العناصر الأساسية في قيادة المجتمع، وتوجيهه التوجيه الصحيح والفاعل نحو التطور والرقي، واللحاق

بعجلة التغيير المتسارعة في العالم، لكي يواكب هذا المجتمع تلك التطورات ويتعامل معها، ويستجيب لإفرازاتها في جوانب الحياة المختلفة، ويستثمرها في عملية البناء والتنمية الاجتماعية الشاملة في مختلف الميادين وكذلك ربط المجتمع بدينه وحضارته وثقافته حتى لا تقتلعه العولمة.

وبذلك أصبح الدور الذي تقوم به الجامعة ينمو ويتعاظم مع تعقد حركة الحياة والتطورات الحاصلة فيها. وأصبح هذا الدور لا يقتصر على تقديم المعارف والمعلومات العلمية فقط للطالب كونه عضواً فاعلاً في المجتمع، وإنما تعدى هذا الدور وتوسع ليشمل جوانب كثيرة أصبحت الجامعة مساهمة فيها بدرجة كبيرة ومؤثرة.

وهنا يأتي دور الأستاذ الجامعي في تحقيق هذا الهدف من خلال استخدامه طرائق تدريسية ذات كفاءة، والاستفادة من التقنيات التربوية الحديثة وأحدث الابتكارات العلمية لمساعدته في إيصال المادة العلمية إلى ذهن الطالب بأفضل صورة وأسرعها، ومساعدته على الاحتفاظ بها لأطول مدة ممكنة، وإمكانية الاستفادة منها في حل المشكلات المستقبلية التي تواجهه.

لا يمكن للأستاذ الجامعي أن ينجح إلا إذا كان ملماً بدوره في العملية التعليمية وفهم أهداف العملية التربوية، فالأستاذ الجامعي ليس مجرد ناقل للمعلومة بل هو موجه ومرب ومرشد في تلك العملية، وتكمن المشكلة في التعليم الجامعي في أن بعض الأساتذة يستخدمون طريقة التلقين في التدريس وسد كل منافذ المناقشة والحوار، وفي هذه الطريقة تطرف وتجاوز حدود الاعتدال، كما أن بعض الأساتذة يستخدمون طرقاً في التدريس بمعزل عن تحديات العصر والواقع المعاصر، ذلك أن الواقع المعاصر يتطلب التدريس بطريقة تراعي ظروف العصر والعلاقات مع الغير»[1]، من هنا وجب على الأستاذ الجامعي أن ينوع في طرائق التدريس وفق ما يلي لتحقيق منهج الوسطية وتعزيز الأمن الفكري في نفوس الطلاب:

---

(١) كسناوي، محمود محمد عبدالله، طرق تدريس مناهج التعليم الديني تحدياتها وآفاقها في ضوء الواقع المعاصر، بحث مقدم لندوة: «مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي»، ٢-٤ شعبان ١٤٢٦هـ ٦-٨ سبتمبر ٢٠٠٥م، ماليزيا، ج٢/ ص٢١٠-٢١١.

أولاً: الاستناد إلى الطريقة الحوارية لا التلقينية:

في ظل متغيرات العصر التي ظهرت فيها مفاهيم التنازع والصراع وتغييب مفاهيم التدافع والتفاعل والتعايش، ومحاولات فرض النموذج الحضاري أحادي القطبية فكراً وسلوكاً وثقافة بهدف محو الخصوصيات الذاتية في عالم لا يعترف بالتنوع والتعددية ويتجاهل حقيقة الاختلاف مما يولد العنف والتطرف والإرهاب، تتزايد الحاجة إلى إيجاد جيل قادر على الحوار والتحاور، وتحول طرق التدريس من التلقين التي تعتبر الطالب سلبياً مجرد متلق للمعلومة، غير قادر على التعبير عن آرائه وأفكاره، لذا يعيب ابن خلدون على التلاميذ طول ملازمة مجالس العلم سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعلم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل علماً تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم [1]. ثم يذكر الحل لذلك وهو «فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية»[2].

فلا بد للأستاذ الجامعي من اعتماد الحوار والمناقشة ليعبر الطالب عما يجول في خاطره، وليستطيع التفاعل مع أفكار الآخرين مستفيداً من نقاط القوة فيها، قادراً على تجنب الضعف منها، لا يقبل من الأفكار إلا بعد اقتناعه بصحتها وجدواها لأن الحوار يتطلب أدلة كل طرف على صحة أفكاره أو آرائه، وبالتالي فإن الحوار يمنع من بروز ظاهرة التطرف إذ يفهم كل طرف حقيقة الآخر بمنتهى الهدوء والروية»[3].

لذا فالحوار الفعال هو الحوار الهادف الذي يسعى إلى تحقيق الخير والصلاح وتنمية العلاقات الإنسانية، وتحقيق التواصل بين الأنا والآخر، حتى يكتسب كل إنسان من المعرفة ما يدفعه إلى التقدم في الميدان العلمي، لإثراء الثقافات ونشر المعارف وحفز المواهب، ويرتكز على إشاعة قيم التسامح والوسطية الذي يدعو إلى التفاعل بين الثقافات والحضارات لأن هذا هو الأمل المنشود لفك الاختناقات السياسية والعقد الثقافية،

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، بيروت، دار القلم، ط١١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص٤٣٢.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، ص٤٣١.

(٣) الشيخلي، عبدالقادر، أخلاقيات الحوار، عمان، دار الشروق، ط١، ١٩٩٣، ص٩٢-٩٣.

فيكون هدف الحوار التفاعل الحضاري، الذي يتسع ليشمل كل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر دون طمس للخصوصية أو مساومة على المبادئ أو تهاون في الحقوق [1].

ثانياً: تقبل الرأي والرأي الآخر ومعرفة أدب الاختلاف:

إن آفة العلم اليوم اعتبار الأستاذ نفسه عالماً وأن ما يقوله لا يقبل النقاش، وهذا يولد لدى الطلبة التعصب الفكري الذي هو طريق نحو التطرف، لذا جعل علماؤنا الأوائل من أدب المعلم أن «لا يستنكف من التعلم والاستفادة ممن هم دونه في منصب أو سن أو نسب أو شهرة أو دين أو في علم آخر، بل يحرص على الفائدة ممن كانت عنده، فقد كان كثير من السلف الصالح يستفيدون من تلاميذهم ما ليس عندهم، قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد بالحديث مني [2].

ويدخل في أدب الاختلاف عدم التطول بغير علم فلا يتحرج الأستاذ أن يقول لما لا يعلم لا أعلم وهذا من علم العالم[3].

وهذا يربي لدى الطالب ملكة البحث والسؤال مما يجعله قادراً على معرفة حقائق الأمور من باطلها، وهذا ما حث عليه سلفنا الصالح حيث لم يقرر أحد منهم أن قوله دين متبع أو هو القول الفصل الذي لا نقاش فيه، بل كانوا يحثون على مخالفة آرائهم إذا وجد الدليل، فها هو أبو حنيفة يقول: وعلمنا هذا رأي لنا، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه قبلناه منه[4]، أما الإمام مالك فيقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فإن وافق الكتاب والسنة

---

(١) التويجري، عبدالعزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص٢٠؛ عبيد، منصور الرفاعي، الحوار: آدابه وأهدافه، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م، ص٣٦، الهيتي، عبدالستار، الحوار الذات والآخر، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، ع٩٩، محرم ١٤٢٥هـ ـ آذار ٢٠٠٤م، ص٢٤.

(٢) زيعور، الفكر التربوي عند العلموي، ص١٠٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٤.

(٤) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، ط٣، ١٤٠٨هـ، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدرآباد، الهند.

فخذوا به وإلا فاتركوه[1]، وكان الإمام الشافعي يقول: «لا تقلدوني في كل ما أقول وانظروا في ذلك فإنه دين[2]، أما الإمام أحمد فيقول: «لا تقلدوني ولا مالكا ولا الشافعي ولا الثوري وخذوا من حيث أخذوا»[3].

أين نحن من تلك التوجيهات التي تقضي على الآفات المرتبطة بالتعصب المقيت بالرأي، والتي تخالف منهج الإسلام الوسطي، أين أساتذتنا اليوم من دعوة طلابهم إلى البحث، والتقصي وعدم التقليد ما لم يقترن الأمر بالدليل.

ثالثاً: مراعاة الفروق الفردية:

تشير الدراسات إلى وجود فروق فردية بين الناس وهي «انحرافات فردية عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة جسمية كانت أو عقلية أو نفسية وقد يكون مدى هذه الفروق كبيراً أو صغيراً»[4].

فعلى الأستاذ الجامعي أن ينوع في أساليب وطرق تدريسه بما يتوافق والفروق الفردية، لنستطيع تحقيق الأهداف التربوية بعيداً عن القمع والإرهاب والتسلط والاستبداد، فالأستاذ الكفء هو القادر «أن يفهم كل واحد بحسب فهمه ولا يبسط له الكلام بسطاً لا يضبطه حفظه ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كلاً على قدر درجته وفهمه وهمته»[5].

فالأساليب التعليمية القادرة على إحداث التغير المطلوب في الشباب هي تلك الأساليب التي تقوم على مراعاة واحترام مشاعر الشباب وتقدير واقعهم وأحوالهم،

---

(١) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالبر بن محمد القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط ١، ١٤١٤هـ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

(٢) ابن منصور، أحمد بن عبدالرحيم بن الشهيد وجيه الدين، المعروف بـ (الشاه ولي الله الدهلوي)، حجة الله البالغة، تحقيق السيد سابق، ط١، ١٤٢٦هـ، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان.

(٣) أطفيش، محمد بن يوسف، شرح النيل وشفاء العليل، جدة، مكتبة الإرشاد، بيروت، دار الفتح، د.ت، ج١/ ١١.

(٤) محمود، حمدي شاكر، مبادئ في علم نفس النمو في الإسلام، السعودية، دار الأندلس، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص٣٨.

(٥) زيغور، الفكر التربوي عند العلموي، ص١١٥.

وتوفير جو من الرحمة والرفق والتفاعل الإيجابي والحوار البناء معهم تمكيناً لهم لحسن استيعاب الأهداف والمحتويات ويجعلهم لا يقبلون ما يلقى عليهم إلا بعد اقتناعهم بجدواها وصحته، وهذا بدوره يؤدي إلى ترسيخ ما يتلقونه من خبرات ومعارف ومهارات وتجارب في أذهانهم، ويدفعهم ذلك كله على التفاعل الإيجابي الواقعي من أنفسهم ومع الواقع والمجتمع الذي يعيشون فيه»[1] مما يعصمه من الوقوع في براثن التطرف والغلو والذي قد يقوده إلى الإرهاب بكل صوره وأشكاله.

رابعاً: استثارة التفكير لدى الطالب (التفكير الناقد، الإبداعي، حل المشكلات):

تشير الدراسات الحديثة أن الطرق التلقينية لا تولد إلا مخرجات سلبية غير قادرة على التفاعل مع الواقع المحيط فضلاً عن فهمه أو نقده، فلا بد أن تقوم طرق التدريس على النقدية والحوارية وحل المشكلات لأن الإشكالية «ليست في عدد الجامعات، ولا عدد الرسائل الجامعية، ولا قلة الخريجين ولا عدد المجلات المحكمة، كما أنها ليست في كمية الإنفاق الحكومي على التعليم وإنما الإشكالية في حقيقتها يمكن أن توصف بأنها أزمة ذاتية أو علة ذاتية في التعليم وإنما هي في الذهنية والمنهجية والنوعية»[2]. إن البعد عن طرق التدريس تلك التي تفترض سلبية المتعلم هي السبيل لإيجاد فكر متطرف أو تعصب مقيت وبعد عن المنهج الوسطي فما أحوجنا اليوم إلى الرجوع إلى المنهج القرآني الذي يحث على الإبداع والتجديد الذي يعني: «طريقة خاصة في التفكير تعتمد على سبر غور الأشياء واستخراج جميع الاحتمالات في مقابل الطريقة التي تعتمد على أن هناك إجابة واحدة صحيحة»[3].

---

(١) سانو، قطب، مصطفى، مناهج التعليم الديني في ضوء التغيرات المعاصرة، بحث مقدم لمؤتمر مناهج التعليم الديني في العالم الإسلام التحديات والآفاق، ٢-٤ شعبان ١٤٢٦هـ - ٦-٨ سبتمبر ٢٠٠٥م، ماليزيا، ج٢/ ٤٥٤.

(٢) حسنة، عمر عبيد من مقدمة كتاب «التعليم وإشكالية التنمية» للدكتور حسن الهنداوي، سلسلة كتاب الأمة، ع٩٨، ص٢٢٣، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص٢١-٢٢.

(٣) عويس، عفاف أحمد، سيكولوجية الإبداع عند الأطفال، عمان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص١٣.

فالمبدع هو ذلك الشخص القادر على إدراك الروابط الخفية بين الأشياء [1].

وقد شجع المنهج القرآني على التفكير النقدي الذي يقوم على «اختيار دقة المعلومات والتأكد من صدق مصادرها في ضوء الأدلة والبراهين للوصول إلى النتائج والحكم على صحة المعلومة من خلال تقويم المعلومات والمناقشات بطريقة موضوعية لاتخاذ القرار السليم»[2]. لذا جاءت التوجيهات القرآنية: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3].

ودعا المنهج القرآني إلى تخليص العقل من كل موانع التفكير السليم كاتباع الظن والتقليد وغيره ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [4]. وهذا يرتب على الأستاذ الجامعي أن يشجع على التفكير الإبداعي وإبداء الآراء والنقد البناء والحوار الهادف والنقاش المتبصر لتجنب طلبتنا الوقوع في براثن التطرف كما لا بد من أن يعود المعلم طلبته على حل المشكلات الذي يقوم على إدراك وملاحظة المشكلة وتقويم احتمالات الحل ثم الوصول إلى استنتاج ملائم يؤدي إلى حل المشكلة»[5].

وهذا يتطلب من الأستاذ الجامعي أن يدرب طلبته على الطرق التي تزيد من إحساس الطلاب بالواقع وتشجيع أفكارهم والتدريب على المناقشة وأسلوب الأسئلة المحفزة على التفكير والاهتمام باقتراحاتهم وتنمية التقييم الذاتي لديهم وتشجيعهم على الاستقلال في الرأي والسلوك والنظر إلى الأمور بمنظار يختلف عن منظار الآخرين [6].

---

(١) إبراهيم، عبدالستار، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، الكويت، وكالة المطبوعات، د.ت، ص١٧.

(٢) الشبول، أريج صالح، أثر التعليم باللعب في تنمية مهارات التفكير الناقد في مبحث الجغرافية لدى طلبة الصف العاشر الأساسي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م، ص٦.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) النجم: ٢٨.

(٥) الميلادي، عبدالمنعم، تنمية القدرات الإبداعية عند الطفل، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٤، ص٦٥.

(٦) فتح الله، مندور عبدالسلام، استراتيجية مقترحة لتنمية الإبداع التكنولوجي لدى التلاميذ الموهوبين بالتعلم الأساسي، مجلة التربية القطرية، الدوحة، ع١٤٥، يونيو ٢٠٠٣م، ص٢٨٠-٢٨١؛ روشكا، الكسندرو، الإبداع العام والخاص، ترجمة: غسان أبو فخرو، الكويت، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ص٨٤-٨٥.

فالتدريس وفق هذه الأساليب هو الذي يمكننا من إيجاد مجموعة من المواصفات والسمات المأمولة للطلاب والتي يمكن من خلالها القضاء على كل أشكال وضروب التطرف ابتداء من التطرف الفكري وانتهاء بالعنف والإرهاب الذي يتضمن الاعتداء على أعراض الآخرين وأموالهم وأنفسهم [1].

٣- تشجيع البحث العلمي:

لعل من أهم المميزات التي تميز الجامعة عن غيرها من المؤسسات التعليمية هو اشتغالها بالبحث العلمي.

فإذا كان التعليم الجامعي يعد من العوامل الهامة في عملية التنمية البشرية وإعداد الشباب المؤهلين فكرياً وعقلياً، فإن الأبحاث لها أهمية مساوية في عملية التنمية تلك، وكما عهد إلى الجامعة بمهمة التعليم التي تؤدي إلى انتشار المعرفة والحفاظ على الثقافة، أنيطت بها أيضاً مسؤولية الأبحاث التي تعد الأداة الرئيسة لإثراء المعرفة وتقدمها، وفي هذا تقول الباحثة epifania r. resposo بعد استعراض ما كتب من المؤلفات التي قصد منها تعريف المهام الرئيسة للجامعة: «يبدو جلياً أن هناك اتفاقاً إجماعياً ـ سواء كان ظاهرياً أو ضمنياً ـ حول طبيعة الجامعة، بأنها تمثل مجتمعاً علمياً يهتم بالبحث عن الحقيقة، وإن وظائفها الأساسية تتمثل في التعليم والأبحاث وخدمة المجتمع»[2].

وحيث إن عضو هيئة التدريس في الجامعة يعد الركيزة الأساسية بها وقوامها، فنتائج عمله هي التي تحكم بفشل أو نجاح الجامعة، وسمعة الجامعات تتكون من سمعة أساتذتها وإنتاجهم العلمي، وحيث إن الطلبة لا يتعين اكتفاؤهم بما يلقى من مواد في شكل محاضرات فحسب، فإنه يتعين تبعاً لذلك اشتغال الأستاذ الجامعي بالبحث العلمي ذي العلاقة الوطيدة بمشكلات الشباب وقضايا الأمة، وإن لم تكن الأبحاث تصب في هذا الاتجاه فإنها تعد ترفاً علمياً محدود الفائدة، وتكون الجامعة بذلك عزلت نفسها عن المجتمع وعاش أساتذتها في أبراج عاجية بعيدة عن واقع المجتمعات التي يعيشون في ظلالها.

---

(١) الأسطل، إبراهيم حامد والخالدي، فريال يونس، مهنة التعليم وأدوار المعلم في مدرسة المستقبل، العين، دار الكتاب الجامعي، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥٥-٥٦.

(٢) عبدالله بوبطانة، ص٣٨٢.

ذلك أنه إذا كانت الغاية من العلم هي المعرفة، فإن المعرفة التي يحتاج إليها الإنسان هي المعرفة المفيدة التي تسهم في تيسير أسباب الحياة له، ولا جدوى من ثقافة تبحث عن اهتمامات لا تجد صداها لدى الإنسان، ولا يشعر بها، فالثقافة الحقيقية هي التي تنهض بشخصية المواطن وتنير طريقه وتعبد أمامه المسالك، فتصحح له ما ضل من أفكاره، وتسدد له ما انحرف من ميوله، وتكون لديه قابليات إيجابية لكي يكون أداة صالحة لتنمية حقيقية في مجال الإنتاج المفيد، متقناً عمله، صادقاً في جهده، أميناً فيما اؤتمن عليه من أعمال، يتعاون مع أخيه الإنسان في جهد واحد، في سبيل تنمية تحقق لمجتمعه الأمن والسلام.

ولكل ذلك يتعين تشجيع البحوث والأنشطة العلمية، وذلك انطلاقاً من دور الجامعة ووظائفها في مجال البحث العلمي، الذي يعالج قضايا المجتمع بخاصة تلك التي تؤثر في وعي وفكر الشباب، على أنه يتعين التركيز على إجراء البحوث العلمية الجادة ودعمها بجميع مقومات النجاح المادية والبشرية والعلمية، وطرح الموضوعات ذات العلاقة بالانحراف الفكري والسلوكي ومسبباته وآثاره وسبل علاجه وذات العلاقة بتحقيق الأمن والاستقرار وذات العلاقة بحقوق الوطن وولاة الأمر في المجتمع المسلم وغيرها.

ولعل مما يلحق بالبحث العلمي في هذا الباب اللقاءات العلمية المختلفة، من مؤتمرات وندوات وحلقات نقاش ومحاضرات وغيرها، التي تسهم في تعرية وكشف الانحرافات الفكرية وبيانها للطلبة، والتحذير منها لما تؤدي إليه من آثار جسيمة على المجتمع، وبيان سمات الإسلام وخصائصه التي تقوم على الوسطية والاعتدال قولاً وعملاً، وأن يتم دعوة المختصين من العلماء والمفكرين وقادة الرأي لمثل هذه اللقاءات العلمية، من أجل متابعة فعاليتها وإثراء النقاش الدائر فيها.

على أنه لكي يستطيع الأستاذ الجامعي القيام بواجبه في هذا الباب لابد من أن توفر له السبل الكفيلة بذلك، من قبيل:

- ضرورة تكوين بيئة جامعية تحترم البحث العلمي، وهذه البيئة ضرورية وهامة، لأنها توجد مناخ البحث العلمي وتشجع عليه، وتوفر الأسباب للأساتذة قصد مواصلة

بحوثهم، ومن الطبيعي أن يشترط لتكوين بيئة للبحث العلمي أن تكون حوافز التشجيع المادي والمعنوي متوفرة، فإذا انعدمت هذه الحوافز فقدت النفس قدرتها على الحركة، وضعفت فاعلياتها وانصرفت إلى بيئة أخرى قد تجد فيها التشجيع وإمكانية الانطلاق.

- توفير الكتب والمراجع والمجلات والدوريات في مجال البحث، حتى لا يضطر الأستاذ الجامعي السفر نحو أماكن بعيدة من أجل جمع معلومات حول موضوع ما، وحتى تكون أيضاً في متناول الطلبة داخل جدران الجامعة، تسهيلا لعملية الاستفادة.

والاشتغال بالبحث العلمي وتوظيفه في تعزيز الأمن الفكري لا يكون في جانب الأستاذ فقط، بل حتى في جانب الطلبة، فالبحث العلمي كما هو ضروري بالنسبة للأستاذ هو ضروري أيضاً بالنسبة للطالب، فمن السهل أن تحشو عقول الطلاب بمعلومات ولا تطلب منهما أبحاثاً ومجهوداً، ولكن بهذه الطريقة يمكن أن يصبحوا متعلمين ولكن ليسوا مثقفين، والبون شاسع بين المثقف والمتعلم من حيث دوره في المجتمع، فالمتعلم يمتلك في عقله معلومات محشوة، ولذلك فهو معرض أن يفقد منهما الكثير مع مرور الزمن، لأن المعلومات تفقد بنفس السرعة التي تقتبس فيها، أما المثقف الذي تخرج في الجامعة وقد اكتسب منهجاً في التفكير والعمل ورؤية بالنسبة لدوره في المجتمع، فهذا كله يبقى ولكل ذلك يتعين على الأستاذ:

- أن يغرس في نفوس طلابه عن طريق الممارسة حب البحث عن المعرفة واكتشاف المجهول، وما لم يتكون هذا الحب في نفوسهم فإن العملية التعليمية ستصبح عملاً غير مجد وتلقيناً مملاً، مما قد يؤدي إلى تدني التعليم، وبالتالي عدم تحقق الهدف العام الممثل في جيل من الشباب متشبع بالقيم والمثل العليا.
- أن يعود الطلاب على أساليب البحث وألوانه عن طريق التجارب، أو بالرجوع إلى المصادر الرئيسة في الحقل الذي يدرسه وغير ذلك من طرق البحث العلمي، وأن يعودهم على التفكير الموضوعي الناقد والاستقصاء وكل ما يتطلبه التعليم المتكامل من أمور نظرية وتطبيقية متفاعلة متلاحمة.
- أن يكلف كل طالب في مجال تخصصه مرات ومرات قبل أن ينال الشهادة

بالبحث في موضوعات، يذهب فيها إلى مراجعها الأصلية ومظانها، فيبحث ويشقى ويخرج من ذلك بنتائج هي نتائجه هو، التي يستطيع أن يدافع عنها إذا سئل، على أنه يتعين أن تركز البحوث والرسائل الجامعية عند اختيار موضوعاتها على مشكلات المجتمع المعاصرة، لتتناولها بالدراسة والتحليل، وعدم الإفراط في تناول الموضوعات التي لا جدوى من بحثها سوى الحصول على الدرجة العلمية، دون أن يكون لها أي مردود على الطالب ولا على المجتمع وفق احتياجاته ومشكلاته المتجددة.

المطلب الثاني: مجالات تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب:

١- أن يغتنم الأستاذ الجامعي ساعات لقائه بالطلاب في قاعات الدراسة وغيرها في تقديم ما يمكن تقديمه لهم من المعلومات والمعارف والخبرات العملية والعملية، التي تُنبئ عن تمكنه العلمي وسعة اطلاعه وحرصه على كل جديد ومفيد في تخصصه.

٢- تعزيز مفهوم حب الوطن وصدق الانتماء له والعمل من أجل رقيه وتقدمه والحفاظ على مكتسباته ودفع الضرر عنه وذلك بحث الطلاب على المشاركة الفعالة في خطط التنمية الاجتماعية والثقافية.

٣- تنشئة الطالب على التمسك بمبادئ دينه والربط بينه وبين هويته الدينية وزرع الخوف من الله ـ عز جل ـ في نفسه.

٤- حث الطلاب على الأخلاق الإسلامية وصيانة النفس والأهل والوطن من كل الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الذميمة وذلك بإقامة المحاضرات والدروس التوعوية عن طريق استقطاب الكفاءات الفاعلة من العلماء والمربين وقادة الفكر ورجال مكافحة الجريمة والمخدرات لبث الوعي بشكل دوري ومستمر.

٥- تعزيز الثقافة الوطنية في نفوس الطلاب وذلك من خلال تعريفهم تاريخ وطنهم وإنجازاته وبيان أهميته الدينية والجغرافية بالنسبة للعالم.

الأمر الذي يتطلب منهم أن يكونوا قدوة لغيرهم وأن يبتعدوا كل البعد عن كل

عمل من شأنه أن يسيء إلى الإسلام قولا وعملاً وأن يكونوا دعاة لدينهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

٦- العمل على تهذيب سلوك الطلاب وتربيتهم على حب الآخرين والإحسان إليهم وتحقيق مبدأ الأخوة والتعاون فيما بينهم قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[1] والابتعاد عن كل الإفرازات الفئوية البغيضة.

٧- أن يشارك بدور فاعل وإيجابي في التواصل مع طلاب الجامعة من خلال تنويع مشاركاته في الحملات التوعوية والوقائية الموجهة للطلاب وغيرهم من فئات المجتمع، ولاسيما في مواجهة التيارات والتحديات والحملات الفكرية الضالة أو المنحرفة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم رقم (٦٠١١)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

الخاتمـــة

أحمد الله - عز وجل - على ما وفقني إليه من الكتابة في موضوع (دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب) ومن خلال بحثي في هذا الموضوع ظهرت لي جملة من النتائج أجملها فيما يلي:

١- أهمية تكاتف وتعاون الجامعات في وطننا العزيز لرعاية الشباب والاهتمام بهم وتنمية مسؤولياتهم الإنسانية والوطنية خدمة لدينهم ووطنهم.

٢- أهمية تأصيل ثقافة المواطنة فكراً وتطبيقاً في الأستاذ الجامعي لينشأ على يديه جيلاً قادراً على المشاركة الفعالة في كافة قضايا الوطن ومشكلاته والأمة ورسالتها.

٣- أهمية بناء شخصية الطالب في سني حياته الدراسية المختلفة مما يعزز قدراته على التعامل مع مجتمعه ويعزز الانتماء لوطنه ويعوده على تحمل المسئوليات والواجبات التي سيكون مكلف بها في مستقبل حياته.

٤- أهمية بناء برامج نوعية للتثقيف العام حول تنمية تحمل المسؤوليات الإنسانية والانتماء الوطني وأثرها على الفرد والمجتمع متضمنة الأدوار والمسؤوليات لجميع الفئات ذات العلاقة.

٥- على الأستاذ الجامعي الاهتمام بدراسة الظواهر السلبية أولاً بأول ومدى تأثيرها في سلوكيات الطلاب ومعاملاتهم والعمل على معالجة ما يكون منها ذات تأثير مباشر أو غير مباشر في مهدها وقبل انتشارها وتقديم أفضل الطرق الوقائية لما يتوقع بروزه في المستقبل.

المراجـــع

- أ.د.سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، الوطنية ومتطلباتها في ضوء تعاليم الإسلام، ط٣، ١٤١٧هـ.
- أ.د.سليمان بن عبد الله أبا الخيل، مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، الناشر:مطابع الحميضي الرياض، ط الأولى ١٤٢٩هـ.
- إبراهيم، عبد الستار، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، الكويت، وكالة المطبوعات.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز –رحمه الله–، إشراف:الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار القلم، بيروت، ط١١، ١٤١٣هـ.
- ابن زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة،، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ابن عبدالرحمن، حيدر، الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات، ط الأولى، ١٤٢٤ه.
- ابن منصور، أحمد بن عبدالرحيم بن الشهيد وجيه الدين، المعروف بـ (الشاه ولي الله الدهلوي)، حجة الله البالغة، تحقيق السيد سابق، ط١، ١٤٢٦هـ، الناشر: دار الجيل، بيروت، لبنان
- ابن منظور، لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت.
- أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بدوي، راجعه: محي الدين ديب، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، الناشر:دار الكلم

الطيب، بيروت ط الأولى، ١٤١٩هـ، ٢/ ٦٦٩
- أبو الفدا إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت.
- أبي الفضل جمال بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الاسطل، إبراهيم حامد والخالدي، فريال يونس، مهنة التعليم وأدوار المعلم في مدرسة المستقبل، دار الكتاب الجامعي، العين، ط الأولى، ٢٠٠٥م.
- أطفيش، محمد بن يوسف، شرح النيل وشفاء العليل، مكتبة الإرشاد، جدة، دار الفتح، بيروت، ج١/ ١١.
- الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه: (الندوة العالمية الرابعة: نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأفقية) الناشر: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
- أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، المطبعة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول، تركيا.
- بدر الدين ابن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق ودراسة وتعليق: د.فؤاد عبد المنعم أحمد، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ط٢، ١٤١١هـ.
- البدر العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٩هـ.
- الجوزية، ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد،، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٧هـ.
- الحجني، علي فايز، الأمن في ضوء الإسلام، مكتبة المعارف، الرياض.
- حسنه، عمر عبيد، من مقدمة كتاب "التعليم وإشكالية التنمية" للدكتور حسن الهنداوي، سلسلة كتاب الأمة، ع٩٨، الدوحة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
- خطاب، حسن، تحديات الأمن الفكري في ضوء المفاهيم الإسلامية، ١٤٣٠ه.

- د. أحمد خليف، د قاسم محمد، التربية الوطنية، دار جرير للنشر والتوزيع ط الأولى.
- د. قاسم بن عائل الخزي، القيادة التربوية الحديثة، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٨هـ.
- د.أحمد خليف العفيف، د.قاسم محمد صالح، التربية الوطنية، دار جرير للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٦هـ.
- د.محمد مصطفى الزحيلي، مساهمة الجامعات الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية اليوم، مقال منشور بمجلة القرويين، العدد ٨، ١٩٩٤.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، أبو الوفاء الأفغاني، ط٣، ١٤٠٨هـ، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدرآباد، الهند
- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح،: مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٩م.
- روشكا، الكسندرو، الإبداع العام والخاص، ترجمة غسان أبو فخرو، الكويت، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.
- زيد بن عبد الكريم الزيد، حب الوطن من منظور شرعي، مطبعة سفير، الرياض، ط الأولى.
- زيدان، عبدالكريم، أصول الدعوة، مكتبة القدس، بغداد، ١٤٢١هـ.
- زيعور، شفيق محمد، الفكر التربوي عند العلموي، دار اقرأ، بيروت.
- سانو، قطب، مصطفى، مناهج التعليم الديني في ضوء التغيرات المعاصرة، بحث مقدم لمؤتمر مناهج التعليم الديني في العالم الإسلام التحديات والآفاق، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ماليزيا.
- السليم، أبي محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مؤسسة الرياض، بيروت، ١٤١٠هـ.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٤ه.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللحمي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور

ابن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي، الاعتصام، بعناية: أحمد عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤١١هـ.
- الشبول، أريج صالح، أثر التعليم باللعب في تنمية مهارات التفكير الناقد في مبحث الجغرافية لدى طلبة الصف العاشر الأساسي، رسالة ماجستير غير منشوره، كلية التربية، جامعة اليرموك، إربد، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٢م.
- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.
- الشمري، خالد صالح، دولة تحت مظلة الأمن، ١٤١٩ه.
- الشيخلي، عبد القادر، أخلاقيات الحوار، دار الشروق –عمان، ط الأولى، ١٩٩٣.
- ضياف زين الدين، د. شوية بو جمعة، بعض الصفات الكمالية في الأستاذ.
- الطلاع، رضوان بن طاهر، نحو أمن فكري إسلامي، الناشر: الدار الإسلامية، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- عبد المحسن بن حمد بن عباد البدر، حقوق ولاة الأمور(من كتاب قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن ابي زيد القيرواني) الناشر:مطابع الحميضي الرياض، ط الأولى ١٤٢٨هـ،
- عبدالرحيم، أشرف بن عبدالمقصود، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين،، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١١هـ.
- عبدالله، عماد حسين، إدارة الأمن في المدن الكبرى، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٤١١هـ.
- عبيد، منصور الرفاعي، الحوار:آدابه واهدافه، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.
- العسقلاني، الإمام ابن حجر، فتح الباري، تحقيق الشيخ: عبدالعزيز بن باز، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

- علي الشربجي، حب الوطن، دار الفيحاء للنشر والتوزيع، سوريا، ط الأولى.
- عويس، عفاف أحمد، سيكولوجية الإبداع عند الأطفال، عمان، دار الفكر، ط الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- فتح الله، مندور عبد السلام، إستراتيجية مقترحة لتنمية الإبداع التكنولوجي لدى التلاميذ الموهوبين بالتعلم الأساسي، مجلة التربية القطرية، الدوحة، ع١٤٥، يونيو ٢٠٠٣م.
- الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير مادة (أمن)،، مكتبة لبنان، بيروت.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالبر بن محمد القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط ١، ١٤١٤هـ، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية
- قلعجي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- الماوردي، أبي الحسن، أدب الدنيا، تحقيق: ياسين محمد السواس، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر، بيروت، ط الثانية ١٤١٥هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.
- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الاحواذي بشرح جامع الترمذي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٩/ ٤٠٢.
- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط الأولى، المطبعة الخيرية بمصر١٣٠٦هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، خطبة الحاجة، دار النشر المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٠هـ.
- محمود محمد عبد الله، طرق تدريس مناهج التعليم الديني تحدياتها وآفاقها في ضوء الواقع المعاصر، بحث مقدم لندوة(مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي) ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ماليزيا.

- محمود، حمدي شاكر، مبادئ في علم نفس النمو في الإسلام، دار الأندلس، السعودية، ط الأولى، ١٤١٨هـ.
- الميلادي، عبد المنعم، تنمية القدرات الإبداعية عند الطفل، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.
- نحو استراتيجية وطنية لتكريس مفهوم الأمن الفكري في المجتمع، قراءة استطلاعية تحليلية إعلامية ضمن بحوث المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري (المفاهيم والتحديات)، الناشر: كرسي الأمير نايف بن عبدالعزيز لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود في الفترة من ٢٢-٢٥ جماد الأول عام ١٤٣٠.
- نور، أمل محمد أحمد عبدالله محمد، مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية عام ١٤٢٧هـ-١٤٢٨هـ.
- الهيتي، عبد الستار، الحوار الذات والآخر، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، محرم ١٤٢٥هـ.
- الوادعي، سعيد بن مسفر القريني، الأمن الفكري الإسلامي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

مفهوم الخروج على ولاة الأمر

وخطره وآثاره السيئة على المجتمع السعودي

يوسف بن صالح عبدالله الموينع

طالب دراسات عليا في قسم السنة وعلومها

كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمـــة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

تواطـأت النـصوص الـشرعية مـع العقـل الـسليم، والـذوق المقاصـدي الرَّفيـع، والحوادث التاريخية، والنُّظُم الاجتماعية الحديثة؛ على لزوم طاعة أولياء الأمـر، وتبجيلهم واحترامهم، وترك الخروج عليهم، أو منابذتهم بالسيف، أو الخـروج عليهم بـالرأي المثير للإحن والفتن.

كـما تواطـأت عـلى أنّ هـذا الخـروج عاقبتـه إلى شر في الغالـب، واسـتباحة للحرمـات والمحرَّمات، وانتهاك للمقاصد الضروريّات التي ندبت جميع الملـل والـشرائع إلى حفظهـا؛ مِن الدماء، والأموال، والعقول، والأعراض.

ورأس الفرق التي اتَّخَذت الخـروج عـلى أوليـاء الأمـور دِيْنًـا وطريقًـا مـسلوكًا، فرقـة الخوارج على اختلاف أسمائها وألقابها في القـديم والحـديث[1]؛ ولا تنفـع اخـتلاف الأسـماء إذا كان المعنى واحدًا، والعبرة كما يقول أهل العلم: بالمعاني دون الأسماء والمباني.

ويهدف هذا البحث إلى جملة من الأهداف الرئيسة، وهي:

- إبراز أنّ مفهـوم الخـروج عـلى ولاة الأمـر، كـما يـشمل الخـروج بالـسيف، يـشمل كذلك الخروج بإثارة الفتن والتحريض ونحو ذلك.
- بيان الارتباط بين صـفات الخـوارج الباطنـة مـن الجهـل واتّبـاع الأهـواء والكِبر، وسلوكهم الشاذّ المنحرف في أرض الواقع.
- بيان خطورة الخروج على ولاة الأمـر مِـن زاويـة انتهاكـه لمقاصـد الإسـلام العليـا وضروراته الكبرى.
- بيان الآثار الـسيئة للخـروج عـلى ولاة الأمـر عـلى المجتمـع الـسعودي مِـن تهديـد للأمن وإشاعة للخوف.

---

(١) ومِن هذه الألقاب والمسمَّيات: الشراة، المحكِّمة، الحرورية. ينظر: الخوارج أول الفِرَق في تـاريخ الإسـلام، د. ناصر العقل، ص٢٢ – ٢٣، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، د. أحمد محمـد أحمـد جلي، ص٥٢ – وما بعدها، أقوال أئمة أهل السنة في الحكم على الخوارج، ابتهـال الـشعلان، ص٣٢ – ٣٤، ومِن هذه الأسماء في العصر الحديث: تنظيم القاعدة، تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إلخ. وينظر: القـصة الكاملة لخوارج عصرنا، د. إبراهيم بن صالح المحيميد، ص١٩ – وما بعدها.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث سلوك المنهج التحليلي، وذلك مِن خلال استكشاف طبيعة الخروج على ولاة الأمر، وعرض الأفكار والصفات الرئيسة لفرقة الخوارج، مع نقدها وإثبات عوارها، واستنباط ما يؤول إليه الخروج من المخاطر والآثار السيئة العلمية منها والمجتمعية.

خطة البحث:

وهذا البحث ينتظم في مقدمة وثلاثة مطالب وملحق وخاتمة تشتمل على أبرز النتائج والتوصيات:

- أما المطلب الأول: فأفردته في مفهوم الخروج على ولاة الأمر. وفيه ثلاثة فروع:
  - الفرع الأول: تعريف الخروج.
  - الفرع الثاني: تعريف ولاة الأمر.
  - الفرع الثالث: مفهوم الخروج على ولاة الأمر.
- وأما المطلب الثاني: خطورة الخروج على ولاة الأمر. وفيه ثلاثة فروع:
  - الفرع الأول: خطورة الخروج على وليّ الأمر على الدِّين.
  - الفرع الثاني: خطورة الخروج على وليّ الأمر على العقل.
  - الفرع الثالث: خطورة الخروج على وليّ الأمر على الدماء والأموال والأعراض.
- وأما المطلب الثالث: الآثار السيئة للخروج على ولي الأمر على المجتمع السعودي. وفيه ثلاثة فروع:
  - الفرع الأول: فساد الحياة واختلال نظام المجتمع وفشوّ الوهن في جسده.
  - الفرع الثاني: انتشار الخوف وضعف الأمن.
  - الفرع الثالث: تفرُّق الكلمة وكثرة الفتن وانتشار الكراهية.
- ملحق: بيان هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام عام ١٤٠٠هـ.
- الخاتمة، وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.
- فهرس المراجع.

المطلب الأول

مفهوم الخروج على ولاة الأمر

هذا العنوان يقتضي التعريف بجملة مصطلحات:

المصطلح الأول: "الخروج".

المصطلح الثاني: "ولاة الأمر".

المصطلح الثالث - وهو مصطلح مركَّب -: "الخروج على ولاة الأمر".

الفرع الأول: تعريف الخروج:

- **تعريف الخروج لغةً:**

الخروج، هو: النَّفاذ عن الشيء، يقال: خرج خروجاً ومخرجاً: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره داراً، أو بلدًا، أو ثوبًا[1]. والخوارج في اللغة، هي: الطاقات والمحاريب في الجدار من باطنه، وقيل: ما خرج من أشكال البناء مخالِفاً لأشكال ناحيته[2]، واحده: خارجة، أي: طائفة خارجة، ولا يجوز أن يكون واحده خارجاً؛ لأنه ليس مما سُمِع جمعه على خوارج[3]. والخارجي: الذي يسود بنفسه من غير أن يكون له قديم[4]. ويُلاحَظ التناسب الكبير بين معنى الخروج في اللغة وما عليه منهج الخوارج؛ إذ إنّهم خارجون على أئمّة المسلمين وجماعتهم وعلى عقيدة الإسلام، ولم يكن لهم سلف صالح، بل إنهم فاقوا وتميَّزوا على غيرهم مِن أهل البدع بما لم يُسبَقوا إليه، حيث صاروا يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان[5].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٢/ ١٧٥، الصِّحاح للجوهري ١/ ٣٠٩ – ٣١٠، المفردات للراغب، ص٢٧٨.

(٢) ينظر: المصباح المنير، خ ر ج ١/ ١٦٦.

(٣) المطلع على ألفاظ المقنع، ص٤٦١.

(٤) الصِّحاح ١/ ٣٠٩. وفي المفردات للراغب، ص٢٧٨ – ٢٧٩: "هو الذي يخرج بذاته عن أحوال أقرانه، ويقال ذلك تارة على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة من هو أعلى منه، وتارة يقال على سبيل الذم إذا خرج إلى منزلة من هو أدنى منه".

(٥) الخوارج: نشأتهم، فِرَقُهم، صفاتهم، الرد على أبرز عقائدهم، د. سليمان بن صالح الغصن، ص٤٦.

- **تعريف الخروج اصطلاحًا:**

الخروج كمصطلح خاص في أبواب الإمامة أو الفِرَق يعنى به: مفارقة الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، ومنابذته بالسيف بغية عزله وخلعه، وسواء كان هذا الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان[1].

ومصطلح الخوارج، وفاقًا لِمَا تقدَّم يُراد به: "كل مَن خرج على إمام مِن أئمة المسلمين، اتفقت الجماعة على إمامته في أي عصر مِن العصور، ودون أنْ يأتي ذلك الإمام بكُفر ظاهر ليس عليه حُجَّة"[2].

وأبرز سِيْما الخوارج، ودِينهم المعَظَّم: الثورة على أئمَّة الجور[3]، ومفارقة جماعة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، وتكفير أصحاب المعاصي والقول بأنهم مخلَّدون في النار[4].

ويشمل اسم الخوارج، ويندرج تحت وصفهم: كل مَن أخذ بأصولهم، وسلك

---

(١) الملل والنحل ١/ ١١٤ بتصرُّف. وينظر: معجم ألفاظ العقيدة، ص١٦٩.

(٢) مذكّرة التوحيد، عبد الرزاق عفيفي، ص١١٨. يقول د. محمد عمارة في كتابه تيارات الفكر الإسلامي، ص١١ في معرض بيان نشأة الخوارج: "كانت الطلائع الأولى التي كوَّنت فرقة الخوارج مكوَّنة في أغلبيتها مِن "القُرَّاء"، وكانت تغلب على جمهورهم "بداوة الأعراب" الذين لا جَلَد لهم على "فقه" أساليب الصراعات السياسية ومنعرجاتها".

(٣) ويُلاحَظ أنَّ الحكم بالجور في هذا الموضع مِن المشكلات التي تعتريها النسبيّة؛ حيث إنَّ الخوارج لِما عُرِفوا به مِن التساهل في التكفير بالذنب، وقلة الفقه بالواقع السياسي، وفساد تنزيل النصوص على الوقائع، وإساءة الظن بالحكّام وعدم احترامهم أو الاكتراث بشأنهم؛ فإنَّهم يستبدُّون برأيهم، فينزلون وصف الجور بالحاكم وفق أهوائهم وقد يكون غير ذلك؛ لذا نجد أنَّ خوارج المغرب مثلًا كما يذكر د. محمود إسماعيل عبد الرزاق في رسالته للدكتوراه: "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ص١٠٣: "أعلنوا الثورة في كثير من الأحيان على الحكّام العرب بغض النظر عن تعدِّيهم وظلمهم أو عدلهم ونزاهتهم، فلم يسلم الولاة الذين دأبوا على الإصلاح مِن أمثال عمر بن حفص ويزيد بن حاتم مِن خطر الخوارج والثورة عليهم".اه. بتصرُّف يسير.

(٤) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٩٠، مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٠٩، أقوال أئمة أهل السنة في الحكم على الخوارج، ص٣٠ – ٣١، الخوارج أول الفِرَق في تاريخ الإسلام، د. ناصر العقل، ص٢١.

سبيلهم في هذا العصر[1].

والخارجون على الإمام على أربعة أصناف:

- قوم امتنعوا وخرجوا عن طاعة الإمام بغير تأويل؛ فهؤلاء قُطَّاع طريق.
- قوم امتنعوا وخرجوا عن طاعة الإمام، ولهم تأويل، إلا أنهم نفر يسير لا منعة لهم.
- الذين يُكَفِّرون بالذَّنب، ويستحلُّون دماءَ المسلمين.
- قوم من أهل الحق، خرجوا على الإمام، ويرومون خلعه لتأويل سائغ وفيهم منعة[2].

الفرع الثاني: تعريف ولاة الأمر:

- **تعريف ولاة الأمر لغةً:**

الوليّ: مِن ولي الشيء وولي عليه، والمصدر وِلاية - بكسر الواو -: الإمارة والسُّلطان[3].

والأمر: هو الشَّأن، والجمع: أمور[4].

- **تعريف ولاة الأمر اصطلاحًا:**

هم: "أصحاب التصرُّف في شأن الأُمَّةِ الذين يملكون زمامَ الأمور، وبِيَدِهم قيادة الأمور"[5].

وقيل: ولي الأمر من المسلمين: من يقوم بشأنهم في أمر دينهم، وجميع ما أدَّى إلى

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٧٦: "وهذه النصوص المتواترة عن النبي ﷺ في الخوارج، قد أدخل فيها العلماء لفظًا أو معنًى مَن كان في معناهم مِن أهل الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين". وينظر: الخوارج أول الفِرَق في تاريخ الإسلام، د. ناصر العقل، ص٢١.

(٢) التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد آل عبد اللطيف، ص١٥٩. وللاستزادة حول مفهوم الخوارج وطبقاتهم، ينظر: القصة الكاملة لخوارج عصرنا، إبراهيم المحيميد، ص٤١٩-وما بعدها، الخوارج، د.سليمان الغصن، ص٤٦-وما بعدها.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٢٣، تاج العروس ٤٠/ ٢٤٢.

(٤) تاج العروس ١٠/ ٦٩، ٢٨/ ٢٦.

(٥) الإشاعة وخطرها على ولاة الأمر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٩٦)، ربيع الأول إلى جمادى الثاني ١٤٣٣هـ (٩٦/ ٩٤). وذكر الماوردي في الأحكام السلطانية، ص١٦ أنهم: "الأئمَّة المتأمِّرون علينا".

إصلاحهم[1].

وقيل: بأنَّهم: "الرؤساء ومَن بأيديهم الحل والعقد"[2].

ومِن ألقاب وليّ الأمر: الخليفة، أمير المؤمنين، الإمام، الحاكم، السلطان، الملك، الأمير، الرئيس[3].

أمَّا الوِلاية؛ فإنَّها: "استحقاق تصرُّف عام على الأنام"[4].

الفرع الثالث: مفهوم الخروج على ولاة الأمر:

المفهوم الأبرز للخروج على ولاة الأمر، والأشهر عند الإطلاق، يعني: "الثورة المسلَّحَة على ولاة الأمر في المجتمعات الإسلامية؛ بغية خلعهم عن الحكم بالقوَّة بعد استتباب الأمر لهم[5]".

ويُطلَق - كذلك - مصطلح الخروج على ولاة الأمر ويراد به: التحريض على ولاة الأمر، وبث الاستهانة بهم في نفوس العامَّة، وإثارة الفتن حولهم، والتهوين مِن شأنهم، والدعوة إلى عدم الانصياع لِما يُجرونه مِن نُظُم وأوامر اجتهادية يتوخَّون المصلحة مِن ورائها. ويمكن وصف هؤلاء الصنف بأنهم: "الخوارج القعدية"، وهم: "قوم من الخوارج كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون الخروج، بل يُزَيِّنونه"[6]. وإنَّما اكتفوا بالتزيين لعدم القدرة على مباشرة الخروج بالسنان؛ لذا كان أكثر الخوارج في هذا العصر من الخوارج القعدية، كما جاء في قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك الخوارج لمّا كانوا أهل سيف وقتال، ظهرت مخالفتهم للجماعة؛ حين كانوا يقاتلون الناس، وأما اليوم

(١) تاج العروس ٢٨/ ٢٦، ونحوه في: سلطة ولي الأمر في تقييد سلطة القاضي، د. محمد بن عبد الله المرزوقي، ص٢١.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ١١٧.

(٣) وينظر: سلطة ولي الأمر في تقييد سلطة القاضي، د. المرزوقي، ص٢٢ - ٢٥.

(٤) الدر المختار للحصكفي، ص٧٥.

(٥) الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، د. جمال الحسيني أبو فرحة، ص١٢ بتصرُّف يسير.

(٦) فتح الباري ١/ ٤٣٢.

فلا يعرفهم أكثر الناس"[1]. ومفهوم الخروج على هذا النحو أخفّ درجة من المفهوم الذي قبله؛ إذْ لم يشتمل على منابذة بالسيف أو ثورة مسلَّحَة[2].

ومِن مصطلحات وألقاب أو مظاهر الخروج على وليّ الأمر: الثورة، الانقلاب، المظاهرات، الاعتصامات، والمسيرات[3].

(١) النبوات ١/ ٥٦٤. وينظر: الفرق بين البغاة والخوارج وأثره، د. خالد بن مفلح، مجلة العدل، العدد ٥٣، محرم ١٤٣٣هـ السنة (١٤)، ص٦٧، ٩٧، ٩٨، ١٠٨، ١١٤، القصة الكاملة لخوارج عصرنا، ص١٤٦ - وما بعدها.

(٢) وينظر: مجموع فتاوى ابن باز ٨/ ٤١٨، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي ١/ ٢٣٢.

(٣) يقول الشيخ ابن باز في الفتاوى ٦/ ٤١٨: (الأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات. ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرا عظيمًا على الدعاة؛ فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة؛ فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبة التي هي أحسن، فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة؛ فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم). ويقول الشوكاني في السيل الجرّار، ص٩٦٥: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويبذل له النصيحة، ولا يذل سلطان الله". وينظر: طرق انتهاء ولاية الحكام في الشريعة الإسلامية والنظم الدستورية، ص٣٩٧ – وما بعدها.

المطلب الثاني
خطورة الخروج على ولاة الأمر

الإمامة أو ولاية أمر المسلمين؛ موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدِّين، وسياسة الدُّنيا، وعقْدها لمن يقوم بها في الأُمَّة واجب بالإجماع[1]؛ قال بعض أهل العلم: "ويجب نصب إمام بحراسة الدِّين، وسياسة أمور المسلمين، وكفّ أيدي المعتدين، وإنصاف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها، ويضعها جمعًا وصرفًا في مواضعها؛ فإن بذلك صلاح البلاد، وأمن العباد، وقطع مواد الفساد؛ لأنَّ الخَلْقَ لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم، ويتجرَّد لحراستهم؛ ولذلك قال بعض الحكماء: "جور السلطان أربعين سنة خير من رعية مهملة ساعة واحدة"، وقيل في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾[2]: "لولا أنَّ الله تعالى أقام السلطان في الأرضَ؛ يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه؛ لتواثب الناس بعضهم على بعض، ثم امتنَّ اللهُ تعالى على عباده بإقامة السلطان لهم بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3][4].

ولأجْل خطورة منصب الولاية الذي به تُحْقَن الدماء، وتصان الأموال والأعراض؛ تواترت النصوص الشرعية النبوية، التى تلتها وتفرَّعت منها نصوص أئمَّة الإسلام، في تقرير وجوب طاعة الإمام، وعدم الخروج عليه؛ برًّا كان أو فاسقًا أو جائرًا؛ لِمَا يترتَّب على الخروج مِن الأمور الجسام، والفظائع العظام، التى هى أكبر مِن فسق الحاكم الذي قد لا يعدو نفسه إلى رعيّته، أو جوره الذي قد ينال مِن بعضهم دون بعض، ولكن فتنة الخروج إذا طلَّت برأسها؛ فإنَّ بلائها يعمّ الصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير؛

(١) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي، ص١٥.
(٢) البقرة: ٢٥١.
(٣) البقرة: ٢٥١.
(٤) ينظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص٤٨ - ٤٩.

فتسفك الدماء، وتستباح الأموال والأعراض؛ لذا تتابعت النصوص على وجوب طاعة ولِيّ الأمر في المعروف[1]، ولزوم الصبر، وعدم جواز الخروج عليه، أو منابذته بالسيف والقتال، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مُبَيِّنًا أصل أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الشأن العظيم: "مِن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة؛ وأمّا أهل الأهواء.. فيرون القتال للأئمَّة مِن أصول دِينهم"[2]. وقال أيضًا: "مِن العلم والعدل المأمور به: الصبر على ظلم الأئمة وجورهم، وكما هو مِن أصول أهل السُّنة والجماعة، وكما أمر به النبي ﷺ في الأحاديث المشهورة عنه"[3]. وإذا كان هذا الأصل ثابتًا في حقِّ أئمَّة الجور، فأولى أنْ يكون أكثر ثبوتًا في حقِّ أئمَّة العدل الذين يسعون في مصالح أمّتهم ليل نهار لا يلتفتون عن ذلك، ولا يحيدون عنه، وفق طاقتهم واجتهادهم.

ومِن أشهر النصوص النبوية التي تبيِّن حقَّ ولِيّ الأمر على رعيته مِن وجوب طاعته، وعدم تجويز الخروج عليه بقتالٍ ونحوه:

- قوله ﷺ: "شِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: "لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ[4]، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"[5]. فتأمَّل واقع هؤلاء الأئمة وما هم عليه من الشر الذي استجلب لهم مِن رعيَّتهم البغض

(١) جاء في شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/ ٢٢٤: "تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية؛ فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنَّه لا سمع ولا طاعة في المعصية".

(٢) الاستقامة ٢/ ٢١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٧٩. وينظر: شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢٣٢، ٢٣٧، منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٩٢، فتح الباري ١٣/ ١١،٧، ٣٦ – ٣٧.

(٤) لعلَّ تخصيص الصلاة هنا بالذِّكر لأنها الركن الوحيد الذي لا يكاد يخفى على عامة المسلمين إقامة الحاكم له مِن عدم إقامته، وخاصَّة في الجُمَع والأعياد، أما غيره من الأركان فأداؤه له أو عدمه فغير ظاهر للعامة ما لم ينكره جهارًا. ينظر: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، د. أبو فرحة، ص٤٦، حاشية: ٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم ٣/ ١٤٨١ برقم: ٦٥ – (١٨٥٥).

واللعن، ومع ذلك أمر ﷺ بعدم نزع اليد من طاعتهم؛ لِما يترتب على ذلك مِن الآثار الخطيرة، والمفاسد العظيمة؛ لذا: "أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباهَهم من أهل البدع والبغي متى خرجوا وخالفوا رأى الجماعة، وشقُّوا عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف؛ أنَّ قتالهم واجب بعد إنذارهم والإعذار إليهم"[1]. وما كان أمر قتال الخارجين إلا لدفع شر ورهم، والحفاظ على وحدة الأمة وتماسكها واجتماعها.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: "إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ[2]، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا"، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: "تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ"[3]؛ "فقد أخبر النبي ﷺ - كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -: أنَّ الأمراء يظلمون ويفعلون أمورا منكرة، ومع هذا فأمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم، ونسأل الله الحق الذى لنا، ولم يأذن فى أخذ الحق بالقتال ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم"[4]. وهذا الحديث الشريف - كما يقول النوويُّ - معدود "مِن معجزات النبوة؛ فقد وقع هذا الإخبار متكررًا، ووُجِدَ مُخْبَرُه متكررًا، وفيه: الحث على السمع والطاعة وإنْ كان المتولِّي ظالمًا عسوفًا؛ فيُعطَى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه، ولا يُخلَع؛ بل يُتضرَّع إلى الله تعالى في كشف أذاه، ودفع شره، وإصلاحه"[5].
- وفي الحديث أنَّ سَلَمَةَ بْنَ يَزِيدٍ الْجُعْفِيّ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ:

---

(١) إكمال المعلم ٣/ ٦١٣.

(٢) الأثرة - بفتح الهمزة والثاء - الاسم من آثر يوثر إيثارا إذا أعطى، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء. النهاية لابن الأثير ١/ ٢٢. وقال شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢٣٢: "والمراد هنا: استئثار الأمراء ببيت المال".

(٣) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٩٩ (٣٦٠٣)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول ٣/ ١٤٧٢ برقم: ٤٥ - (١٨٤٣).

(٤) منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٩٢.

(٥) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٣٢.

"اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"[1]، "أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا، ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم. وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال. وسببها: اجتماع كلمة المسلمين؛ فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"[2].

ومخالفة هذا المنهج القويم، والأصل السديد: "أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، ومَن تأمَّل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها مِن إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر؛ ولهذا لم يأذن ﷺ في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه"[3]. يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "عادة أكثر النفوس: تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه؛ فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم، فيصبر عليه كما يصبر عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على ظلم المأمور والمنهي في مواضع كثيرة"[4]. وقال أيضًا: "قَلَّ مَن خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله مِن الشر أعظم مما تولَّد من الخير"[5].

ثم إنَّ خطورة الخروج على وليِّ الأمر تتمثَّل في انتهاك الضرورات الخمس التى اتفقت جميع الملل على مراعاتها، والحفاظ عليها وصيانتها؛ وهى: الدِّين، والعقل، والدماء، والأموال، والأعراض؛ ولا شكَّ أنَّ الخروج على وليِّ الأمر ينتهك كل ضرورة مِن هذه الضرورات بوجه مِن الوجوه التي نظمتها في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: خطورة الخروج على وليّ الأمر على الدِّين:

إنَّ خطورة الخوارج في حقيقتها وأبعادها ومآلاتها خطورة مركَّبة مِن سَيْفٍ مُسَلَّط، وعقل جامح، وهوى دافع؛ فهي ليست خطورة قُطَّاع الطرق وحسب الذين يحرصون

(١) رواه مسلم: كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ٣/ ١٤٧٤ برقم: ٤٩ - (١٨٤٦).
(٢) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٥.
(٣) إعلام الموقعين ٤/ ٣٣٨ – ٣٣٩ باختصار.
(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٧٩ - ١٨٠.
(٥) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٢٧.

على اغتصاب الأموال مِن أصحابها، ولكنها خطورة تمتدُّ إلى أديان الناس وعقائدهم، حتى تزيل اسم الإسلام عنهم، ومِن ثَمَّ يستبيحون بعد ذلك دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

كما هى أيضًا خطورة على صحَّة المعتقدات، مِن خلال العمل على سريان المعاني الفاسدة إلى أصحاب العقول الضعيفة الذين تستميلهم العواطف المجرَّدة عن العلم، وتستحثّهم الشعارات الجوفاء غير المنضبطة بالفهم الصحيح والعقل الرجيح.

وهذا هو شأن الخوارج؛ يسعون إلى استرقاق العقول الضعيفة وجذب القلوب الهشَّة؛ مِن خلال المنطق المدخول، والتسويغ الجائر، وقلب الحقائق، وعكس الأمور؛ يتَّخذون مِن ذلك حلًّا سحريًّا، ومُخَدِّرًا لعقولهم الطائشة المنحرفة عن الهدى؛ حتى تتحقَّق لهم طلبتهم وما يسعون إليه مِن استباحة عقائد الناس وأموالهم ودمائهم، دون شعور بمسؤولية، أو وازع مِن ضمير.

والخوارج يشذُّون عن جماهير أهل الإسلام في الأصول والقواعد، ولا يكترثون بمخالفة الإجماع أو ما اتفق عليه عموم أهل الإسلام أو ما صحَّت به السُّنَّة الصحيحة بحجَّة أنها أحاديث آحاد[1]؛ حتى يستقيم لهم تقعيد دين جديد بأصول محدَثَة مبتدعة، يستطيعون مِن خلالها حرف الناس عن الدين الحق، وإمالتهم عن المعتقد الصحيح[2]، وقد روى الخطيب البغداديُّ إلى ابن لهيعة، أنَّه قال: سمعت شيخًا مِن الخوارج تاب

(١) من ذلك: إنكارهم أحاديث رجم الزاني المحصن، رغم صحَّتها، واتفاق المسلمين على العمل بها، وتجويزهم الجمع بين المرأة وعمَّتها وبينها وبين خالتها رغم وقوع الإجماع على تحريم ذلك وثبوت السُّنّة الصحيحة بتحريمه. ينظر: المغني لابن قدامة ٩/ ٥٢٢، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي ١/ ٦٤٠، ٢/ ٣٨٤.

(٢) جدير بالذِّكر أنه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ١٣/ ٤٩ أنَّ "أقوال الخوارج إنما عرفناها مِن نَقْلِ الناس عنهم؛ لم نقف لهم على كتاب مصنَّف؛ كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والأشعرية والسالمية وأهل المذاهب الأربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء".اه. ويُرجِع ابن النديم في الفهرست السبب في ذلك إلى عدواة الناس لهم، فيقول في الفهرست، ص٢٩١: "هؤلاء القوم كتبهم مستورة، قَلَّ ما وقعت؛ لأنَّ العالم تشنؤهم، وتتبعهم بالمكاره؛ ولهم مصنِّفون ومؤلِّفون في الفقه والكلام".

ورجع وهو يقول: "إنَّ هذه الأحاديث دِين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم؛ فإنَّا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا"[1]. وهذا اعتراف منه بوضع الحديث؛ فهم بين ردِّ الحديث الصحيح المتفق على العمل به، ووضع الحديث الذي يساير أهوائهم ويسوِّغ جرائمهم وأفعالهم.

ولجميع ما تقدَّم؛ رُدَّت فتاوى هؤلاء الخوارج، ولم يرفع العلماء بها رأسًا؛ فقيل في ذلك: "وأما الشُّراة[2] والرافضة الذين يسبُّون السَّلف الصالح؛ ففتاويهم مردودة، وأقوالهم ساقطة"[3].

كما ذكر بعض أهل العلم أنّ الخوارج إذا "غلبوا على بلدة، وقلدوا قاضيا من الخوارج، لم يجز"[4].

ولخطورة الفكر الخارجي المارق على أديان الناس وصحَّة معتقدهم، دخلت قضية الإمامة كتب العقائد والفِرَق عند أهل السُّنَّة[5]، فغدت تدرَّس في تلك الكتب كما تُدَرَّس في كتب الفقه[6].

ومِن دلائل خطورة فكر الخوارج على صحَّة الدِّين والمعتقَد، أنَّ غير المسلم لو أسلم ودخل الإسلام مِن بوّابة الخروج، لأسلم على غير هُدَى، كمن أسلم من بوّابة الرفض؛ فصار يمقت ويسبّ مَن كان سببًا في تبليغ الدين وصيانته وحمْله -وهو الصحابة رضى الله عنهم أجمعين-، فما ينفع الإسلام حينئذ، وهو إسلام مدخول بعقائد فاسدة يضرب

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ١٣٧.

(٢) (الشُّراة): لقب مِن ألقاب الخوارج؛ وإنما لزمهم هذا اللقب؛ لأنهم زعموا أنهم شروا دنياهم بالآخرة، أي: باعوها. والشُّراة: جمع شارٍ. ويجوز أن يكون من المشارة: الملاجة. النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٦٩.

(٣) آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، للنووي، ص٢١.

(٤) الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، ص٢٦٣. وينظر: الخوارج، د. ناصر العقل، ص١٢١ – وما بعدها، أقوال أئمة أهل السنة في الحكم على الخوارج، ابتهال الشعلان، ص٣٨٤ – ٣٨٨.

(٥) مِن ذلك – مثلًا – قول الطحاوي في متن العقيدة الطحاوية، ص٦٨ – ٦٩: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".

(٦) الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، د. جمال الحسيني أبو فرحة، ص١١.

بعضها بعضًا وينفر بعضها من بعض، فلا تكاد تلتئم على حقّ، أو تستقيم على هُدى؛ لذا نجد أبا العالية جَمَع بين شكر الله على نعمتين؛ الأولى نعمة الإسلام، والثانية أنه أسلم على المنهج الحقّ الذى لا شطط فيه ولا غلو ولا تكفير ولا خروج، فيقول رحمه الله: "قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ بِنِعْمَتَيْنِ، مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أم لم يجعلنى حروريًّا"[1].

وهكذا يتبيَّن أنَّ الخوارج بما يرون مِن الخروج على ولى الأمر والسلطان، إنّما يستبيحون قواعد الإسلام، قال بعض القدماء: "الدِّين والسلطان توأمان"[2]، وقيل: "الدِّين أُسّ، والسلطان حارس؛ فما لا أُسَّ له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع"[3]. وعن كعب الأحبار أنه قال: "مثل الإسلام والسلطان مثل عمود وفسطاط؛ فالفسطاط الإسلام، والعمود السلطان، والأوتاد الناس؛ ولا يصلح بعضهم إلا ببعض"[4].

الفرع الثاني: خطورة الخروج على وليّ الأمر على العقل:

العقل الصحيح هو الذي يكبح جماح العاطفة، ويهديها سبل الرشاد؛ فيعقل الأمور على وجهها، ويُسَدِّد الأقوال والأفعال في مواضعها اللائقة بها. وما يفعله الفكر الخارجيّ فى العقول شيء خطير، وهو منظور مُتَعَالَم لا يحتاج إلى كثير تدليل؛ فإنَّ الفكر الخارجى فى حقيقته يقوم على الجهل[5] الذي هو رأس أمره، وقوام بنائه[6]، كما إنَّه - كما هو حال كثير من الفرق المبتدعة - يقوم على "سوء الفهم عن الله ورسوله، حتى صار الدِّين بأيدي أكثر الناس هو مُوجب هذه الأفهام، والذى فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٧/ ١١٣، والفريابي في القدَر، برقم: (٣٩٣).
(٢) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص٩٥.
(٣) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، الموضع السابق.
(٤) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص٩٦.
(٥) والجهل – كما يقال – هو "الموت الأكبر". مجاني الأدب ٢/ ١٣٣.
(٦) يقول د. سليمان الغصن في كتابه الخوارج، ص٣٥ – ٣٦: "إنّ مِن أهم الأسباب التي أدَّت إلى خروج الخوارج: الجهل؛ ذلك أنهم رغم كثرة عبادتهم، إلا أنهم كانوا جُهّالًا قليلي الفقه".اه. باختصار. وينظر: كتاب د. سليمان الغصن في الخوارج، ص٨٥ – وما بعدها.

فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يَرفع هؤلاء به رأسًا"[1].

وفي سبيل تمرير مشروع الجهل والتجهيل الخارجى، والسعى في أنْ يشربه أكثر الناس، تتربَّص هذه الفرقة الخارجة بأصحاب العقول الضعيفة الذين يحتكمون إلى عواطفهم وأهوائهم دون مراعاة للعلم وأصوله وقواعده[2]، ودون مراجعة لأهل العلم الذين ينال منهم الخوارج أشد النَّيل بعبارات وألقاب جائرة مِن أجل تنفير الناس -لا سيما الشباب- منهم، حتى يقعوا صيدًا سهلاً في أيدي أولئك العابثين الخارجين[3]؛ فتتربَّص الفرقة الخارجة بأمثال هؤلاء، فيزيّنون لهم الأمور على غير وجهها، ويصوّرونها بصور فاسدة، تجعل الحقّ باطلاً والباطل حقّا، فتزيغ العقول، وتفسد الأفهام، ويفسد تصوير الحقائق في النفوس.

والمسلم دون عقل صحيح سالم من الشبهة والهوى لا يستطيع في كثير من الأحيان الفهم عن الله مراده ومراد رسوله، كما لا يصبر هذا العقل الضعيف المشرب بالهوى، المحفوف بالعجلة، المدفوع بفساد المنطق والتصوُّر؛ على تلقِّى العلم وفق أصوله ومناهجه الصحيحة، إنما هى كلمات مقتطعة من سياقها، ومعان مجتزأة من نصوصها، فيحصل تشويه عظيم للعقل، فتفسد صوره، ويفسد تصوّره، ويفسد إدراكه؛ فتنعكس الحقائق عليه، وتضطرب المعاني بين عينيه؛ فيلتقط منها ما أشربه هواه، ويتلاقى مع الأفكار التي تتماشى مع عاطفته الهوجاء دون بصيرة من علم، أو إرشاد أو تهذيب من الوحي.

---

(١) الروح، ص٦٣.

(٢) وقد كان مِن أهم أسباب تدوين الآثار في أواخر عصر التابعين كثرة الابتداع مِن الخوارج ونحوهم من الفرقة المبتدعة. ينظر: مقدمة فتح الباري / هدي الساري لابن حجر، ص٦.

(٣) وممّا يُحكَى في إيذاء الخوارج لأهل العلم الحقيقين، والتربُّص بهم وبتلامذتهم بغية صرفهم عن الحق الذي هم عليه، وتلبيس الحقائق على الطلبة لعلهم يظفرون بنابه منهم يشدّ من عضدهم، ويقوّي شوكة جهالتهم؛ فقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعوة، برقم: (٩٣) من طريق عصام بن زَيْد – رجل مِن مُزَيْنَة –، قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَغْشَى مَجْلِسَ الْحَسَن فَيُؤْذِيهِمْ، فَقِيلَ لِلْحَسَن: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَلَا تُكَلِّمُ الْأَمِيرَ حَتَّى يَصْرِفَهُ عَنَّا؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُمْ قَالَ: فَأَقْبَلَ ذَاتَ يَوْم وَالْحَسَنُ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ قَدْ عَلِمْتَ أَذَاهُ لَنَا، فَاكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ قَالَ: فَخَرَّ الرَّجُلُ وَاللهَّ مِنْ قَامَتِهِ، فَمَا حَلَّ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا مَيِّتًا عَلَى سَرِيرٍ فَكَانَ الْحَسَنُ إِذَا ذَكَرَهُ، بَكَى، وَقَالَ لِلنَّاسِ: مَا كَانَ أَغَرَّهُ بِاللهِ"".

وممّا يكشف ويبيّن فساد عقول الخوارج وما يفعله الفكر الخارجى فيهم مِن فساد التصوُّر، وتشويه الأمور وانعكاسها عليهم، قول النبىّ ﷺ فى صفتهم مِن أنَّهم: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسلام، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ"[1]، يُعَلِّق الإمام ابن الجوزي رحمه الله على هذا الحديث بقوله: "هذا مِن تسويل الشيطان للقوم، وتزيينه لهم؛ فإنَّه لما أحسَّ بقلَّة عقولهم مَلَكَها"[2].

ومِن عجائب الخوارج وتناقضهم أنَّهم: "شدّدوا في الصغائر مِن الذُّنوب، وسهَّلوا فى الآثار والسُّنَّة وفي ترك مذهب الجماعة حتى فارقوهم"[3]، يقول أبو طالب المكيّ في هذا المعنى في شأن الخوارج أنَّهم: "خرجوا على الأئمَّة بالسَّيف لإنكار المنكر، فوقعوا في أنكر المنكر مِن تكفير الأئمَّة، وإنكارهم السُّلطان، وتكفيرهم الأُمَّة بالصغائر. وهذا مِن أبدع البدع، وهؤلاء كلاب أهل النَّار"[4].

وهذا مِن أعظم الآيات على اضطرابهم وتخبُّطهم، وفساد رأيهم ومذهبهم.

الفرع الثالث: خطورة الخروج على وليّ الأمر على الدماء والأموال والأعراض:

نصوص أهل العلم في تقرير استباحة الفكر الخارجى للضرورات مِن الدماء والأموال المعصومة أكثر مِن أنْ تحصر، بل قبل هذه النصوص العلمية، تجد النصوص النبوية تُخبرنا عن حال الخوارج وكيف أنهم يستبيحون دماء أهل الإسلام ويدعون في الوقت نفسه أهل الأوثان؛ كما في الحديث المتفق عليه في شأنهم مِن حديث أَبِي سَعِيدٍ

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦]...، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٢/ ٧٤١ برقم: ١٤٣ - (١٠٦٤) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.. وجاء في عون المعبود (١٣/ ٧٨) بأنَّه قوله: "يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإسلام"، يعني: لتكفيرهم إياهم بسبب الكبائر. وقوله: " وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ": بفتح الدَّال، أي: يتركون أهل عبادة الأصنام وغيرهم مِن الكفّار.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ١٢٠.

(٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي ١/ ٢٨٢.

(٤) قوت القلوب ١/ ٣٩٧.

الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ ﷺ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا[1]، إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيُّ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلَابٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ، قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَتَأَلَّفَهُمْ" فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟" قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ - يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ - فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ[2] هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ، أَهْلَ الإسلَام، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[3]، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ"[4].

يُعَقِّب الإمام أبو العباس القرطبى على غرابة هذا المسلك الخارجى من قتل أهل الإسلام وترك أهل الأوثان، بقوله: وهذا منه ﷺ إخبار عن أمر غيب، وقع نحو ما أخبر عنه، فكان دليلًا من أدلة نبوته ﷺ؛ وذلك أنهم لما حكموا بكفر من خرجوا عليه من المسلمين؛ استباحوا دماءهم، وتركوا أهل الذمة، وقالوا: نفى بذمتهم، وعدلوا عن قتال المشركين، واشتغلوا بقتال المسلمين عن قتال المشركين، وهذا كله من آثار عبادات الجهّال الذين لم يشرح الله صدورهم بنور العلم، ولم يتمسَّكوا بحبل وثيق، ولا صحبهم في حالهم ذلك توفيق. وكفى بذلك أن مقدّمهم ردَّ على رسول الله ﷺ أمرَه، ونَسَبه إلى الجَوْر، ولو

---

(١) أي: مختلطة بترابها، لم تخلص ولم تميَّز بعد. ينظر: النهاية لابن الأثير ١/ ٣٩٦، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٤/ ٤٤١.

(٢) الضئضئ: الأصل، وحكى بعضهم: ضئضىء، بوزن قنديل، يريد: أنه يخرج من نسله وعقبه. النهاية لابن الأثير ٣/ ٦٩.

(٣) وهذا يدلّ على أنّ أعمال الخوارج مدخولة، وأنّ بواطنهم تخالف ظواهرهم، وفي هذا المعنى في قوت القلوب لأبي طالب المكي ٢/ ٢٣٠: "كان سهل يقول: المرائي حقًّا الذي يحسِّن ظاهره، حتى لا تنكر العامّة والعلماء من ظاهره شيئًا وباطنه خراب، وقد كان الحسن وأصحابه يسمُّون أهل البدع منافقين، وكان ابن سيرين وأصحابه يسمُّونهم خوارج".

(٤) تقدَّم تخريجه.

تبصَّر لأبصر عن قُرْبٍ أنه لا يُتَصوَّر الظلمُ والجورُ في حق رسول الله ﷺ، كما لا يُتَصوَّر في حق الله تعالى؛ إذ الموجودات كلُّها ملكٌ لله تعالى، ولا يستحقُّ أحدٌ عليه حقًّا، فلا يُتصوَّر في حقِّه شيءٌ من ذلك. والرسولُ مُبَلِّغٌ حُكْمَ الله تعالى، فلا يُتَصوَّر في حقِّه من ذلك ما لا يُتَصوَّر في حق مرسله. ويكفيك من جهلهم، وغُلوِّهم في بدعتهم حُكمهم بتكفير مَن شَهِد له رسولُ الله ﷺ بصحَّة إيمانه، وبأنه من أهل الجنة، كعليٍّ وغيره مِن صحابة رسول الله ﷺ، مع ما وَقَعَ في الشريعة، وعُلِمَ على القَطْع والثبات من شهادات الله ورسوله لهم، وثنائه على عليٍّ والصحابة عمومًا وخصوصًا[1].

فهذا هو حال الفئة الخارجة؛ مِن الجهل، وقلّة العقل، واتباع الهوى[2]، واتّهام الأخيار بالجور؛ والواقع أن الفئة الخارجة هى أحق بهذا الوصف من غيرها؛ إذْ إنَّ عدم اتباعها شرعة الله تعالى في خروجها على مَن لم يستوف شرائط الخروج عليه، وما زال الأمل في إصلاحه وانصلاحه قائمًا ولو بعد أمد طويل بانتهاج سبيل المناصحة والصبر والتزام الطاعة[3]، قد عرَّضت الأُمَّة للفتنة والمحنة التى أسالت الدماء، وأزهقت الأرواح، واغتصبت الأموال، وأشاعت الفوضى، وبثّت الخوف في النفوس، وزعزعت الطمأنينة من القلوب.

ولَمَّا كان الخروج على وليّ الأمر يستلزم الهرج والقتل الذي لا يفرق بين بر وفاجر؛ فقد جمع النبي ﷺ بينهما في سياق واحد في قوله: "وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى[4] مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ"[5].

وهكذا يتقرَّر أنَّ استباحة الدماء تحت قاعدة دينية تسوِّغ هذه الدماء، وتنظِّر لإباحتها

(١) المفهم ٣/ ١١٤ - ١١٥.

(٢) يقول د. سليمان الغصن في كتابه الخوارج، ص٨٩: "إنّ الناظر في تاريخ الخوارج يجد تعصُّبًا أعمى وإعجابًا بالرأي، ناتجًا عن اتّباعهم لأهوائهم، وإعراضهم عن الحق الذي مع خصومهم، فهم مغرمون بآرائهم، ومنافحون عن باطلهم".

(٣) ينظر: الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، د. جمال الحسيني أبو فرحة، ص٦٩-٧٠.

(٤) معناه: لَا يَكْتَرِثُ بِمَا يَفْعَلُهُ فِيهَا وَلَا يَخَافُ وَبَالَهُ. شرح صحيح مسلم اللنووي ١٢/ ٢٣٨.

(٥) صحيح مسلم (١٨٤٨).

وهدرها هى العلامة المميِّزة للفكر الخارجى المارق؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الفساد الظاهر كان في الخوارج: من سفك الدماء وأخذ الأموال والخروج بالسيف؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم والأحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم كثيرة جدا وهى متواترة عند أهل الحديث"[1]. ويقول الشَّهْرَسْتَاني: "وأعظم خلاف بين الأُمَّة خلاف الإمامة؛ إذْ ما سُلَّ سيفٌ فى الإسلام على قاعدة دينية، مثل ما سُلَّ على الإمامة فى كل زمان"[2]. لذا يُعَلِّل الإمام النوويُّ رحمه الله تعالى تحريم الخروج على الأئمة، وشق عصا الطاعة، وإنْ كانوا فسقةً ظالمين، وأنه لا يجوز عزل السلطان بالفسق وذلك بالإجماع، بقوله: "وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء..؛ فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه"[3].

والتجربة خير برهان، وأعظم شاهد على هذا التعليل الحكيم؛ فقد: "جرَّب المسلمون الخروجَ، فلم يروا منه إلا الشر؛ خرج الناس على عثمان يرون أنهم إنما يريدون الحق. ثم خرج أهل الجمل يرى رؤساؤهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق، فكانت ثمرة ذلك بعد اللتيا والتي أنِ انقطعت خلافة النبوَّة، وتأسَّست دولة بني أمية، ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه، فكانت تلك المأساة، ثم خرج أهل المدينة، فكانت وقعة الحرّة، ثم خرج القُرّاء مع ابن الأشعث، فماذا كان؟ ثم كانت قضية زيد بن علي، وعرض عليه الروافض أنْ ينصروه على أنْ يتبرَّأ مِن أبي بكر وعمر، فأبَى، فخذلوه، فكان ما كان، ثم خرجوا مع بني العباس فنشأت دولتهم التي رأى أبو حنيفة الخروج عليها، واحتشد الروافض مع إبراهيم الذي رأى أبو حنيفة الخروج معه ولو كتب له النصر لاستولى الروافض على دولته، فيعود أبو حنيفة يفتي بوجوب الخروج عليهم! هذا والنصوص التي يحتجّ بها المانعون مِن الخروج والمجيزون له معروفة، والمحقِّقون يجمعون بين ذلك بأنَّه إذا غلب على الظن أنَّ ما ينشأ عن الخروج مِن المفاسد أخف جدًّا مما يغلب على الظن أنّه يندفع به جاز الخروج وإلَّا فلا. وهذا النظر قد يختلف فيه المجتهدان، وَأَوْلاهُما

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٥.
(٢) الملل والنحل ١/ ٢٢.
(٣) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٩.

بالصواب مَن اعتبر بالتاريخ، وكان كثير المخالطة للناس، والمباشَرة للحروب، والمعرفة بأحوال الثغور"[1].

ومِن هنا يُقَرِّر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة استقرائية كبرى في مآلات الخروج على ولي الأمر، وما يعقبه من الفساد والشر، فيقول: "لعله لا يكاد يُعرَف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها مِن الفساد ما هو أعظم مِن الفساد الذي أزالته"[2]. وقال أيضًا: "قَلَّ مَن خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولَّد على فعله مِن الشر أعظم مما تولَّد من الخير"[3].

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ١/ ٢٨٨.
(٢) منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٩١.
(٣) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٢٧.

المطلب الثالث

الآثار السيئة للخروج على ولي الأمر على المجتمع السعودي

الفرع الأول: فساد الحياة واختلال نظام المجتمع وفشوّ الوهن في جسده:

جاء في الأثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ، وَلَا إِمَارَةَ إِلَّا بِطَاعَةٍ"[1]. والخوارج الذين يدينون بالخروج على ولاة الأمر، يخرقون هذه المعادلة المحكمة التي بها صلاح الناس وسعادتهم؛ لذا "أمر النبي ﷺ بقتال هؤلاء الخوارج؛ لأن معهم دينا فاسدًا لا يصلح به دنيا ولا آخرة"[2]. وهذا مما يبين أنَّ ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم؛ هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمِّداً أو مخطئاً، لم يحصل بفعله صلاح بل فساد؛ ولهذا أثنى النبي ﷺ على الحسن بقوله: "إنّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"[3]، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا مفارقة للجماعة[4].

وكان خروج الخوارج في كل وقت مِن أعظم أسباب وهن الدول[5]، واختلال نظامها، وإضعاف قوَّتها، واضطراب أمرها؛ وما ذاك إلا لأنَّ الدولة بدل أنْ تصرف جهودها في العمران، تصرفها في مواجهة الخارجين؛ لذا حثَّ النبيُّ ﷺ وحرَّض على إعزاز السُّلطان، والإعانة على بسط طاعته في الأرض؛ ليقوم الناس على أمور دينهم ودنياهم؛ ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: "سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فأعزوه مَنِ الْتَمَسَ ذُلَّهُ

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١/ ٣١٥) برقم: (٢٥٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في مواضع؛ برقم: (٢٧٠٤، ٣٦٢٩، ٣٧٤٦، ٧١٠٩).

(٤) منهاج السنة النبوية ٤/ ٥٣١.

(٥) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٣٥.

ثَغَرَ ثُغْرَةً فِي الإسلام وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ"[1].

ولما كان هذا الأمر مستقراً في النفوس المستقيمة، والعقول القويمة، تنادَى العقلاء على ضرورة استقرار الولايات، وأنه لا يصلح نظام الأنام إلا بذلك؛ فعن عليٍّ ﷺ أنه قال: "لَا يُصْلِحُ النَّاسَ إِلَّا أَمِيرٌ بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ " قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا الْبَرُّ فَكَيْفَ بِالْفَاجِرِ؟ قَالَ: " إِنَّ الْفَاجِرَ يُؤَمِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ السُّبُلَ، وَيُجَاهِدُ بِهِ الْعَدُوَّ، وَيَجْبِي بِهِ الْفَيْءَ، وَتُقَامُ بِهِ الْحُدُودُ، وَيُحَجُّ بِهِ الْبَيْتُ، وَيَعْبُدُ اللهَ فِيهِ الْمُسْلِمُ آمِنًا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ"[2].

وهكذا يظهر جليًّا أنَّ "نظام أمر الدِّين والدنيا مقصود، ولا يحصل ذلك إلا بإمام موجود.

لو لم نَقُل بوجوب الإمامة؛ لأدَّى ذلك إلى دوام الاختلاف والهرج إلى يوم القيامة.

لو لم يكن للناس إمامٌ مطاع؛ لانثلم شرفُ الإسلام وضاع.

لو لم يكن للأمة إمامٌ قاهرٌ لتعطَّلت المحاريب والمناظر، وانقطعت السبل للوارد والصادر.

لو خلا عصرٌ مِن إمام لتعطلتْ فيه الأحكام وضاعت الأيتام، ولم يُحَجّ البيتُ الحرام. لولا الأئمة والقضاة والسلاطين والولاة؛ لما نكحتِ الأيامى، ولا كفلت اليتامى.

لولا السُّلطان لكانت الناس فوضى، ولأكل بعضهم بعضا"[3].

وفى ذلك يقول بعض البلغاء: "السلطان زمام الملة، ونظام الجملة، وجلاء الغمة، ورباط البيضة، وعماد الحوزة"[4].

ومِن مظاهر إفساد الخوارج للحياة ما ذكره بعض أهل العلم مِن أنه لم تزل الأسواق قائمة في الإسلام، إلى أن كان أول ما تُرِكَ منها سوق عكاظ في زمن الخوارج سنة ١٢٩هـ الذين خرجوا إليها فنهبوها، قال الحافظ ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ): "فترُكِتَ إلى الآن"[5].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة ٢/ ٥١٣ برقم: (١٠٧٩) وصحَّح إسنادَه العلامة الألباني في ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ١٥.

(٣) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ص٩٤.

(٤) تهذيب الرياسة، ص٩٧.

(٥) التراتيب الإدارية ٢/ ١٠٦.

وفي معرض بيان أهمية الولاية، واستقرار أمرها؛ طلبًا لاستقرار أمر الجماعة، وانتظام أمرها، يناقش الإمام أبو حامد الغزالي الفكر الخارجي الذي يرى إزالة الإمام والخروج عليه، وإبطال التصرُّفات والأقضية والأحكام التي تصدر في ولايته، فيقول رحمه الله:

"فليت شعري من لا يساعد على هذا ويقضي ببطلان الإمامة في عصرنا لفوات شروطها، وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدِّي لها، بل هو فاقِد للمتَّصِف بشروطها، فأي أحواله أحسن: أنْ يقول القضاة معزولون، والولايات باطلة، والأنكحة غير منعقدة، وجميع تصرفات الولاة في أقطار العالم غير نافذة، وإنما الخلق كلهم مُقْدِمون على الحرام؟! أو أنْ يقول: الإمامة منعقدة، والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار، فهو بين ثلاثة أمور: إما أن يمنع الناس من الأنكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة وهو مستحيل ومؤدي إلى تعطيل المعايش كلها ويفضي إلى تشتيت الآراء ومهلك للجماهير والدهماء، أو يقول إنهم يقدمون على الأنكحة والتصرفات ولكنهم مقدمون على الحرام، إلا أنه لا يحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرورة الحال، وإما أن نقول يحكم بانعقاد الإمامة مع فوات شروطها لضرورة الحال ومعلوم أن البعيد مع الأبعد قريب، وأهون الشرين خير بالإضافة، ويجب على العاقل اختياره"[1].

الفرع الثاني: انتشار الخوف وضعف الأمن:

إنَّ نعمة الأمن هي مِن أعظم النِّعَم التي يمنّ الله عزَّ وجلَّ بها على عباده، كما في قول الحقّ سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[2].

ونعمة الأمن لا يقدّرها حقّ قدْرها إلّا مَن حُرم منها، ومِن شواهد التاريخ على ذلك ما يُحكَى مِن جريان أمر الخوارج في أوقات متتابعة، حتى كان الرعيّة لا ينامون في بيوتهم آمنين، ولا يزالون يتوقّعون الفتنة والحرب، وفي زمن المكتفي - وكان من أفاضل الخلفاء، وهو الّذي بنى المسجد الجامع بالرّحبة ببغداد - ظهر القرامطة -وهم قوم من الخوارج-،

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، ص١٣٠.

(٢) قريش: ٣، ٤.

فخرجوا وقطعوا الدّرب على الحاجّ واستأصلوا شأفتهم، وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة، وسرّح المكتفى إليهم جيوشًا كثيرة، فأوقع بهم، وقتل بعض زعمائهم[1]، ومِن ذلك في العصر الحديث ما جرى من الخوارج عام ١٤٠٠هـ من الاعتداء على المسجد الحرام وسفك الدماء وتعطيل الشعائر، وهو ما سنفرد خبره لأهميته في ملحق خاص في آخر هذه الورقة بمشيئة الله.

وهذه النعمة التي تشيع بفضل الله عزَّ وجلَّ بين أرجاء المجتمع السعودي، وما يتفرَّع منها مِن استقرار حالة التكاتف بين ولي الأمر والرعية؛ أمر يستدعي الحسد مِن قِبَل كثير مِن الأفراد والجماعات والمجتمعات المعادية التي لا ترى الخير لهذا الوطن؛ لذا فإنَّهم يسعون بكل وسيلة إلى زعزعة هذه الحالة وتقويضها وإحالتها مِن حالة أمن إلى حالة خوف، ومن حالة استقرار إلى حالة اضطراب؛ لذا كان أعظم أسباب تحصيل هذه النعمة وعيشها في واقع ملموس دون تنظير مغلوط أو فَهم معكوس، إنَّما هو العيش والسِّلم في ظلِّ السُّلطان، واستقرار الولاية دون إثارةٍ للاضطرابات والنزاعات التي تقضّ الأمنَ، وتنشر حالة الخوف والفزع.

وإنَّ مِن أعظم أسباب زوال هذه النعمة كما هو واقع مشاهَد في كثير من المجتمعات؛ إنَّما هو الخروج على ولاة الأمر، والخروج عن طاعة السلطان، وبسط أيدي الخروج والبغى والعدوان؛ وذلك معدود في جحد النِّعمة بعد ثبوتها، والكفر بها بعد استقرارها، والانتقال مِن الخير القائم الميسور، إلى تصوُّرات في الذِّهن لا تخضع إلى علم أو فقه، إنما هي عاطفة جيّاشة لا تضبطها سياسة أو تحكمها كياسة.

و"من الآفات الخفية العامّة: أنْ يكون العبد في نعمة أنعم الله بها عليه، واختارها له؛ فيملّها العبد، ويطلب الانتقال منها إلى ما يزعم لجهله أنه خير له منها، وربه برحمته لا يخرجه من تلك النعمة وبعذره بجهله وسوء اختياره لنفسه حتى إذا ضاق ذرعا بتلك النعمة وسخطها وتبرم بها واستحكم ملكه لها سلبه الله إياها؛ فإذا انتقل إلى ما طلبه ورأى التفاوت بين ما كان فيه وما صار إليه اشتد قلقه وندمه وطلب العودة إلى ما كان فيه؛ فإذا

(١) ينظر: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص٣٦، ٢٥١.

أراد الله بعبده خيرا ورشدا أشهده أن ما هو فيه نعمة من نعمه عليه ورضاه به وأوزعه شكره عليه؛ فإذا حدثته نفسه بالانتقال عنه استخار ربه استخارة جاهل بمصلحته عاجز عنها مفوض إلى الله طالب منه حسن اختياره له، وليس على العبد أضر من ملله لنعم الله فإنه لا يراها نعمة، ولا يشكره عليها، ولا يفرح بها بل يسخطها ويشكوها ويعدها مصيبة هذا؛ وهي من أعظم نعم الله عليه، فأكثر الناس أعداء نعم الله عليهم ولا يشعرون بفتح الله عليهم نعمه، وهم مجتهدون في دفعها وردها جهلا وظلما؛ فكم من سعت إلى أحدهم من نعمة وهو ساع في ردها بجهده، وكم وصلت إليه وهو ساع في دفعها وزوالها بظلمه وجهله قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، فليس للنعم أعدى من نفس العبد؛ فهو مع عدوه ظهير على نفسه، فعدوه يطرح النار في نعمه وهو ينفخ فيها فهو الذي مكنه من طرح النار ثم أعانه بالنفخ؛ فإذا اشتد ضرامها استغاث من الحريق وكان غايته معاتبة الأقدار.

وعاجز الرأي مضياع لفرصته *** حتى إذا فات أمر عاتب القدرا"[2].

الفرع الثالث: تفرُّق الكلمة وكثرة الفتن وانتشار الكراهية:

إنَّ تهيئة نفوس العامَّة للفكر الخارجي، أو لتجويز وتسويغ أمر الخروج على ولي الأمر، فضلًا عن مباشرة الخروج بالقتال، وبث الفرقة في الناس بغية استمالة قطاعات منهم للانضمام إلى هذا الخروج أو الانضمام إلى الفكرة نفسها؛ له آثار وتداعيات خطيرة على أي مجتمع، فضلًا عن المجتمعات التي تغلب عليها العاطفة الدينية بين أفرادها، وفي الوقت نفسه ينقصهم الوعي والتحصين العلمي خاصة مع انفتاح الوسائل الحديثة التي يقول فيها من شاء ما شاء من الأفكار الفاسدة والمعاني المنحرفة.

وهذه البيئة التي هي مرتع للقيل والقال، وانتشار الشائعات، وإثارة البلابل، وترويج الفتن، والأفكار المنحرفة؛ هي في حقيقة الأمر بيئة مُهَيَّئَة لغرس الأحقاد والتشاحن بين أفرادها، وهذا الإمام النووي رحمه الله تعالى يُعَدِّد من جملة الأسباب أو

(١) الأنفال: ٥٣.

(٢) الفوائد لابن القيم، ص١٨٠ - ١٨١.

الحِكَم مِن تحريم الخروج على وليّ الأمر، ما يترتب على ذلك "مِن الفتن.. وفساد ذات البين"[1].

إنّ انقسام المجتمع بين رافض للفكر الخارجي والجماعات والأفراد الذين يمثّلون هذا الفكر، ومؤيِّد له سواء كان هذا التأييد نتاج خفّة عقل وضعف رأي وعلم، وإثارة الجدل حول ذلك والثرثرة حوله؛ مورث للفتن، وبيئة خصبة للكراهية والتباغض والتدابر والانقسام؛ لذا ينبغي الحفاظ على استقامة العقل الجمعي للمجتمع، والسعي في توعيته، والعمل على تبيين الحقائق، وكشف الزيوف، وتجفيف منابع الإثارة غير العاقلة المعتمدة على العاطفة دون ضابط من علم أو فهم أو وعي.

ومِن الآثار غير ما تقدَّم، وقد أشرنا إلى جُمَلٍ مِن معانيها، فنكتفي في هذا الموضع بذِكر عناوينها طلبًا للاختصار، ودرءاً للتكرار:

- انتشار الجريمة؛ مِن الاعتداء على الدماء والأموال وترقيق ذلك وتزيينه في النفوس.
- انتشار الجهل، والفهوم المغلوطة، والرؤى المعكوسة.
- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين والطعن في العلماء المعتبرين.
- تقديم العاطفة على المعقول الديني والعقلي.

(١) شرح النووي على مسلم ١٢/ ٢٢٩. وينظر: الخوارج، د. ناصر العقل، ص١٢٣ – ١٢٤.

ملحــق

جاء بيان هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة، عام ١٤٠٠هـ ما يبيّن الأثر الخطير الذي يُحدثه الفِكر الخارجي في قلْب حالة الأمن إلى حالة فزع وخوف، وتعطيل للمصالح الشرعية والدنيوية، فجاء فيه:

(الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فبمناسبة انعقاد مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة عشرة في مدينة الرياض في النصف الأول من شهر صفر عام ١٤٠٠ هـ للنظر في الأعمال المدرجة في جدول أعمال هذه الدورة، رأت الهيئة أن من واجبها إصدار بيان بشأن الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة التي كفى الله المؤمنين شر عدوانها فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه؛ فإن هيئة كبار العلماء بهذه المناسبة تستنكر من هذه الفئة الظالمة فعلها الآثم وعدوانها الغادر وتعتبرها بذلك قد ارتكبت عدة جرائم أهمها ما يلي:

١- انتهاك حرم الله، وجعله ميدانًا للقتل والقتال وتحويله من حرم آمن إلى ساحة حرب تسوده الفوضى والفزع والاضطرابات والقتل والقتال متجاهلين ما في ذلك من الوعيد الشديد والإجرام البال.

٢- سفك دماء المسلمين في بلد الله الحرام مكة المكرمة وفي حرمه الآمن؛ حيث قُتِل فيه على أيديهم وبسبب فتنتهم العشرات من المسلمين معصومي الدم والمال.

٣- الإقدام على القتال في البلد الحرام وفي الشهر الحرام، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الآية[1].

٤- الخروج على إمام المسلمين وولي أمرهم، وهم مع إمامهم وتحت ولايته وسلطانه في

(١) البقرة: ٢١٧.

حال من الاستقرار والتكاتف والتآلف والتناصح واجتماع الكلمة يحسدهم عليها كثير من شعوب العالم ودولها مستهينين بجريمة الخروج على ولي أمر المسلمين وخلع ما في أعناقهم له من بيعة نافذة جاهلين أو متجاهلين ما في ذلك من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

٥- التسبب في تعطيل حرم الله مدة اعتدائهم عليه من الشعائر الدينية من صلاة وذكر وطواف وتلاوة لكتاب الله وغير ذلك من أنواع العبادات حتى إنه مضى عليه جمعتان لم تصل فيه ولم ترفع من مآذنه نداءات الصلاة جمعة وجماعة.

٦- التغرير بمجموعة من الأغرار والنساء والسذج وغيرهم، بزجهم في حظيرة هذا الطغيان الآثم وتعريضهم لكثير من المآسي وصنوف المشقة والتسبب في قتل بعضهم.

٧- الانقياد لداعي الهوى والضلال؛ حيث قام من تولى كبر هذه الفتنة بالإشارة إلى أحدهم بأنه هو المهدي المنتظر وأعلن المطالبة بمبايعته مع انتفاء ما يدل على ذلك ووجود ما يكذبه.

وبناء على ما تقدم؛ فإنّ هيئة كبار العلماء تعتبر هذه الفئة فئة ضالة؛ لاعتدائها على حرم الله، وعلى مسجده الحرام، وسفكها الدم الحرام، وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين، وشق عصاهم.

والهيئة إذ ترى في هذه الفئة الظالمة هذا الرأي ترى أن في منشوراتها من الشبه الآثمة والتأويلات الباطلة والاتجاهات الضالة ما يعتبر بذور شر وفتنة وضلال، وطريق إلى الفوضى والاضطرابات والتلاعب بمصالح البلاد والعباد بدعاوى قد يغتر بعض السذج بظاهرها، وفي بواطنها الشر المستطير. وإذْ تبين الهيئة ذلك وتستنكره؛ فإنها تحذِّر المسلمين جميعًا مما في تلك المنشورات مِن الشُّبَه الآثمة، والتأويلات الباطلة، والاتجاهات السيئة، كما أن الهيئة بهذه المناسبة وبمناسبة القضاء على فتنتهم من حكومة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله ووفقه وأعانه على كل خير، تشكر الله سبحانه وتعالى أن يسر أسباب القضاء عليها، وتسأله تعالى أن يحمي هذه البلاد وبلاد المسلمين عامة من كل سوء وأن يجمع شملها على الحق ويعين ولاتها ويعزهم بالإسلام ويعز الإسلام بهم ويجعل لهم من

البطانة الصالحة من إذا هموا بالخير أعانوهم عليه، وإذا جهلوه أرشدوهم إليه، وإذا نسوه ذكّروهم إيّاه، وأنْ يحقّ الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون؛ مِن ظالم وحاقد وماكر وحاسد، وتقدّر الهيئة الجهود العظيمة التي بذلتها الحكومة في القضاء على هذه الفتنة بطريقة اتسمت بالقوة والحكمة والبصيرة، وتشكر كل من ساهم في القضاء عليها بيده أو لسانه أو قلمه وفي مقدمة هؤلاء جلالة الملك وولي عهده وأعوانه المخلصين والقوات العسكرية بمختلف مسمياتها ورتب أفرادها، ونسأل الله سبحانه وتعالى لقتلاهم المغفرة والرحمة وجزيل الثواب ولأحيائهم الأجر العظيم والثبات على الحق والهدى والله حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.اه[1].

ولا زالت جهود المملكة العربية السعودية ملكًا وحكومةً وشعبًا بفضل الله تتكاتف في درء هذه الفئة الخارجة الضالّة التي تريد إفساد الدِّين والدُّنيا معًا.

وصل اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

(١) مجموع فتاوى ابن باز ٤/ ٩٢ – ٩٧ باختصار.

الخاتمة

أبرز النتائج:

- وجوب طاعة الإمام في المعروف بإجماع مَن يعتدّ بقوله من علماء المسلمين.
- حرمة الخروج على الحاكم، سواء كان برًّا أو فاجرًا، عادلًا أو جائرًا.
- استقرار النصوص الشرعية والفقه الإسلامي على حرمة الخروج يتماشى مع القواعد الكلية والأصول الجامعة والفقه المقاصدي الذي يراعي تحصيل خير الخيرين ودفع شر الشرَّين.
- الخوارج لهم سمات وأوصاف خاصة، فكل مَن حمل هذه الصفات كان خارجيًّا بقطع النظر عن المسمَّى الذي يتسمَّى به.
- الخوارج منهم الذين يخرجون بالسيف، ومنهم الذين يخرجون بالفكر والرأي وإثارة الفتن وهم الخوارج القعدية.
- الخوارج فرقة تقوم على الجهل وتحريف معاني النصوص، وفساد الاستدلال، وإثارة العواطف واستمالة أصحاب العقول الضعيفة.
- خطر الخوارج لا يقتصر على الدماء والأموال، وإنما يمتد ليشمل الأديان والعقول، وهذا أعظم الخطر.
- الآثار المجتمعية للفكر الخارجي عظيمة الخطر؛ ومنها إفساد حياة الناس، وتعكير صفو دينهم ودنياهم، وتقويض الأمن، وإشاعة الخوف، وإثارة الاضطرابات، واختلال نظام الجماعة، والتحريش بين الراعي والرعية.

أبرز التوصيات:

- توعية المجتمع خاصة فئات الشباب بخطورة الفكر الخارجي وأصوله التي يقوم عليها وصفاته التي يتسم بها.
- التوعية بأنّ الخروج على ولاة الأمر ليس هو المنابذة بالسيف وحسب، وإنما المنابذة بالرأي الخارجي أيضًا، وإثارة الفتن والتحريض على الولاة والتحريش

بينهم وبين رعيتهم.

- إنشاء مراكز متخصصة لدراسة الأفكار الخارجية والأكسية التي تكتسي بها عبر المسميات والألقاب المحدثة والمنابر التي تبثّ مِن خلالها سمومها.
- إنشاء قنوات ووسائل تقنية حديثة في تفنيد الفكر الخارجي، والتأصيل للمنهج الوسطي الصحيح.
- إبراز عاقبة الخروج لا سيما في دراسة مستقلة استكشافية تربط الماضي بالحاضر لاستظهار الدروس والعبر مِن جريمة الخروج على ولاة الأمر.

فهرس المراجع

- الأحكام السلطانية، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، القاهرة: دار الحديث.
- آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
- الاستقامة، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣هـ.
- الإشاعة وخطرها على ولاة الأمر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٩٦)، ١٤٣٣هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ.
- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد الطوسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
- أقوال أئمة أهل السنة في الحكم على الخوارج، الشَّعلان، ابتهاج بنت عبد الله، الرياض: دار الصميعي، ١٤٣١هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، عياض بن موسى، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق، محمد بن علي الأندلسي، العراق: منشورات وزارة الإعلام، ١٩٧٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد، الكويت: مطبعة الكويت، ١٩٨٧م – ٢٠٠١م.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، بدر الدين ابن جماعة، محمد بن إبراهيم الكناني الحموي الشافعي، قطر: دار الثقافة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، عودة، عبد القادر، بيروت: دار الكاتب العربي.

- التعريفات الاعتقادية، سعد بن محمد بن عليّ آل عبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، ط.٢ – ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م
- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى، بيروت – دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، القلعي، محمد بن علي بن الحسن، الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، القاهرة: دار إحياء التراث العربي،٢٠٠١م.
- تيارات الفكر الإسلامي، عمارة، د. محمد، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه / صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، بيروت: دار طوق النجاة، توزيع: دار المنهاج بجدة، ١٤٢٢هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البقر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الرياض: مكتبة المعارف.
- الخروج على الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، أبو فرحة، د. جمال الحسيني، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٤م.
- الخوارج أول الفِرَق في تاريخ الإسلام، د. العقل، ناصر عبد الكريم، الرياض: دار إشبيليا، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، محمود إسماعيل عبد الرزاق، الدار البيضاء – المغرب: دار الثقافة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
- الخوارج: نشأتهم، فِرَقُهم، صفاتهم، الرد على أبرز عقائدهم، الغصن، د. سليمان بن صالح، الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٠هـ.

- الدر المختار شرح تنوير الأبصار، الحصكفي، محمد بن علي الحنفي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة، جلي، د. أحمد محمد أحمد، المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء، الخَيْرَبَيْتي، محمود بن إسماعيل، الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- الروح، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سلطة ولي الأمر في تقييد سلطة القاضي، المرزوقي، د. محمد بن عبد الله، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ.
- سنن الدارمي: الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية، دار المغني، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المملكة العربية السعودية: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، محمد بن علي، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن الحسين، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، إسماعيل بن حماد، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الطبقات، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، بيروت: دار صادر.
- طرق انتهاء وِلاية الحكّام في الشريعة الإسلامية والنُّظم الدستورية، قرعوش، كايد يوسف محمود، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- العقيدة الطحاوية، الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير شرف الحق الصديقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- فتح الباري، ابن حجر، أحمد بن علي، القاهرة: المكتبة السلفية.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين، د. موسى شاهين، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا، بيروت: دار القلم العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- الفرق بين البغاة والخوارج وأثره، د. خالد بن مفلح بن عبد الله آل حامد، مجلة العدل، العدد ٥٣، محرم ١٤٣٣هـ، السنة (١٤).
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، علي بن أحمد، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق الوراق، بيروت: دار المعرفة، ١٩٩٧م.
- الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- القدَر، الفريابي، جعفر بن محمد، الرياض: أضواء السلف، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- القصة الكاملة لخوارج عصرنا، المحيميد، د. إبراهيم بن صالح، سوريا: مكتبة دار البرازي – المدينة المنورة: دار الإمام مسلم، ١٤٣٦هـ.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، محمد بن علي الحارثي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كتاب مجابي الدعوة / موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا، ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الرياض: دار الوطن.

- مجاني الأدب في حدائق العرب، شيخو، رزق الله بن يوسف، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩١٣م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز، ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، جمْع وإشراف: د. محمد بن سعد الشّويعر، الرياض: دار القاسم للنشر، ١٤٢٠هـ.
- مذكّرة التوحيد، عفيفي، عبد الرزاق، المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ / صحيح مسلم، القُشَيْري، مسلم بن الحجّاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ/ ٩٩٩١م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، أحمد بن محمد، بيروت: المكتبة العلمية.
- المطلع على ألفاظ المقنع البعلي، محمد بن أبي الفتح (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م). المطلع على ألفاظ المقنع. المملكة العربية السعودية: مكتبة السوادي للتوزيع.
- معجم ألفاظ العقيدة، فالح، عامر عبد الله، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، د أحمد مختار (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، القاهرة: عالم الكتب.
- المغنى، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي الحنبلي، الرياض: عالم الكتب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني، دمشق – بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.
- المفهم لِما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر، دمشق - بيروت: دار ابن كثير؛ دمشق - بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

- الملل والنحل، الشَّهرَستاني، محمد بن عبد الكريم، القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، بيروت: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٩٢هـ.
- النبوات، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المملكة العربية السعودية: أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ.

الفكر التكفيري لدى الشباب وأثره

على الأمن الاجتماعي

د. أشرف جوده محمد محمود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. وبعد:

فإن ظاهرة التكفير من الظواهر الخطيرة التي لازمت الإسلام منذ تاريخه الأول للأسف الشديد، وفى زمننا المعاصر يشهد هذا العصر موجات من تكفير البعض للبعض الآخر، وأصبحت كثيرة وخطيرة ومتنوعة فليس هناك بلد في العالم إلا وقد اكتوي بنار هذا الوباء، سواءً باشر هذه العمليات أفراد، أو جماعات وعصابات أو دول، فليس للإرهاب أو التكفير دين ولا وطن وليس له لون، ومن هذا المنطلق فإن من واجب العلماء في مجال الفكر والأمن أن يكشفوا هذه الظاهرة ويحضوا أبعادها علي الفرد والمجتمع والأمة.

ولا شك أن عملية التكفير تنطوي على اعتداء صارخ على حقوق الإنسان وتشكل جزءاً من عملية أكبر للاعتداء على حقوق الأفراد في المجتمعات، حيث لا تقل حماية حقوق الإنسان في الاعتقاد والتعبير في الأهمية عن حماية بدنه وحماية ملكيته، فالإنسان بلا اعتقاد يفقد مكوناً رئيسياً من مقومات شخصيته وحياته التي يستبيحها المكفرون بإهدار حقه في الحياة.

ولما كانت قضية تكفير المسلمين وقع فيها نفر من الشباب بجهل أو هوى أضحى لزاما علينا أن نوضح خطورة هذه الظاهرة، وأنها من ظواهر الإفراط والتشدد في الحكم على الناس بغير حق.

وتواكبا مع أهداف المؤتمر يسعي هذا البحث إلي إبراز دور العلماء في ترسيخ وسطية الإسلام و تسامحه مع الآخر وكشف وسائل التكفير، ومن أجل ذلك ينبغي أن يركز الحوار الديني اهتمامه تركيزاً محورياً علي العناصر المشتركة بين منظومات القيم الأخلاقية في الأديان السماوية، والتعاون الفعال في محاربة الفكر التكفيري والتطرف في كل مكان.

لذلك يسرنا بل يسعدنا المشاركة في مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من خطر الجماعات والأحزاب والانحراف، الذي سوف ينعقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود، وذلك في شهر شعبان ٢٠١٧، فيسرنا المشاركة في محور

خطر الجماعات والأحزاب على لحمة المجتمع ووحدة صفه، وذلك تحت عنوان: الفكر التكفيري لدى الشباب وأثره على الأمن الاجتماعي.

وقد قسمت هذا البحث على النحو التالي:

- المبحث الأول: ماهية التكفير والمصطلحات ذات الصلة به، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: مفهوم التكفير لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة بلفظ التكفير.
- المبحث الثاني: أثار ظاهرة التكفير، وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول:أثار التكفير السلبية على الفرد.
  - المطلب الثاني: أثار التكفير السلبية على المجتمع.
- المبحث الثالث: سبل وقاية الانحراف الفكري لدي الشباب، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: الاهتمام بدور العلم
  - المطلب الثاني: **الدعوة إلى توحيد الله سبحانه**
  - المطلب الثالث: العناية بالتربية الخلقية
  - المطلب الرابع: عدم تلقى العلم عن أهل البدع
- الخاتمة: تتضمن أهم النتائج المستخلصة من البحث، وأهم المقترحات، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

ماهية التكفير والمصطلحات ذات الصلة به

لا شك أن العالم المعاصر يعاني من مشكلات كثيرة فبالرغم من التقدم المادي الهائل الذي نعيش فيه والخيرات العظيمة التي وفرها العلم لحياة الإنسان ورفاهيته، إلا أننا نعيش في ظل مشكلات رهيبة يتولد بعضها عن بعض، ويؤثر بعضها في وجود بعض، ومن هذه المشكلات القلق النفسي والاضطراب، وانتشار الجريمة، وانعدام الأخلاق والفردية والأنانية، والظلم بكل معانيه وصوره، والانحلال والفساد، ولا يكاد يخلو بلد من بلدان العالم من هذه المشكلات، ولم يستطع تقدم الإنسان المادي أن يقضي أن يخفف من هذه المشكلات بل على العكس من ذلك كلما ارتقت حياة الإنسان المادية كلما ظهرت وانتشرت هذه المشكلات.

وبالرغم من كثرة هذه المشكلات وتعددها، فإن أعظم هذه المشكلات وأكبرها أثراً في ظهور الفساد والاضطراب والقلق هي مشكلة التكفير، فهذه المشكلة في الحقيقة هي أم المشكلات وسببها جميعاً.

وعليه نتناول مفهوم التكفير من خلال مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: مفهوم التكفير لغة واصطلاحاً:

سيراً على نهج فقهاء الشريعة الإسلامية سوف أتناول في هذا المطلب المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التكفير وذلك على النحو التالي في فرعين:

الفرع الأول: تعريف التكفير عند علماء اللغة:

الكفر في اللغة:

يطلق على الستر والتغطية، قال صاحب لسان العرب: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معني واحد، وهو الستر والتغطية، تقول العرب للزارع: كافراً؛ لأنه يكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثار إذا أمر عليها مالقه[1]. ومنه قول تعالى: ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

(١) انظر: لسان العرب ١٣/ ٨٥ – ٨٦؛ مختار الصحاح: ٥٧٤.

نَبَاتُهُ﴾[1]، ومنه قيل لليل كافر؛ وذلك لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه[2].

إذا مصطلح التكفير في اللغة يدور حول الستر والتغطية.

الفرع الثاني: تعريف التكفير اصطلاحاً:

اختلفت ألفاظ أهل العلم في تعريفه، فقال صاحب تهذيب اللغة: التكفير نقيض الإيمان[3]. وقال صاحب مفردات ألفاظ القرآن: الكفر هو أن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتهما[4]. وقال صاحب الإرشاد إلى معرفة الأحكام: الكفر هو جحد ما جاء به الرسول - ﷺ - أو جحد بعضه[5]، ويطلق الكفر في الشرع ويراد به تارة الكفر الأكبر وتارة الكفر الأصغر.

والتكفير منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، فالتكفير الحق ما قام الدليل على كونه كفراً وانطبقت الشروط وانتفت الموانع عمن تلبس به، وقامت الحجة الرسالية عليه، فإن هذا لا يجوز الشك في كفره[6].

وأما التكفير الباطل فهو المخالف للنصوص الشرعية، والضوابط المرعية التي نص عليها الأئمة والعلماء، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزني بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزني حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله[7]، ويقول الشيخ بكر أبو زيد في كتابه درء الفتنة، والكفر في الاصطلاح هو اعتقادات و أقوال و أفعال جاء في الشرع ما يدل أن من وقع فيها ليس من المسلمين.

---

(١) سورة الحديد: الآية (٢٠).

(٢) نفس المرجعين السابقين.

(٣) انظر: تذهيب اللغة للأزهري ٤/ ٣١٦٢.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٧١٥.

(٥) انظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام للسعدي ص: ٢٠٣.

(٦) انظر: الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير د. عبد العزيز بن جليدان هاجد الظفيري ص: ٢٣٨٣ مقدم لمؤتمر ظاهرة التكفير الأسباب والآثار والعلاج.

(٧) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة ٢/ ٤٩٢.

المطلب الثاني: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة بلفظ التكفير:

اعتاد كثير من الناس على الخلط بين مفهوم التكفير وغيره من المفاهيم المشابهة، مثل الانحراف والإرهاب، وذلك عائد – في نظرنا– لاشتراك هذه المفاهيم ومفهوم التكفير بصفة أو أكثر، الأمر الذي أوقع البعض في مطب الخلط بينها، ونرى أن اعتبارات الدقة والحصافة تستدعى منا أن نعرض لهذه المفاهيم، وسيكون تناولي لهذه المصطلحات على النحو التالي:

أولاً: الكَفر:

بالفتح: الستر والتغطية، يقال: كَفَر الزارع البذر في الأرض: إذا غطَّاه بالتُّراب. وبالضم: ضِدُّ الإيمان، وكفر نعمة الله وبها كُفُورًا وكفرانًا: جحدها، وسترها، وكافره حقه: جحده، والمكفَّرُ كَمُعَظَّم: المجحُودُ النِّعمةِ مع إحسانِهِ، وكافرٌ جاحدٌ لأنْعُمِ الله تعالى[1].

فالكفر: هو الستر وجحود الحق وإنكاره، والكافر: ضدّ المسلم، والمرتدُّ: هو الذي كفر بعد إسلامه؛ بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، أو شكٍّ، وحدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول – ﷺ –، أو جحد بعضه، كما أن الإيمان: اعتقاد ما جاء به الرسول – ﷺ – والتزامه، والعمل به جملة وتفصيلًا[2].

والكفر هو: أول ما ذُكِرَ من المعاصي في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[3]، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر[4].

ثانياً: الإلحاد:

إلحاد ولحود، ولحد القبر كمنع، وألحده، عمل له لحدًا، والميت دفنه وإليه مال كالتحد، وألحد مال، وعدل، ومارى، وجادل[5]، يلاحظ أن المعاجم الحديثة استعملت كلمة إلحاد، وفسرتها بأنها الكفر. وفَهمُ المفسرين لمادة (لحد) في القرآن الكريم، يمكن

---

(١) القاموس المحيط، فصل الكاف، باب الراء، والمعجم الوسيط، ص٧٩١.

(٢) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للسعدي –رحمه الله– ص١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: (٦).

(٤) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، ص٥.

(٥) القاموس المحيط، فصل اللام، باب الدال، والمعجم الوسيط، ص٨١٧.

تلخيصه في أنه الميل عن دين الله إلى درجة الكفر، وفسّروا الإلحاد في سورة الحج، بأنه أي معصية في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا قيست بغيرها في مكان آخر كانت شديدة جداً.

وحول تعريف الإلحاد قال الشيخ عبد الرحمن الدوسري - رحمه الله - الإلحاد هو الميل عن الحق، والانحراف عنه، ولذا سُمّيَ لحد القبر لحدًا، لميله عن وسطه إلى أحد جوانبه. فالمنحرف عن صراط الله، والمعاكس لحكمه بالتأويل الفاسد، وإبداء التشكيك، يُسمَّى مُلْحِدًا... وأول الناس إلحادًا المشركون الذين اشتقوا لآلهتهم من أسماء الله، كاللات، والعزى، من الإل الذي هو الإله، ثم كل من ألحد في أسمائه وصفاته وصرفها عن ظاهرها، فهو ملحد[1].

ثالثاً: الزندقة:

الزنديق بالكسر من الثنوية، أو القائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة، وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الزنديق في عُرف الفقهاء، هو المنافق الذي كان على عهد النبي - ﷺ -، وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينًا من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم. أو كان معطِّلًا جاحدًا للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة. ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمى في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأول، لأن مقصودهم هو التمييز بين الكافر، وغير الكافر، والمرتدّ وغير المرتدّ، ومن أظهر ذلك أو أسرَّه، وهذا الحكم يشترك فيه جميع أنواع الكفار، والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتهم في الكفر والرِّدَّة، فإن الله أخبر بزيادة الكفر، كما أخبر بزيادة الإيمان بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾[3].

رابعاً: الشرك:

الشرك والشركة، بكسرهما وضمّ الثاني، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة لعبد الرحمن الدوسري، ص٤٠.

(٢) القاموس المحيط، مرجع سابق، فصل الزاي، باب القاف، ص١١٥١.

(٣) سورة التوبة، الآية: (٣٧).

أحدهما الآخر، وأشرك بالله، فهو مشرك، ومشركيٌّ، والاسم: الشرك فيهما، ورغبنا في شِرْككم: مشاركتكم في النسب[1]، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره بالحب، أو العبادة، أو التعظيم، أو تبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم، فهو مشرك[2]، ومما تقدم يبدو لنا: أن الشرك في اللغة: النصيب: أي جعل لغير الله نصيبًا في عبادته سبحانه.

والشرك في الاصطلاح الشرعي: هو أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك، أو هو: مساواة غير الله فيما هو من خصائص الله تعالى: من الأسماء أو الصفات أو الربوبية أو الألوهية.

خامساً: النفاق:

النفاق:لغة: النفق سرب في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، وفي التهذيب له مخلص إلى مكان آخر، والنفقة والنافقاء، جحر الضب واليربوع، وقيل النفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أُتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج ونفق اليربوع، ونَفَق (بالفتح) وانتفق، ونفق خرج منه. ونفق اليربوع تنفيقًا، ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر، فعل النافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر[3]، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله - ﷺ -: (لتتبعُنَّ سنن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)[4].

النفاق: شرعًا: كما قال ابن كثير: النفاق، هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب. قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه[5].

---

(١) القاموس المحيط، فصل الشين، باب الكاف، والمعجم الوسيط، ص٤٨٠.

(٢) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، مرجع سابق، ص٤١.

(٣) النفاق آثاره ومفاهيمه، تأليف الشيخ عبد الرحمن الدوسري، ص١٠٥-١٠٦.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، برقم ٢٦٦٩.

(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٨ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية:٨]، وانظر: تفسير ابن جرير الطبري، ١/ ٢٦٨-٢٧٢.

سادساً: البِدعَةُ:

البِدعَةُ لغة: الحدث في الدين بعد الإكمال، أو ما استُحدث بعد النبي - ﷺ - من الأهواء والأعمال[1]، ويُقال: ابتدعتُ الشيء، قولًا أو فعلًا إذا ابتدأته عن غير مثال سابق[2].

والبدعة في الاصطلاح الشرعي لها عدة تعريفات عند العلماء يكمل بعضها بعضًا، ومنها:

(أ) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب[3].

وقال أيضًا: والبدعة ما خالف الكتاب والسنة، أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات: كأقوال الخوارج، والروافض، والقدرية، والجهمية، وكالذين يتعبَّدون بالرّقص والغناء في المساجد، والذين يتعبّدون بحلق اللحى، وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبّد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم[4].

(ب) وقال الشاطبي رحمه الله تعالى: البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعيّة، يُقصدُ بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله سبحانه.

وهذا على رأي من لا يُدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصُّها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال الاعتياديَّة في معنى البدعة، فيقول: البدعة: طريقة في الدين مخترعةٌ، تُضاهي الشرعيّة، يُقصد بالسلوك عليها ما يُقصد بالطريقة الشرعية[5].

ثم قرّر رحمه الله تعالى على تعريفه الثاني أن العادات من حيث هي معتادة لا بدعة

---

(١) القاموس المحيط، باب العين، فصل الدال، ص٩٠٦، ولسان العرب، ٨/ ٦، وفتاوى ابن تيمية، ٣٥/ ٤١٤.

(٢) معجم المقاييس في اللغة لابن فارس، ص١١٩.

(٣) فتاوى ابن تيمية، ٤/ ١٠٧-١٠٨.

(٤) فتاوى ابن تيمية، ١٨/ ٣٤٦، وانظر: المرجع نفسه، ٣٥/ ٤١٤.

(٥) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ١/ ٥٠-٥٦.

فيها، ومن حيث يتعبّد بها، أو تُوضع وضع التعبُّد تدخلها البدعة، فحصل بذلك أنه جمع بين التعريفين، ومثّل للأمور المعتادة التي لا بد فيها من التعبُّد: بالبيع، والشراء، والنكاح، والطلاق، والإجارات، والجنايات...؛ لأنها مقيدة بأمور وشروط وضوابط شرعية لا خيرة للمكلف فيها[1].

(ج) وقال الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى-:[2] والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدلُّ عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدلّ عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً، فكلّ من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة، أما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر ﷺ لّما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك قال: نعمت البدعة هذه[3]، ومراده ﷺ أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها أن النبي ﷺ كان يحثّ على قيام رمضان، ويُرغِّب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعاتٍ متفرقة ووحدانًا، وهو - ﷺ - صلَّى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثم امتنع من ذلك مُعلِّلًا، بأنه خشي أن يُكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أُمِنَ بعده - ﷺ -[4].. ومنها: أنه - ﷺ - أمر باتّباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين[5].

---

(١) الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ٢/ ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٩٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٢٧-١٢٨ بتصرف يسير جدًا.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، برقم ٢٠١٠.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، برقم ٢٠١٢، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، برقم ٧٦١.

(٥) جامع العلوم والحكم، ٢/ ١٢٩.

المبحث الثاني
أسباب وأثـار ظاهرة التكفــير

مما لا شك فيه أن أي موجات للانحرافات الفكرية، أو الإسراع في التكفير إنما تنعكس سلبًا على قضايا الوطن وأمنه واستقراره ومصالحه العليا من جهة، وعلى علاقاته الدولية من جهة أخرى، حيث يصبح الخوف من انتقال عدوى التشدد هاجسًا كبيرًا لدى الأوطان والدول الآمنة المستقرة، في وقت صار العالم فيه قرية واحدة ما يحدث في شماله يؤثر في جنوبه، وما يكون في شرقه تجد صداه في غربه، بل إن تأثير الجهات الأربع يتداخل ويتوازى ويتقاطع بشدة في ظل معطيات التواصل العصري عبر شبكات التواصل المتعددة التي لم يعد بوسع أحد تفادي أصدائها وتأثيراتها.

وبناء على ما سبق أتناول الآثار الناتجة عن ظاهرة الانحراف الفكري من خلال مطلبين، أعرض لهما على النحو التالي:

المطلب الأول: أسباب ظاهرة الانحراف الفكري لدى الشباب:

لا شك أن الانحراف الفكري هو الينبوع المفجر لكل المفاسد من الضلالة على مرّ التأريخ، وبالأخص في زمننا المعاصر، فمنه تنطلق الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة، والتصورات الفاسدة التي تحرك الناس نحو التدمير والتخريب.

والأدهى والأمّر أن الانحراف الفكري وصل عند حد تكفير البعض للآخر، دون النظر إلى المنهج الإسلامي في تنظيم العلاقة بين الإنسان وسائر المخلوقات.

ومن هنا لابد أن يعلم أصحاب الأفكار المنحرفة أن مسائل التكفير ليس لأحد أن يتكلم فيها إلا بحق وعدل، لا بهوى وجهل، كبقية مسائل الدين، ولو كان التكفير تبعاً للهوى، بأن يكفر العبد كل من خالفه في الرأي، أو عاداه في الفكر، لما انتظم صلاح للأمة، ولكفر كل مسلم أخاه من غير حجة ولا برهان، بل بالهوى والظن، ولعلنا لا نجد من يطلق عليه اسم الإسلام، ولا تسل بعد ذلك عن المفاسد العظيمة التي تجرها أهواء النفوس، من قتل وتدمير وتفجير، وكل ذلك باسم الدين، والدين من هذا براء.

ولهذا أسبابه نعرض لأهمها على النحو التالي:

أولاً: الابتعاد عن سبيل المؤمنين:

من المعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه، والابتعاد عن سبيل المؤمنين، هو قطع حبل النجاة يوم القيامة، مصداقا الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾[1]، فاتباع سبيل المؤمنين هو حبل النجاة الممدود في يوم القيامة للفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة، والحياة السوية في ظلال الهدي النبوي في الدنيا، لقوله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

لذلك ضل من ضل من الفئات المتعصبة والمتطرفة، لأنهم لم يسلكوا طريق المؤمنين، بل اتبعوا أهواءهم وقاموا بتفسير الكتاب والسنة النبوية على نحو بعيد عن سبيل المؤمنين.

ثانياً: قلة التعمق في علوم الشريعة الإسلامية:

لا شك أن البعد عن التعمق في علوم الشريعة الإسلامية؛ لا يمكن صاحبه بحال من الأحوال أن يتصدي للفتيا بالرغم من ضحالة علمه وفقر معرفته، فإذا فعل ضل وأضل مصداقاً لقول الرسول ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتي إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوساً جهالاً، فسألوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)[3]، وقد صدق أمير المؤمنين رضي الله عنه وأرضاه عندما حذر الأمة من شرور أدعياء العلم فقال: (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاس ق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتي أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله)[4]، وهذا هو شأن الجهلة في كل زمان ومكان إلا من رحم ربي.

---

(١) سورة النساء: الآية (١١٥).

(٢) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب كيف يقبض العلم (ص٥٠)، ومسلم في كتاب العلم (٤/ ٢٠٥٨).

(٤) ولذلك قال رسول الله ﷺ في دعائه لابن عباس رضي الله عنه: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)، رواه ابن حبان في صحيحه كتاب أخبار النبي ﷺ عن مناقب الصحابة (١٥/ ٥٣١)، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وانظر إلى المستدرك على الصحيحين (٣/ ٦١٥).

ثالثاً: مجالسة أهل الأهواء:

لا شك أن من جالس العلماء وقر، ومن جالس الجهلاء حقر، فكل إناء بما فيه ينضح، وصدق رسول الله – ﷺ – حين وجهنا بقوله: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك[1]، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثاً)[2].

وفى هذا يقول ابن عباس رضي الله عنه: (لا تجالسوا أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب)[3]، والمتعصب والمتهاون كلاهما شر ينبغي أن يتجنبه الناس، شيئاً وشباباً؛ لأن النار تستعر من مستصغر الشرر.

رابعاً: المعاناة من الفراغ بأبعاده الروحية والفكرية بلا هدف منشود:

من المعلوم أن الأوقات عند المسلم الحقيقي العارف بأحكام الشريعة الغراء تضيق ولا تتسع لكافة الواجبات والسنن والفضائل؛ لأن الوقت مادة الحياة، وقد جاء في الأثر عن الإمام الشافعي ما يحث على الانتفاع بالوقت فقال: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل)، وما أسرع ملء الفراغ بالفكر التكفيري المتطرف، وذلك في غيبة الرعاية بكافة صورها، وصدق سيدنا محمد – ﷺ – في قوله: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) متفق عليه[4]، فلا مناص من مراعاة الأبعاد المختلفة للفراغ عند الشبيب والشباب.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢١٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٧٨)، في شرح ما جاء في الحديث عن فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة.

(٣) قول ابن عباس أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٤٥٣).

(٤) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لمحيي الدين أبي زكريا النووي، طبعة دار الفكر، حديث رقم ٢٨٣ (ص ٩٥).

خامساً: انقطاع حبل التواصل الفكري بين العلماء وطلبة العلم:

لم يعد الشباب يبحث عن العلم في الكتب، أو يأخذه من أفواه العلماء، وإنما يبحث عنه عبر المؤلفات المبثوثة في بعض المواقع الإلكترونية على الشبة العنكبوتية (الإنترنت)، وهي مواقع مجهولة المصدر ولا يحرص الشاب على التثبيت من حقيقتها أو مصدرها، فلربما يتم دس السم في العسل، وغالبا يحاول التطرف استقطاب الشباب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي بهدف دفعهم إلى التطرف الفكري، الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تكفير من لا يؤمن بما يؤمنون به، وفي هذا ما فيه من ضرر بأفكارهم وإضرار بأوطانهم بحجة أن الحق يحتاج إلى قوة في مواجهة الكفار.

هذه هي أهم الأسباب المؤدية لانتشار ظاهرة التكفير في المجتمعات الإسلامية، بغض النظر عن انفتاحها أو انغلاقها، تقدمها أو تأخرها؛ لأن العبرة بدرجة الوعي والتوعية والتعليم لأحكام الإسلام بصورة شاملة، وفي المراكز والجامعات المتخصصة بلا إفراط أو تفريط، لأن الوسطية هي من الإسلام الحق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾[1]، وعند افتقاد الوسطية وضياعها بين الإفراط والتفريط يظهر التكفير والتشدد بوجهه القبيح والعكس صحيح[2].

المطلب الثاني: أثار ظاهرة الانحراف الفكري لدى الشباب:

لا شك أن الانحراف الفكري يؤثر سلباً على المبتلى به، وتتعدد تلك الأضرار التي قد

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

(٢) راجع في ذلك: أسباب الإرهاب والعنف والتطرف للدكتور صالح بن غانم السدلان (بحث متقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٥هـ) ص١٥وما بعدها، الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير للدكتورة منال بنت سليم الصاعد، ص٢٠ وما بعدها، وواقع الإرهاب في الوطن العربي، للباحث: محمد فتحي عبده، ص١٣٤ وما بعدها، وقضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة للباحث صعيد بن علي بن وهف القطحاني، ص٣٤وما بعدها، التكفير مفهومه وأخطاره وضوابطه للباحث أحمد محمد بو قرين (ص٩) وما بعدها، وظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، للباحث محمد عبد الحكيم حامد ص٢٧.

تصل إلى حد الهلاك، ولذا نعرض لأهمها على النحو التالي من خلال فرعين متتاليين:

الفرع الأول: أثار التكفير السلبية على الفرد:

أولاً: ايقاع النفس في الهاوية:

لا ينكر أحد أن التكفير يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[1]، وأن الضلال في اتباع الأهواء، قال تعالى: ﴿ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[2]، وقال عز من قائل: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[3]، وقد أخبر النبي - ﷺ - عن ظهور أهل الأهواء فقال: (إنه سيخرج من أمتي قوم تتجاري بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، فلا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله)[4].

وفى هذا يقول ابن الأثير رحمه الله: " أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة، ويتداعون فيها تشبيهاً بجري الفرس، والكلب بالتحريك: داء معروف يعرض للكلب، فمن عضه قتله "[5]، وهذا يدل على أن كل خارج عما هو عليه - ﷺ - وأصحابه إنما خرج بأتباع الهوي عن الشرع[6].

وقد اشتد النكير على أهل الأهواء والضلال؛ لأن من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، وقد استولي على قلبه هذا الداء، والذين حملوا ألوية التكفير الباطل للمسلمين، اليوم هم من أشد الناس هوي وضلالاً، وقد سبقهم إلى ذلك الخوارج، فالخوارج كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن أهل السنة والجماعة[7].

وفى هذا يقول ابن الجوزي رحمه الله عن ذي الخويصرة: " فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص: ٨٤٩.
(٢) سورة البقرة: ١٤٥.
(٣) سورة المؤمنين الآية: ٧١.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٠٢.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٧٣٩.
(٦) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٨٥.
(٧) مجموع الفتاوي ٢٨/ ٤٨٩.

ﷺ"[1]، ومن أبرز سمات أهل الأهواء اتباع الهوي، ولذلك سموا بها، لغلبة الهوي على عقولهم واشتهاره فيهم[2]، ومن سماتهم: تكفير المخالف من غير مستند شرعي، وأما أهل السنة والجماعة فتجردوا للدليل، لم يكفروا أحداً بالهوى والظن، ولو كفرهم من كفرهم، وذلك لأن التكفير حق لله تعالى، لا مجال للعقل أو الهوي فيه.

وفى هذا السياق يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فإن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير هو إلى الله ورسوله، وليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرمه الله ورسوله، وتصديق ما أخبر الله به رسوله[3]، ومسائل التكفير ليس لأحد أن يتكلم فيها إلا بحق وعدل، لا بهوي وجهل، كبقية مسائل الدين ولذا تلزم معرفة شروط التكفير وموانعه قبل الحكم بتكفير الشخص المعين، ولو كان التكفير تبعاً للهوي، بأن يكفر العبد كل من خالفه؛ لما انتظم صلاح للأمة، ولكفّر كل مسلم أخاه من غير حجة ولا برهان، بل بالهوى والظن، ولعلك لا تجد من يطلق عليه اسم الإسلام، ولا تسل بعد ذلك عن المفاسد العظيمة التي تجرها أهواء النفوس، من قتل وتدمير وتفجير، وكل ذلك باسم الدين، وسيكون لمن أراد إفساد الدين أن يرد ما شاء إن لم يوافق ذوقه وهواه، وشواهد هذا من التاريخ كثيرة[4].

ثانياً: الشعور السلبي لدى الأشخاص:

مما يتولد عن الفكر التكفيري لدى الأفراد الشعور السلبي الذي يظهر من خلال جملة من المظاهر السيئة، لعل منها:

المعاداة والكراهية: يمثل المنهج الفكري التكفير جملة من مظاهر الدعوة للكراهية القومية والدينية، بل هي دعوة للعنصرية بين البشر، وهذا يمثل قيمة الخطورة الاجتماعية[5].

---

(١) تلبيس إبليس ص:٨٢.

(٢) جامع العلوم والحكم ص: ٣٩٠.

(٣) مجموع الفتاوي ٥/ ٥٥٤.

(٤) انظر: ميزان الاعتدال ٥/ ٣٣٣، تاريخ الإسلام ٩/ ٢٣٨.

(٥) ديباجة إعلان الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، اعتمد ونشر على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة (١٩٠٤ د.١٨) المؤرخ في ٢٠/ ١١ / ١٩٦٣.

إلحاق الضرر الفردي والمعنوي: ويتمثل الضرر الفردي في تهديد المصالح الفردية للأشخاص بصفة عامة، أما الضرر المعنوي فيتمثل في المساس بشرف الإنسان وكرامته والنيل من مكانته الاجتماعية، مع أن حماية الإنسان في شرفه مكفول بالنصوص الدستورية، ولا يثر هذا الأمر أدنى مشكلة في مجال تطبيق القواعد العامة للمسؤولية الجنائية حين يتعدى أثر الفكر التكفيري إلى حد المساس بسمعة الناس وبشرفهم واعتبارهم[1].

الفرع الثاني: أثار التكفير السلبية على المجتمع:

لا شك في أن الانحراف الفكري يجعل صاحبة ينظر إلى المجتمع نظرة غير ممنهجة وفق التشريع الإسلامي، وما أمر الله به في التعامل مع الناس، ويظهر ذلك من عدة نواحي، أعرض لأهمها على النحو التالي:

أولاً: إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به:

من مظاهر التكفير التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير وإلزام الآخرين به حيث لم يلزمهم الله به، فلا ينبغي لمسلم أن يرفض التيسير في وقت الحرج وأن يرفض الرخصة التي رخصها الله ويلزم جانب التشدد.

والله تعالى يقول: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[2] وعائشة رضى الله عنها تقول: ما خير رسول الله - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما[3] وإن من مظاهر التكفير التشدد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات وكأنها محرمات، فلا تلزم الناس إلا بما ألزمهم الله تعالى به جزما وما زاد على ذلك فهم مخيرون فيه إن شاءوا فعلوا وإن شاءوا تركوا، وندلف في هذا السياق إلى حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيح في قصة ذلك الأعرابي الذي سأل النبي - ﷺ - عما عليه

(١) انظر: د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات، النظرية العامة للجريمة، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، ١٩٨٩، صـ٢٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٥).

(٣) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤٧٤هـ، حديث رقم (٢٣٢٧).

من فرائض فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة ورمضان، فقال هل على غيرها ؟ فقال: لا. إلا إن تطوع، فلما أدبر الرجل قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال النبي ﷺ: أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق[1].

ثانياً: التشدد في غير موضعه:

ولما كان التشدد أحد أهم مظاهر التكفير، فإنه يكون أعظم إذا كان في غير زمانه ومكانه، كأن يكون مع قوم حديثي العهد بالإسلام أو حديثي عهد بتوبة، أو في غير دار الإسلام وبلاده الأصلية، فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية والأمور الخلافية، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات وتصحيح عقائدهم أولاً، كما جاء في حديث رسول الله - ﷺ - لمعاذ بن جبل لما أرسله إلى اليمن: انك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه، شهادة أن لا إله إلا الله [2].

ثالثاً: معاملة الناس بالغلظة والخشونة:

إن من آثار التكفير والتشدد في الدين الغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب والفظاظة في الدعوة خلافا لأمر الله ورسوله فقد قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [3]، وقال الرسول - ﷺ - إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله [4]، وفي تحليل لموقف الشباب من الناس في هذا الشأن للأسف الشديد نجد بعض شباب الحركات الإسلامية يتحاورون ويتعاملون بالغلظة مع الناس، لا يفرقون في ذلك بين كبير وصغير، ولا بين من له حرمه خاصة كالأب والأم ومن ليس كذلك ولا بين من له حق التوقير والتكريم كالعالم والفقيه والمعلم والمربي ومن ليس كذلك، ولا يفرقون بين من هو معذور ومن ليس كذلك، ومن هو جاهل ومن

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٣٤٧)، مسلم برقم (١٩).
(٣) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).
(٤) صحيح مسلم برقم (٢٥٩٣).

يعادي الإسلام عن عمد وعلم وبصيرة[1].

رابعاً: سوء الظن بالناس:

ومن آثار التكفير ولوازمه سوء الظن بالآخرين، فالأصل عند المتشدد هو الاتهام، والأصل في الاتهام الإدانة خلافا لما تقرره الشرائع والقوانين: أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته، إن المتشددين يرجحون احتمال الشر على احتمال الخير، ويعتبرون من يخالفهم متهم في دينه أو يرمونه بالابتداع،أن ولع من يكفرون المسلمين بالهدم لا بالبناء ولع قديم وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم أمر معروف، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[2] بل أن رسول الله - ﷺ - يقول: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث[3].

فيجب على المسلم العدل والإنصاف وأن يزن الناس بميزان الشرع والوسطية ولا ينبغي له أن يحقر أخاه المسلم، فقد قال الرسول - ﷺ -: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم[4].

خامساً: النظرة المؤثمة للمجتمع:

إن من آثار التكفير أن ينظر المرء إلى المجتمع وأفراده نظرة غير مثالية، مع أنه ينبغي أن ينظر الفرد إلى غيره بنظرة الحب والمودة والطاعة، وتلك هي النظرة المثالية، حيث كانت المعاصي والذنوب في كل الأمم وفي اتباع الرسل فهي فيمن دونهم من باب أولى، وان كل ابن آدم خطاء كما قال رسول الله - ﷺ - ولو لم يذنب البشر لخلق الله بشرا يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم[5].

---

(١) الشبكة العنكبوتية، مقال للأستاذين، ناجح إبراهيم وعلى محمد بعنوان: تحريم الدين للغلو والتكفير: (www.murajaat.com/Books/hormet_alglo_fi_aldain.doc).

(٢) سورة النجم، الآية (٣٢).

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٧٢٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، مؤسسة الرسالة، ط بدون، ١٤٠٦هـ، ٧/ ١٤٤، وقال الهيثمي، فيه حيي بن عبدالله المعارفي، وثقة بن معين، وبقية رجاله رجال الثقات..

وقال تعالى: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾[1]، والأحاديث التي دلت على وقوع بعض المعاصي والذنوب في عهد الصحابة رضى الله عنهم كثيرة وذلك لبيان إن خير القرون هو قرن الرسول - ﷺ - لم يكن خاليا من المعاصي سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر، وقد حصل في عهدهم من قتل وسرق وزنى وشرب الخمر، وكلها ذنوبٌ لا تُخرج من دائرة الإسلام[2].

فديننا الحنيف ينهى عن التكفير والتشدد وذلك لقوله - ﷺ -: " إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين[3]"، ولقول النبي - ﷺ -:" إنَّ الدين يسر ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوةِ والروحةِ وشيءٍ من الدُّلْجة[4]".

فكل ما سبق من الآثار التي ذُكرت وأقوال العلماء ترشدنا إلى أنَّ التكفير خروج عن المنهج المستقيم وتعدى على الحق، ولو تتبعنا الأدلة التي تنهى عن التكفير لما أمكننا حصرها إلا بكلفة ومشقة، وليس هدف البحث حصرها وإنَّما بيان بعضها علها تكون سبباً في الرجوع إلى النهج القويم إن شاء الله تعالى.

سادساً: استباحة الأعراض والأنفس:

من المعروف أن الإنسان إذا نطق بالشهادتين فقد عصم دمه وماله وعرضه، لقوله - ﷺ -: فإذا قالوها فقد عصموا منى دمائهم وأموالهم)[5]، ولقوله ﷺ: كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)[6].

---

(١) سورة النساء، الآية (٢٨).

(٢) الشبكة العنكبوتية، مقال للأستاذين، ناجح إبراهيم وعلى محمد بعنوان: تحريم الدين للغلو والتكفير: (www.murajaat.com/Books/hormet_alglo_fi_aldain.doc).

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمل، ج٢، ص ١٠٠٨، حديث رقم (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة برقم (٢٤٥٥) ط المكتب الإسلامي بيروت.

(٤) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ج١، دار البيان الحديثة، القاهرة، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ص ٢٠، حديث رقم (٣٩).

(٥) انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٥٠).

(٦) انظر: صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٧).

وعليه فقتل المسلم حال عصمته المذكورة يجب على قاتله القصاص (في الجناية العمدية)، أو الدية (في الجناية الغير عمديه)، وإتلاف مال يستوجب الضمان لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[1].

وثبتت العصمة بمعناها الشرعي أيضا لغير المسلمين، إما بعهد: (ومن ولى الأمر ومن أهل الحل والعقد، أو بعقد الذمة، أو مجرد الأمان ولو من آحاد المسلمين) ويمثلها تأشيرة الدخول من السفارات والمواني والأصل في هذا اثر (إلا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فانا حجيجه يوم القيامة)[2].

ويجب على الحاكم ومؤسساته التنفيذية حماية أهل العهد، وتأمين دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وحمايتهم من كل من أراد بهم سوءا، سواء من المسلمين أو من غيرهم، فلا يظلمون في عهدهم ولا يؤذون[3]، وكذلك المستأمنين.

(١) سورة النساء، الآية (٢٩).
(٢) انظر: سنن أبى داود (٣/ ٤٣٧).
(٣) انظر: حاشية ابن عابدين (٣/ ٢٢٢).

المبحث الثالث
سبل وقاية الانحراف الفكري لدي الشباب

بعد أن عرفنا ظاهرة التكفير، وبينا آثارها المدمرة في نفس الإنسان، ومجتمعه أيضاً، نأتي الآن إلى كيفية علاج هذه الظاهرة وهنا نقول أن الإسلام دين جاء لخير الإنسان على هذه الأرض وإسعاده فيها، وتهيئته لسكنى الجنة دار السعادة الأبدية قد كفل العلاج الناجح المستأصل لهذه الظاهرة الخطيرة، أعرض لأهمها على النحو التالي من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاهتمام بدور العلم:

أولاً: المساجد:

يُعد المسجد المؤسسة الأولى والأساسية للتعليم في الإسلام ويبدوا هذا واضحاً من خلال سيرة النبي - ﷺ - المباركة حيث احتضن مسجده الشريف ثلة من كبار الصحابة ممن حفظوا للأمة دينها ثم تتابعت الأجيال بعد ذلك مروراً بالتابعين وأتباع التابعين إلى عصرنا هذا، وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دور المسجد فقال: " وكانت مواضع الائمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي - ﷺ - أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة والذكر والقراءة وتعلم العلم والخطب وعقد الألوية والرايات وتأمير الافراد".

ولما كان المسجد بهذه الأهمية فينبغي على المسئولين الاهتمام به وأن يتولى مسئوليته أهلُ الكفاءة والمقدرة والدراية وبالتالي يُعد المسجد صمَّام الأمام للأمة من أي انحراف يطرأ.

ثانياً: المعاهد والجامعات:

للجامعات والمعاهد الشرعية دورٌ مهمٌ في الدعوة إلى الله وتحصين الشباب من الانحراف حيث تقوم بوظيفة أساسية في تأهيل الدعاة إلى الله وقد قامت في العالم الإسلامي جامعات كثيرة نشرت نورها على الأرض وحملت رسالة الإسلام إلى الناس

وقد نشطت الدعوة بفضل الله أولاً ثمَّ بجهود هذه الجامعات ثانياً، لذا فإن للجامعات والمعاهد الشرعية وظائف كبرى في تزويد الطلاب بالعلم والمعرفة وتستطيع أن تبني مجتمعاً سليماً معافاً لو أدت دورها على الوجه الأكمل واختير لها أكفأ القيادات وأخلصها.

ثالثاً: القدوة الحسنة وأهميتها في مواجهة الانحراف الفكري:

القُدوة والقِدوة في اللغة: الأسوة، يقال: فلان قدوة يُقتدى به. والقِدَةُ: المثال الذي يتشبه به غيره، فيعمل مثل ما يعم.

وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث الشريف: من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده،من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً"[1].

المطلب الثاني: الدعوة إلى توحيد الله سبحانه:

جعل الإسلام دعوته تبدأ من توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار أنه إله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الأول بل والأخير للرسالات السماوية جميعاً هو إقرار هذه القضية العظيمة، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[2].

وبهذا جعل الدين الإسلامي هدف الإنسان على الأرض أن يعرف ربه سبحانه وتعالى ويوحده، ويعبده وحده لا شريك له.

وقد أبان الله هذه القضية وأظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكاً ولا ريباً لأحد، فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم العظيم، ويدلهم على ربهم القدير سبحانه الذي أحسن كل شيء

(١) صحيح مسلم برقم (١٠١٧)، صحيح سنن النسائي للألباني، ط١، ١٤٠٩هـ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، حديث رقم (٢٥٥٣.

(٢) سورة البينة، الآية (٤).

خلقه وأمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وتعهد سبحانه أن يرى العباد من آياته في الآفاق ما يحملهم حملاً على هذه القضية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [1].

وهكذا أصبح الإسلام منهجاً وطريقاً للتوحيد والصلة الدائمة بالله سبحانه وتعالى والبعد الدائم عن الإلحاد بل عن كل ما يقطع صلة العبد بربه سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: العناية بالتربية الخلقية:

جعل الإسلام الهدف الدنيوي الأرضي لرسالته هو إقامة العدل في الأرض وإسعاد الإنسان عليها، ولذلك وجه الإسلام وجوه الداخلين فيه إلى العمل لخير الناس ولذلك أوجب على المسلمين جميعاً الدعوة إليه كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي لتكونوا جميعاً أمة داعية إلى الخير، وفي سبيل دعوة الناس إلى الخير والهداية أمر الله المؤمنين بالصبر في ذلك وتحمل الأذى حتى لا ينفر الناس من هذا الدين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى سبيلاً ومنهجاً، وهكذا امتلأت قلوب المسلمين بمحبة الخير للناس ورغبة هدايتهم وإنقاذهم ظلمات الشرك والكفر والإلحاد إلى نور الهداية والإسلام.

وأمر الإسلام أتباعه أيضاً بالعدل والإحسان مع كل الناس حتى مع المشركين والكافرين، والصبر على أذاهم إن كان في هذا خيراً ومصلحة، ورد إساءتهم والانتصار منهم عن العدوان وأمر سبحانه بالعدل مع الكافرين حتى مع ظلمهم وكراهيتنا لهم كما قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [2] وهكذا فالإسلام رسالة هداية ورحمة للناس جميعاً.

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥٣).

(٢) سورة المائدة ؟، الآية (٨).

وبهذه الروح الطيبة التي يخلقها الإسلام في نفوس أتباعه ويغرسها فيهم ينشأ المسلم الطيب القلب العلي الهمة نقي السريرة، فإذا توجه المسلم في كل ذلك نحو ربه مراقباً لله عاملاً لمرضاته، مربداً وجهه كان أبعد الناس عن الإلحاد والكفر والزندقة، أقرب الناس إلى ربه وخالقه ومولاه لأن أعماله وأقواله جميعاً ستكون عبادة خالصة، وسيكون قلبه دائماً وأبداً متصلاً بربه ذاكراً له شاكراً لأنعمه.

المطلب الرابع: عدم تلقى العلم عن أهل البدع:

وقد حذر النبي - ﷺ - من الأخذ عن أهل البدع، وسماهم الأصاغر، فقال: إن من أشراط الساعة ثلاثة، إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر[1].

وقد جاء هذا عن بعض السابقين فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا"[2]. وقد فسر بعض أهل العلم الأصاغر بأهل البدع، قال ابن المبارك وقد سئل: من الأصاغر ؟ " أهل البدع "[3]وذلك لما في الأخذ عنهم من الفساد والشر، وجاء في الحث على أهل العلم والأخذ عنهم قول النبي ﷺ: (البركة مع أكابركم)[4]، والمراد من ذلك كما قال المناوي رحمه الله " المجربين للأمور المحافظين على تكثير الأجور، فجالسوهم لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم، فمن الواجب على السالكين في العلم أن يأخذوا عمن هو أهل للأخذ عنه من الأمناء على الدين، وهم العلماء الربانيون، قال بهز بن حكيم: " دين الله أحف ما طلب له العدول"[5].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص: ٢٠.
(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، ٢/ ٣٧٢؛ والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبري ١/ ٢٠٩.
(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٨٥.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٣١.
(٥) ذم الكلام للهروي ٥/ ٦٣.

للقلوب"[1] وأختم هذا المبحث بذكر كلام مهم للعلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال ناصحاً: " ومن أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة، فقد قال بعض السالف: شتان بين أقوام موتي تحيي القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم، فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه، فنظره قاصر، وهمته واقفة عند التشبه بهم، ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا، حتي لو دخلوا جحر ضب لأحب أن يدخله معهم"[2].

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٤٣٨.

(٢) الرسالة التبوكية، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ صـ ٤٥.

الخاتمــة

نسأل الله – تعالى – أن يحسنها:

لا شك أن عملية التكفير تنطوي على اعتداء صارخ على حقوق الإنسان وتشكل جزءاً من عملية أكبر للاعتداء على حقوق الأفراد في المجتمعات، حيث لا تقل حماية حقوق الإنسان في الاعتقاد والتعبير في الأهمية عن حماية بدنه وحماية ملكيته.

ولسنا بصدد تكرار ما سبق وأن ذكرناه أثناء معالجتنا لموضوعات هذه الدراسة، ولكن توجد بعض الملاحظات والاستنتاجات التالية:

أولاً: النتائج:

١- إنَّ الذي يُريد أن يحكم على أحد بالكفر لا بدّ له من التريث والتأني مرّات ومرّات خوفًا من القول على الله بغير علم.

٢- العلم بأن الحق والباطل دائمًا بينهما صراع مستمر، ولكن الغلبة في النهاية للحقّ، أمّا الباطل فيذهب ويتلاشى، بينما الحق ثابت لا يتزعزع.

٣- من آثار التكفير ولوازمه سوء الظن بالآخرين، فالأصل عند المتشدد هو الاتهام، والأصل في الاتهام الإدانة، خلافا لما تقرره الشرائع والقوانين.

٤- ينتج عن التكفير والتشدد في الدين الغلظة في التعامل والخشونة في الأسلوب والفظاظة في الدعوة خلافا لأمر الله ورسوله.

٥- من مظاهر التكفير التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير وإلزام الآخرين به حيث لم يلزمهم الله به.

٦- للجامعات والمعاهد الشرعية دورٌ مهمٌ في الدعوة إلى الله وتحصين الشباب من الانحراف حيث تقوم بوظيفة أساسية في تأهيل الدعاة إلى الله.

٧ - يُعد المسجد المؤسسة الأولى والأساسية للتعليم في الإسلام، وقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دور المسجد فقال: " وكانت مواضع الائمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى

ففيه الصلاة والذكر والقراءة وتعلم العلم والخطب وعقد الألوية والرايات وتأمير الافراد".

ثانياً: ومن أجل دعم الحماية في مواجهة الانحراف الفكري سوف نورد بعض المقترحات والتوصيات التالية:

١- فتح أسواق للعمل والقضاء على البطالة.
٢- نشر التعليم والقضاء علي الأمية والتأكد على دعم الفكر المعتدل.
٣- تحسين جودة التعليم وربطه بقضايا المجتمع التنموية.
٤- توجه الشباب نحو التدريب المهني والتقني والبحث العلمي.
٥- إسهام العلماء في بيان الحق والدعوة إلى الله على بصيرة.
٦- الاهتمام بحقوق الإنسان في إطار الثوابت والقيم الأصلية.
٧- بعد الجامعات في تعزيز الأمن الفكري لدى الشباب وربط جميع قطاعات المجتمع بالأبحاث التطبيقية والمؤتمرات والندوات العلمية وإبراز جهود الدولة في حماية أبناءها من التطرف الفكري.
٨- يمكن من خلال الإعلام تعريف الجمهور بحقوقهم وواجباتهم وحقوق وواجبات رجال الأمن.
٩- للإعلام الأمني واجب في ضرورة الاهتمام بالأسرة وتأكيد دور المدرسة في توجه النشء والأحداث توجيهاً هادفاً في إطار قيم المجتمع وتراث المجتمع العربي المسلم.
١٠- أن يخضع المدرس أي كان في مراحل التعليم المختلفة وفي المؤسسات التعليمية لدورات تدريبية في تنمية الأمن الفكري وتعزيز طرق الحوار والإقناع لأنه يعتبر المصدر المغذي لعقول أجيال بأكملها.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، لعبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ.
- الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير د. عبد العزيز بن جليدان هاجد الظفيري بحث مقدم لمؤتمر ظاهرة التكفير الأسباب والآثار والعلاج.
- الإنصاف للمرداوي (على بن سليمان المرداوي) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- التكفير حكمه وضوابطه والغلو فيه – أحمد محمد بوقرين (بدون طبعة) الناشر: مكتبة الرياض .
- التكفير ومدي خطورته على الفرد والمجتمع – عبد السلام حمود غالب – بحث غير منشور .
- جامع بيان العلم وفضله، تأليف أبي عمر يوسف النمري القرطبي، دراسة وتحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمري، مؤسسة الريان دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ.
- د. محمود نجيب حسنى، شرح قانون العقوبات، النظرية العامة للجريمة، الطبعة السادسة، دار النهضة العربية، ١٩٨٩ .
- ذم الكلام وأهله، تأليف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة ط١، ١٤١٨هـ.
- الرسالة التبوكية، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الزهد تأليف عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح (محمد بن عيسي بن سورة الترمذي) بتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- صحيح البخاري، فإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ج١، دار البيان الحديثة، القاهرة.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٤٧٤هـ
- الغلو في الدين في العصر الحديث – محمد عبد الحكيم حامد – الطبعة الأولى – ١٤١١هـ/ ١٩٩١م – الناشر: دار المنار الحديثة.
- لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الصادر، بيروت.
- مجموع الفتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وولده محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ١٤١٥هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المشرف العام عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الكبير، تأليف أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية الرياض ط ٣، ١٤١٨هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الهذبي، تحقيق على محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والآثر، تأليف أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطنحاوي، المكتبة العالمية بيروت.
- واقع الإرهاب في الوطن العربي – محمد فتحي عيد – أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية – الرياض.

مواقع الانترنت:

- الشبكة العنكبوتية، مقال للأستاذين، ناجح إبراهيم وعلى محمد بعنوان: تحريم الدين للغلو والتكفير: www.murajaat.com/Books/hormet_alglo_fi_aldain.do

توعية الشباب السعودي بأسباب الإنحراف الفكري وآثاره

(بالتركيز على دور الجامعات في التوعية)

د. أم العز يوسف المبارك حاج أحمد

أستاذ علم الاجتماع المساعد

جامعة الملك فيصل

المقدمــة:

أصبحت مشكلة الانحراف الفكري مشكلة ذات أبعاد محلية وإقليمية ودولية، حيث بات الشباب عرضة لجماعات يقودها المنحرفون فكرياً ويسعون لنشر فكرهم المنحرف، ويتخيرون في ذلك السبيل المتفوقين والموهوبين، فيحرم المجتمع من ثمرات إبداعهم بعد التأهيل، ويكون الشباب أنفسهم عرضة للموت في سبيل ما يوهمهم به القادة المنحرفون بأنه الحق وما سواه الباطل. فيحيدون بهم عن صحيح الدين والعقيدة.

فالأمر جد خطير، والشباب أصبحوا عرضة لكل من يدعو إلى طريق الانحراف الفكري، حتى غدا أصحاب الفكر المنحرف يؤثرون على فكر الشباب، ويأخذون بأيديهم إلى الخروج عن شرعه بإسم الغيرة على الدين، والتمكين لشرع الله حتى إنساق خلفهم كثير من الشباب وتحمسوا لكلامهم ووقعوا في براثن تخطيطهم وأصبحوا أداة هدم بدلاً أن يكونوا أداة بناء.

لذا كان من الواجب توعية الشباب بالأفكار المنحرفة وأسبابها وآثارها السالبة قبل وصولها إليهم منمقة مزخرفة فيتأثرون بها. وتحصين الشباب ضدها والوصول بهم إلى التحصين الذاتي. لأن الفكر المنحرف سريع العدوى ولا يتم ذلك إلا من خلال توعية الشباب وتزويدهم بسبل مواجهة الفكر الضال ومحاربته بدلاً عن الانخراط فيه.

ولوجود العدد الأكبر من الشباب في الجامعات ركز هذا البحث على دور الجامعات بالمملكة في التوعية بآثار الانحراف الفكري السالبة قبل دخوله عقول الشباب ومعالجه أولئك الذين وقعوا ضحية له.

مشكلة البحث:

الغلو والتطرف الديني قديم في البشرية متمثلا في غلو قوم نوح في صالحيهم، وغلو اليونانيين في آلهتهم وغلو أهل الكتاب. تأثير العقائد ممن قبلنا على طوائف من المسلمين في نشئ الغلو فيهم. وظهر هذا واضحا في الرافضة وفي الجهمية والمعتزلة، وفي الخوارج. أن الغلو والتطرف المذموم بحمل السلاح على المسلمين ووضع السيف فيهم ناشئ مبتدع، ظهر لدى الخوارج ثم المعتزلة (علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، ٢٠١٠م).

مما يعني أن الإنحراف الفكري قديم ومتأصل في المجتمعات الإنسانية بإختلاف ثقافاتها وأديانها كالوثنية واليهودية والنصرانية والإسلامية، وقد ظهرت الآثار السلبية لهذا الإنحراف الفكري في صور عديدة كانت أبرزها الإقتتال بين أتباع الديانة الواحدة. أتاح التطور التكنلوجي لدعاة الفكر المنحرف التواصل مع قطاعات أكبر والتأثير عليهم بصور عدة عبر الوسائل الحديثة، كما وفرت التناقضات العالمية والحرب الباردة بين المعسكرين السابقين بقيادة الولايات المتحدة الامريكية من جهة والإتحاد السوفيتي سابقاً من جهة أخرى فرصة الحصول على تمويل ودعم مكن دعاة الإنحراف الفكري الإنتشار. واستهدفوا في توسعهم تجنيد الشباب من الجامعات بشعارات جذابة لهؤلاء الشباب كالجهاد والبطولة والإستشهاد.

لذا تحددت مشكلة البحث للوقوف على الأسباب والآثار السالبة للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع، وتوعية الشباب السعودي من الجنسين بهذه الآثار بتوضيح دور كل من الأسر والمدارس ووسائل الاعلام في التوعية مع التركيز على دور الجامعات، إذ باتت هذه الأفكار المنحرفة تهدد إستقرار الأسر وأمن المجتمع ويتضح ذلك من خلال ما نشاهده من كثافة أحداث العنف والإرهاب التي إنتشرت في بعض المجتمعات.

تساؤلات البحث:

تتمثل في الآتي:

١- ماهي الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف الفكري؟

٢- ماهي الآثار السالبة للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن الفكري والعقائدي؟

٣- ما هو دور الجامعات في توعية الشباب السعودي بآثار الإنحراف الفكري؟

٤- ما دور كل من الأسرة والمدرسة وسائل الإعلام في توعية الشباب السعودي بآثار الإنحراف الفكري؟

أهداف البحث:

١- توعية الشباب السعودي بالأسباب المؤدية إلى الانحراف الفكري.

٢- توعية الشباب السعودي بآثار الإنحراف الفكري.
٣- توضيح دور الجامعات في توعية الشباب السعودي بآثار الانحراف الفكري.
٤- التعريف بالآثار السالبه للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن الفكري والعقائدي.
٥- توضيح دور كل من الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام في التوعية بآثار الانحراف الفكري.

أهمية البحث:

تتمثل في الآتي:

١- تنبع أهمية البحث من أن الانحراف الفكري أصبح يهدد كل المجتمعات، وأصبحت نتائجة الكارثية ملموسة بل وضرب شريحة هامة جداً في بناء الأمم ألا وهي الشباب خصوصاً في طور الدراسة الجامعية والتي يأتي بعدها طور خدمة المجتمع عبر أداء الوظائف الضرورية لسيرورة الحياة وإنتاج أجيال جديدة تحمل الهم الوطني، لذا تكون أهمية التوعية لمحاربة معوقات بناء المجتمع وتقدم المملكة وريادتها.
٢- من خلال ما يضعه البحث من توصيات تكون مساهمة في العمل الجاد مع الجهات المختصة لحل هذه المشكلة.
٣- إثراء التراث النظري في هذا المجال ليساعد الباحثين والمختصين والمهتمين.

وسائل جمع البيانات:

جمعت بيانات البحث من المصادر والمراجع والمجلات والدوريات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع البحث، كما جمعت معلومات من الشبكة العنكبوتية.

تعريف مصطلحات البحث:

أ- التعريف المجرد للمصطلحات:

١- الوعي الاجتماعي: الوعي المجتمعي (الوعي الاجتماعي): والذي يعني بصورة مختصرة مشاركة الوعي المشترك في المجتمع ويمكن تعريفه ايضاً بأنه الوعي بالمشكلات المختلفة التي تواجهها المجتمعات والتجمعات بصفة يومية ايضاً هو

محصلة تفاعل الاشخاص في إطار واقع اجتماعي معين وانصهار مدركاتهم وتصوراتهم وأحاسيسهم الذاتية أو الموضوعية، في صيغة حقائق معرفية وقناعات إيمانية وتصورات ومسلمات وميول ومشاعر واتجاهات وأنماط سلوك جماعية تعكس معطيات ذلك الواقع الاجتماعي الكائن بما يشتمل عليه من أبعاد ومتغيرات نسقية: بشرية سكانية، وبيئية واقتصادية ومهنية ومعيشية وحضارية وتاريخية وثقافية، وتنظيمية: وإلى غير ذلك من الابعاد والمتغيرات الاخرى وهو يكتسب ويتغير في إطار علاقته التأثيرية التبادلية بهذا الواقع (شائم الهمزاني،١٩٩٨م).

٢- الإنحراف الفكري: فالإنحراف لغة يعني الميل عن الوسط والإعتدال، وبهذا فإن كل ميل عما هو مألوف يعد إنحرافاً. فترى الإنحراف في القانون: هو الخروج على القانون وعدم الإلتزام بالقوانين. والإنحراف في علم الإجتماع هو سلوك الفرد المخالف للمجتمع الذي يعيش فيه. والإنحراف في الطب موجود ايضاً مثل الحول عيب بصري نتيجة إنحراف أحد العينين (طالب الخير، ٢٠١٧م).

أما الإنحراف الفكري فلم يضع له تعريف ومصطلحات محددة حتى الآن وذلك لأسباب عديدة منها أن الانحراف الفكري أصبحت له مرادفات كثيرة منها التطرف والتشدد والتجمد والإرهاب. وايضاً له جوانب كثيرة فهناك إنحراف فكري ديني وإنحراف فكري سياسي وإنحراف فكري إعلامي... ولكن مع كثرة الاختلافات وعدم التحديد لكن مظاهره وآثاره واضحة.. من دراسة المظاهر والآثار يمكن القول أن الإنحراف الفكري هو الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والاعراف والنظم الاجتماعية السائدة والملزمة لأفراد المجتمع (طالب الخير، ٢٠١٧م).

التعريف الإجرائي:

١- الوعي المجتمعي (الوعي الاجتماعي): توعية الشباب بخطورة الإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع وتحصين عقولهم من الإختراق الفكري المنحرف.

٢- الانحراف الفكري: الاستجابة للأفكار المخالفة للدين والعادات والتقاليد والقانون إستجابة تؤدي لخلل فكري وتخريب المجتمع مادياً وبشرياً وفكرياً وممارسة العنف والارهاب والجريمة بإسم الدين والفكر والإصلاح، والخروج عن

عادات المجتمع وتقاليده والدين والقانون وطاعة أولي الأمر.

٣- آثار الإنحراف الفكري: إستخدمت في هذا البحث بمعنى الآثار السالبة المترتبة على الإنحراف الفكري أي أضراره.

أسباب الإنحراف الفكري:

عانت كثير من المجتمعات من الإنحراف الفكري مما يجعلنا ننظر في العوامل المسببة له لأن مناقشتها تعد بداية الطريق للتنبيه والتوعيه بما يحمله من مخاطر وما يمكن أن يؤدي إليه تفاقم وتراكم هذه الاسباب.

١- الجهل بدين الله والإنحراف عن فهم الكتاب والسنة. وإتباع الشبهات مما يؤدي إلى خفاء الحق وعدم ظهوره.

٢- الغلو والتطرف: والتطرف أو الغلو هو مجاوزة الحد في كل شيء، فإذا كانت في السعر فهي غلاء، وإذا كانت في المكانة فهي غلو، وإذا كانت في الفكر فهي إنحراف. فالغلو والتطرف يدفع إلى عدم الاعتراف بالرأي الآخر وبحقه في الخلاف إضافة إلى مصادرة إجتهاداته في المسائل، أو القضايا الخلافية والمحتملة. فترى الكثيرين يتهمونك بالإبتداع، أو الاستهتار بالدين ويمكن أن يصل إلى حد التكفير والخروج عن الدين. فترى طرف يؤدي إلى إنحراف فكري ويدفع هذا الغلو في التفكير إلى مسالك متعددة منها: سؤ الظن بالآخرين والحكم السلبي المسبق والحاد على ما يحملون من أفكار أو أراء، وتجاوز الحدود في الانكار على المختلف معه، ومجانبة التدرج المنطقي في الأمور، والوقوف على ما يمكن تجاوزه، والميل إلى أصعب الحلول وأبعدها مع وجود الأسهل والأقرب، وايضاً يؤدي إلى إنحراف فكري وعقائدي فقد وجد إنحراف في فهم النصوص الشريعة عند بعض الفئات من ابناء الأمة الإسلامية الذي إشتطوا في فهم النصوص الشرعية ففسروها على غير وجهها الصحيح (طالب الخير،٢٠١٧م).

٣- سؤ التنشئة الاجتماعية: وتعتبر الأساليب الوالدية الخاطئة مهيئة للإضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية والفكرية لدى الأبناء (الباحثة).

وهذه الأساليب الخاطئة في التنشئة الاجتماعية هي إتباع أسلوب أو طريقة خاطئة أو

إتباع مجموعة من الأساليب الخاطئة في تربية الطفل وتنشئته، ولها أثرها في تشكيل شخصية الطفل وأكثر الأساليب الخاطئة شيوعاً، التسلط، الاهمال، إثارة الألم النفسي، التذبذب، الحماية الزائدة، التدليل، القسوة، التفرقة، وترتبط الأساليب الخاطئة بالإتجاهات الوالدية والتي تعني الإجراءات والأساليب التي يتبعها الوالدان في تطبيع أو تنشئة أبنائهما ـ أي تحويلهما من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات إجتماعية، وما يعتنقاه من إتجاهات توجه سلوكهما في هذا المجال (هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، بدون تاريخ).

وترى الباحثة أن الأساليب الوالدية السلبية مثل الرفض والقسوة حيث يضيق صدر الأباء والأمهات من أبنائهم، ومعاملتهم كالغرباء، ونقد الوالدين الدائم لتصرفات أبنائهم والعقاب لأتفه الأسباب تعد من أخطر العوامل المسببة للإنحراف الفكري وتحدث شروخاً وشقوقاً في العلاقة بين الأبناء والآباء وضعفاً في جوانب شخصية الأبناء يظهر إنعكاسها في الفكر والسلوك، فترى أن الإبن عندما يفقد النموذج الأبوي والبيئة الأسرية الآمنة فإنه سيبحث عن نموذج أو بيئة أخرى في الخارج مما يجعله عرضة للإنحراف الفكري.

٤- إن ممارسة سلوك التطرف، والإرهاب من قبل فئة ضالة غالبيتهم في سن المراهقة، يعود إلى عوامل عدة منها ما يرتبط بخصائص نمو مرحلة المراهقة منها ما يعود إلى عوامل الوراثة، والتكوين الجسمي بالإضافة للعوامل المكتسبة المرتبطة بأساليب التنشئة الإجتماعية، والأقران، والظروف المحيطة التي تخلق دوافع نفسية، واجتماعية متناقضة، ومنها الرغبة في البطولة الزائفة (هلال الحارثي، ٢٠١٧م).

٥- إنتشار وإتساع دائرة إستخدام الانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، عملت الجماعات المتطرفة، على التغلغل إلى أوساط المراهقين، فتجذب من تستطيع منهم، ثم تتحكم في أفكاره بشكل تدريجي، إلى أن تتمكن من السيطرة على حياته، وإستغلال إندفاعه، وخصائص مراهقته، ويبدأون في هذه المرحلة اللعب على وتر الشعور بالبطولة، والشجاعة الزائفة، مستغلين إما شعوراً بالدونية، والنقص، في حياة المراهق، أو الشعور الانفعالي الذي يتميز به والمتمثل في كراهية الحياة، واليأس

منها من ناحية، أو الغضب الحاد ضدها من ناحية أخرى، الأمر الذي يمكنهم من دفع هذا المراهق نحو إرتكاب أفعال عدوانية ضد المجتمع، متصوراً أنه ينتقم بواسطتها من الحياة (هلال الحارثي، ٢٠١٧م).

٦- العزلة عند بعض الشباب والانطواء مع عدم العلم والمعرفة وهى امور تهيىء الشباب إلى تقبل كل شبهة مطروحة (هلال الحارثي، ٢٠١٧م).

٧- قوة الجماعة المرجعية، دائما يتأثر الفرد بالأفراد الاخرين بطرق ودرجات مختلفة وهؤلاء الافراد (القبائل، العائلات أو المنظمات سواء كانت منظمات رئيسية أو اجتماعية أو سياسية) يعتبرون مرجعاً للفرد في الأفكار والقيم وهو ما يسمى بالجماعة المرجعية. تحدد الجماعات المرجعية أنواعاً من السلوك لأفرادها أو طريقة إستخدامهم لذواتهم أو أنشطتهم، كما تقدم لهم معتقدات، وأفكاراً ينبغي الايمان بها والدفاع عنها وقد تكون هذه الافكار ناقصة أو مشوهة أو عدائية نحو الأفراد والمجتمع (طالب الخير،٢٠١٧م). (هذه الفئات الضالة (الجماعات الإرهابية)، تضع الأمور في غير مواضعها، فيفسرون للشباب، ما يرتكبه هؤلاء الهالكون، على أنه من دروب الرجولة، التي لا يقدر عليها سوى الأقوياء، ممن لا يخافون الموت، المدافعين عن العقيدة، والدين، والراغبين في الشهادة بحسب ما يزرعونه في نفوس الشباب من أفكار منحرفة، لا علاقة لها بصحيح الدين، أو المنطق العقلي السليم. أن بعض هذه الجماعات تلجأ أيضا لمخاطبة غرائز المراهقين، عبر إيهامهم بأن الانضمام إليهم، واعتناق أفكارهم، هو الطريق للفوز بالحور العين في الجنة، مستغلين عدم اكتمال شخصية هؤلاء الشباب، فيستخدمون معهم أسلوب التخويف، والترهيب؛ لإقناعهم بضرورة تقديس أوامر الجماعة، وقياداتها، الذين يعملون لإنقاذ هذه البشرية، من الظلم، والكفر، والطغيان، طبقا لمزاعمهم الباطلة (هلال الحارثي، ٢٠١٧م).وتستمد الجماعة المرجعية - الجماعات الإرهابية - قوة تأثيرها من خمسة جوانب للقوة (حسب الدراسات النفسية) وهي كالآتي (طالب الخير،٢٠١٧م):

أ- قوة المعلومات: وتعني قدرة الجماعة على تقديم معلومات للفرد تقنعه بأن التغيير إلى الأفضل ولصالح المجتمع. وهذا يتم بإقناع أعضاء الجماعة بلقب

الحكم والاستيلاء عليه هو تغيير في صالح الدين أو الحزب.

ب- قوة الشرعية: تعني تقبل الافراد لشرعية الجماعة وصواب أفكارها ومعتقداتها. فيدافع عنها بحياته وهذا ما يغرسه أصحاب الفكر التكفيري في عقول التابعين لهم بأنهم على حق وإن قلوا، وأن الحكومات والأنظمة غير شرعية وأن قوانينها وضعية. لذا من الواجب مواجهتها والثورة عليها من أجل تغييرها.

ج- قوة الخبير: تعني أن الجماعة تنشر بأن قائدها لديه الكثير من المعرفة العالية والخبرة والقدرة الكبيرة مما يحيطه بهالة وقوة لدى الأفراد المغرر بهم.

د- قوة القهر: وهي قدرة الجماعة على توقيع العقاب على الشخص الذي يفشل في الانصياع لتأثيرها.

هـ- قوة الثواب: وهو أنهم يوزعون المال والألقاب وتخليد الاسم الذي يخدمهم. وكذلك تقديم الإغراءات بتنمية شعور البطولة والحماسة والتضحية ومنها أنهم يعطون الفرد التابع لهم مكانة ليست له أو إطلاق إسم البطل أو المجاهد عليه.

٩- اليأس والإحباط: الفرد في حالة اليأس والإحباط يغلب عليه التشاؤم والشعور بالمرارة ونقص الكفاءة والفعالية ومبالغة في علل العالم وأوضاعه، كما ينخفض مستوى الروح المعنوية، وينعدم الأمل في المستقبل إضافة إلى نزعة إلى الشعور بالذنب والدونية والإنتقاص من قدرة الذات. وجميعها مشاعر سلبية تجعل صاحبها فريسة سهلة للتأثر بأفكار ومعتقدات مشوهة ومتطرفة من أجل تغيير الواقع، فهو بسبب يأسه وإحباطه يتقبلها دون مناقشة أو نقد أو تمحيص (طالب الخير،٢٠١٧م).

١٠- وسائل الإعلام: تلعب وسائل الإعلام دوراً لا يستهان به في تكوين الاتجاهات والافكار والتطرف فهي تؤثر بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار عن الاشخاص والاحداث. وتنمي بعض وسائل الاعلام مشاعر الكراهية والعدوانية التي تولد بدورها أفكاراً تبرر العنف وتكفر الآخر وتحرض على الانتقام، وذلك عندما تستفز

بعض تلك الوسائل المشاعر الدينية للأمة بتجاوز الثوابت العقدية والاستهانة بالأحكام الفقهية الراسخة أو تزييف وتحريف النصوص الشريعة لغايات معينة وكذلك إستهداف الاشخاص بإتهام النوايا والتهكم والسخرية (طالب الخير،٢٠١٧م). وفيما يتعلق بدور وسائل الإعلام فإن الباحثة ترى أنها سلاح ذو حدين فهي يمكن أن تكون أداة قوية للتوعية بآثار الإنحراف الفكري وخط متقدم للدفاع عن المجتمع، وعلى جانب آخر ترى الباحثة أن وسائل الإعلام يمكن أن يستغلها بعض دعاة الإنحراف الفكري والمروجين له لإفساد عقول الشباب وجره إلى الغلو والتطرف ومن ثم إتخاذ موقف عدائي ضده.

١١- يدفع بعض الأفراد إعجابهم بأفكارهم التي لا تستند لمنطق أو براهين إلى الإيمان بها والدفاع عنها بدون حجج منطقية حتى تصبح لديهم مثل العقائد الراسخة، وهؤلاء يتسمون بالغرور والإعجاب بالنفس والتعصب للرأي.

إن المراقب لسلوك الجماعات المتطرفة التي تنشر الفكر المنحرف في عقول الشباب يلاحظ أنها تبقيهم داخل حظيرة الجماعة بعدة طرق منها (طالب الخير،٢٠١٧م):

أ- تشبيههم بالصحابة والرسل بل وخداع عقولهم بأنهم أصحاب كل الحق.

ب- التضليل الإعلامي حيث لا يسمح للأتباع إلا بسماع ما تراه الجماعة، حيث يقتصر إستماعهم على مقابلات قادة التنظيم وخطبهم وما يصدرونه من فتاوي.

ج- قطع أواصر المودة والإتصال بين الأتباع وأسرهم فينعزلون نفسياً واجتماعياً فيسهل إصطياد عقولهم بلا مؤثر إجتماعي غير الجماعة.

د- صياغة الأفكار بما يخدم مصالح قادة وشيوخ الجماعة وإقناع الاتباع بالتمسك بالأفكار والمعتقدات القديمة.

هـ- التقليل من شأن العلماء والاستغناء عن فقههم وإسقاط مكانتهم، وإعلاء مكانة شيوخ الجماعة ووصفهم بالمجددين.

١٢- يجد الإنحراف الفكري في التعصب والتحيز بيئة خصبة، فالمتعصب شخص مندفع

وراء أفكاره وشهواته وهو ظالم لنفسه و لغيره ومتحيز لشخص يواليه أو جماعة أو حزب أو فكرة حتى لو لم يكن الحق معه فهو سادر في غيه مصراً على متابعة فكره المنحرف. والتعصب يولد التقليد الأعمى للمتعصب له خصوصاً إن كان شخصاً يقود وينشر الفكر المنحرف ويوهم الشباب بقدراته القيادية الخارقة فيملك عقولهم ويستغل تعصبهم وإندفاعهم. ويقودهم نحو إصدار أحكام معممة على الآخرين دونما تروي أو تفكير أو تمحيص ودون بيانات كافية أو حجج منطقية فتأتي آراؤهم وأفكارهم منحرفة عن منهج التفكير السليم (الباحثة).

تمثل أسباب الإنحراف الفكري في رأي الباحثة تربة خصبة لإنحراف الشباب وهي الطور الأول في نمو حالة الإنحراف وتطورها حتى وصولها لمرحلة الأزمة المستفحلة، لذا فإن التوعية في هذه المرحلة تمثل دور الوقاية الضرورية جداً لمحاربة الإنحراف الفكري قبل ظهور مظاهره على الفرد، وفي الفجوة بين هاتين المرحلتين يجب أن تتركز التوعية وتدعم ببرامج على قدر كبير من الوعي والمعرفة فأي نقص في الفكر أو ثغرة في التوعية قد تسبب إنتصاراً للفكر المنحرف داخل الفرد وهزيمة للتوعية، مما يقوي جهة الإنحراف ويضعف جهود مكافحته، والمنحرف في هذه المرحلة يكون متردداً غير واثق من قناعته بالفكر الدخيل عليه، وهنا تكون إستجابته أعلى للفكر الذي يبعد عنه التردد، فإن كان الفكر السوي قريباً وصداه قوياً بقربه نجح في جذبه بعيداً عن الإنحراف الفكري، وإن حدث العكس فسيصل لمرحلة ظهور مظاهر الإنحراف، ويصبح الإتصال الفكري به صعباً لقربه أكثر من الفكر المنحرف.

فالباحثة تجد مما سيبق أن التوعية ايضاً تستمر حتى ظهور مظاهر الإنحراف والذي يتفاقم بالإهمال وينتشر في رقعة أكبر من الشباب، وهذه المرحلة تتطلب مجهوداً أكبر وتأهيلاً أعلى لتتم التوعية والارشاد ولكي يبعد الشاب عن السقوط تماماً في الإنحراف الفكري، والذي يترك آثاراً تتطلب العمل المتواصل للأخذ بيد الشباب الخارجين من هذه المراحل.

كما تلاحظ الباحثة أن من يستهدفون الشباب يركزون كثيراً على المرحلة الجامعية وترجع الباحثة ذلك لأهمية هذه المرحلة في التكوين النفسي والاجتماعي والفكري

للطالب وكما يبدأ دعاة الإنحراف الفكري في تشكيك الشباب في المجتمع من حوله وتشويش صورة القيم والعقيدة المتبعة حتى يصبح الشباب جاهزاً لتغذيته بالفكر الذي يؤدي به للإنحراف الفكري، وفي كل مرحلة يكون مهيأً لما بعدها حتى يصل لمرحلة ما يمكن تسميته بالإحلال الكامل لفكر الشباب وتحويل إتجاهه (حرفه) نحو شخصية منحرفة فكرياً بالكامل تحارب المجتمع وتسعى لتخريبه وزعزعة إستقراره.

ما سبق ذكره من أسباب أجابت على سؤال الدراسة المتمثل في: ماهي الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف الفكري؟ وبالتالي تحقق هدف الدراسة: توعية الشباب السعودي بالأسباب المؤدية إلى الانحراف الفكري.

مظاهر الإنحراف الفكري:

إن مظاهر الانحراف في الانسان قد تبدو في مراحل مبكرة وقد لا تبدو كثيراً للعيان في السلوك ولكنها تتطور بداخل الانسان حتى تطغى على الناحية السلوكية فتصبح واضحة ومباشرة.

وتعتبر الأفكار بداية للسلوك فالشخص الذي لديه إتجاهات إيجابية وصحيحة وتم تربيته على الصحيح فإن هذا الشخص سوف يسلك التريث الصحيح إذا توافرت لديه الظروف المناسبة لهذه المواقف، وبالمقابل فالشخص الذي يحمل أفكاراً سلبية عن الآخرين، وتم التغرير به ليسلك إتجاهات عدائية نحوهم، فإنه قد يسلك سلوكاً مؤذياً نحوهم (طالب الخير، ٢٠١٧م).

إن الإنحراف الفكري من وجهة نظر الباحثة يتطور داخل الإنسان وقد ينفجر في صورة ممارسة للعنف ضد الآخرين عندما تتغذى على فكر أكثر إنحرافاً ومن ثم يدخل في دائرة الارهاب التي تعد أبرز مظاهر الانحراف الفكري، وأكثرها خطراً وتهديداً للأمن الوطني بمقوماته المختلفة وهنا يدخل طور إستنزاف المجتمع والدولة. وللإنحراف الفكري أشكال ومظاهر واضحة يمكننا رؤيتها والتحقق منها، ومنها ماهو غامض لا يمكن معرفته وإكتشافه.

ومن أبرز تلك المظاهر التي يكاد يجمع عليها الباحثون عند تناولهم الانحراف الفكري ما يلي (عبد الحفيظ المالكي، ٢٠٠٥):

١- الغلو في الدين الذي يعد من ابرز مظاهر الانحراف الفكري لدى كثير من الجماعات، إذ يترتب عليه إسقاط العصمة عن الآخرين، ومن ثم إستباحة دمائهم، وأعراضهم وأموالهم دون مسوغ شرعي.

٢- التجرؤ على الفتوى بغير علم؛ حين يتجرأ الفرد على أحكام الدين، فيصدر الفتوى بالتحليل والتحريم والتكفير والتبديع والتفسيق، دون فهم صحيح لنصوص القرآن والسنة وأحكامها ومقاصدها، ومن دون أدنى تأهيل علمي شرعي لإستنباط الأحكام. والتعصب للرأي؛ وذلك من دلائل الانحراف الفكري.

٣- من مظاهر الانحراف الفكري التقليد الأعمى الذي يتميز به المنحرفون فكرياً، إذ يثقون بالشخص أو الرمز الذي يقلدونه ثقة عمياء، ويلتزمون رأيه ومنهجه من دون تمحيص والتمحور حول الشخصيات، حيث يصل الأمر إلى تقديس بعض القيادات والرموز، ومن ثم القبول المطلق لما تراه وتنادي به.

٤- سؤ الظن، وهو من سمات الانحراف الفكري ومظاهره ايضاً، وهو خصلة مذمومة نهى عنها الإسلام، حيث يلاحظ أن المنحرف فكرياً يسيء الظن بالآخرين، ويخفي إيجابياتهم وحسناتهم، ويضخم وينشر سيئاتهم، ويحاكم نياتهم ومعتقداتهم التي لا يعلمها إلا الله، فالتهم جاهزة والتصنيفات قائمة لمن يختلف معهم في أبسط الأمور.

٥- الطعن في العلماء والتشنيع على من يخالف وحصر الحق في شخص أو في مذهب، والاعتقاد أن الحق والعلم والدين وقفاً على ذلك، ومن ثم التشنيع على المخالف ومحاربته بكل السبل وعلى كافة المستويات، تحت شعار الرد على المخالف بإعتبار ذلك أصلاً من أصول الإسلام.

٦- الغلظة والخشونة التي تعد من أبرز صفات المنحرفين فكرياً، ومن ذلك عدم تقبل الآخر بأي حال من الأحوال، والتعامل مع الأمور والأشياء من منطلق القسوة والشدة، وإفتعال الخصومات لأتفه الاسباب.

٧- الإنطواء والتقوقع، حيث يتخذ المنحرفون فكرياً مواقف معينة إنطلاقاً من تعصبهم، ويرى كل منهم أن رأيه ومعتقده هو الصحيح المطابق للدين، وما سواه نوع من الضلال أو الكفر أو الفسوق، ومع مرور الوقت ينطوي الفرد على نفسه،

لأنه قد أغلق باب الحوار والمناقشة وتقبل النقد والتصحيح، وبذلك يدور حول فكره ورأيه مما يؤدي في النهاية إلى إعتزاله المجتمع.

وهناك بعض المظاهر الأخرى مثل (طالب الخير،٢٠١٧م):

٨- تشويه الحقائق: الفكر المنحرف يتسم دائماً بقدرته على قلب المفاهيم وتشويه الحقائق وطمسها، وتقديم أدلة وبراهين غير كافية أو مناقضة للواقع، وإستعمال الكلمات بمعاني مبهمة غير محددة أو بمعاني متقلبة ومختلفة.

٩- يتحقق التصور الشرعي من التكليف بإمتثال أوامر الشارع وإجتناب نواهيه، ولكنهم في خلاف ذلك تراهم يقدمون النصح لقادتهم أو أتباعهم بإستخدام أي وسيلة متاحة في الصراع على السلطة ويبررون لهم سفك الدماء على أنه جهاد في سبيل الله أو يكفرون الناس ليستحلوا دمائهم وأعراضهم.

١٠- الميل إلى الخلاف والصراع: إقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف آراء الناس وأفكارهم في أمور الحياة، وسبب ذلك أنهم خلقوا أساساً مختلفين في الأمزجة والميول والرغبات، وهذه حقيقة لا يدركها إلا أصحاب العقول السليمة. إن الفكر السوي يسلم بتعدد الأبعاد والرؤى ويعمل على التواصل مع الآخرين والانفتاح على العالم، والإفادة من خبراته وأفكاره دون صراع أو تسفيه، في الوقت الذي ينزع فيه الفكر المنحرف إلى الخلاف والصدام مع الآخرين عند ظهور أي خلاف.

١١- التناقض الفكري - السلوكي: هذا أنه ألسنتهم وفكرهم الذي ينشرونه يقول شيئاً وأفعالهم تقول شيئاً آخر مختلف ومناقض تماماً. هذا من سمات المنافقين بعدم الثبات في الفكر والسلوك مثل إخفاء مشاعر الكراهية للمسلمين وإظهار الايمان إذا وجدوا خلاف بينهم ويقولون أنهم يتبعون أوامر الشرع ويطبقونها ولكنهم ينتهكون محارم ويفعلون الجرائم.

من وجهة نظر الباحثة أن التوعية تبدأ بتعريف الشباب بهذه المظاهر أو ما يمكن أن نشبهه بأعراض الإصابة بالإنحراف الفكري منذ بدايته، وهي توعية يمكن أن تشمل الجميع لكنها تتركز على الشباب، فمن السهل عليهم ملاحظتها في أقرانهم، وفي هذه المرحلة يمكن أن يجدي الحوار وإكساب الشباب فكراً معتدلاً يمحو الإنحراف الفكري

الذي بدأ يتسلل إليهم عبر مخاطبات تحمل ثقافة تخالف قيم المجتمع الايجابية، خاصة أولئك الذين يأخذون منحىً سلبياً من المجتمع. وهذه المظاهر تعد بداية لظهور الآثار السالبة للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع المحلي والمسلم ككل مما يخلق فرصة سانحة لأعداء الدين وعبر إعلامهم المضلل لتصوير هذا الإنحراف على أنه اصل في الدين الإسلامي والدفع به نحو مواقف رسمية تخدم أغراض أعداء الدين. وهذه الآثار السالبة كما ترى الباحثة يمكن إيضاحها كما يلي:

١- الآثار على الفرد:

أ- إنعزال الفرد، تعطيل طاقاته وإبداعه وصرفه عن التعليم والتأهيل العلمي والديني وذلك في المرحلة الأولى حين يتم إستهدافه من قبل شخص مدرب لهذا العمل.

ب- إنشغاله عن واجبه تجاه مجتمعه، وذلك لمحاصرته من قبل أفراداً آخرين من جماعات منحرفة فكرياً.

ج- تخريب مكتسبات المجتمع، بدلاً عن كونه مساهماً في بناء المجتمع يصبح أداة هدم وتخريب.

د- فقدانه لحياته نتيجة ما يظن خطأ أنه الحق كالإنتحار في العمليات.

هـ- خسران الدين بإعتباره حاد عن الحق والصواب، وفارق جماعة المسلمين، وخالف هدي النبي ﷺ وأصحابه، وسعى في إزهاق أرواح محرمة بغير وجه حق قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ "النساء: ٩٣"، وقتل نفسه قال تعالى: ﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ "البقرة: من الآية ١٩٥" وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ "النساء: من الآية٢٩".

٢- الآثار على الأسرة وهي كما تراها الباحثة:

أ- تسعى الأسرة لتعليم أبنائها ليكونوا دعماً وسنداً لها فخسارة فرد تعني الإنتقاص من طاقة دفع الأسرة إلى الأمام، ووضعها كمتهمة بتكوين شخصية منحرفة فكرياً من خلال التنشئة الخاطئة.

ب- زعزعة أمن الأسرة، وفقدانها الأمان نتيجة لتسلل فكر العنف والإرهاب إلى

داخلها، فالمنحرف يضع أسرته موضع إما إتباعه فيما يتبع أو عداوتها.

٣- الآثار على المجتمع: لاحظت الباحثة أن هناك كثيراً من الضرر وقع على المجتمعات التي تعرض أبناؤها للإنحراف الفكري تمثلت في:

أ- إتلاف وأخذ الأموال بغير وجه حق وتخريب الممتلكات والحجر على حريات الآخرين.

ب- إفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل قال تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُّ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ "البقرة: ٢٠٥".

ج- تشويه صورة الإسلام والمسلمين فيستغل الذين في قلوبهم مرض المسلمين والأعداء من غير المسلمين فيضخمون هذه الأفعال ليعكسوا صورة سلبية عن مجتمع الإسلام.

د- إضطراب الأمن وما يترتب على ذلك من نشر الخوف وحصول الفوضى والتشتت وتعطيل مصالح المسلمين.

هـ- وفقدان الثقة في أولي الأمر ما يؤدي إلى عدم طاعتهم ومعصيتهم وإسقاط هيبتهم لتعم الفوضى وقد تواترت الأدلة على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ "النساء: من الآية ٥٩".

٤- الآثار على الأمن الفكري والعقائدي (طالب الخير، ٢٠١٧م):

أ- إخراج النصوص الشرعية عن سياقها: يختلف العلماء في تفسير النصوص الشرعية وبيان مدلولاتها بإختلاف طبيعة ونوعية الاصول التي يستند إليها أصحاب كل إتجاه. "إن تفسير النصوص الشرعية يتجاذبه عادة إتجاهان: إتجاه يقف عند ألفاظ النصوص وحرفيتها مكتفياً بما يعطيه ظاهرها، وإتجاه يتحرى مقاصد الخطاب ومراميه".

وقد ظهر الإنحراف الفكري الديني عند بعض الأفراد والجماعات من خلال نقص الإلمام بأصول وقواعد التفسير وإعتمادهم على منهج حرفي لفهم وتفسير النصوص

وإنتقاء آيات وأحاديث معينة، والتمسك المطلق بحرفيتها دون إلتفات إلى المقاصد العامة للشريعة أو معرفة بأسباب النزول وأدوات الاستدلال الفقهية واللغوية، وزعمهم بأنهم يتصلون مباشرة بالقرآن دون حاجة للإستئناس بآراء الفقهاء، فضلاً عن إفتقادهم لشروط الإجتهاد ومحدودية وعيهم بالتراث والتاريخ والواقع المعاصر بظروفه وملابساته إضافة إلى عدم فهم القياس أو إستخدامه وتجاهل العلة والحكمة من التشريع. "وهناك من يقرأ النصوص الشرعية قراءة سطحية ممن يعوزه إتقان الربط بين المتشابهة والمحكم، وبين الجزئي والكلي، والظني والقطعي في الدلالة، والتعارض والترجيح مما يوصله إلى فهم جزئي غير دقيق لهذه النصوص".

ب- عدم تقدير المصلحة ودرء المفسدة: إتفق علماء المسلمين على أن تحصيل المصالح أصل من أصول الشريعة الإسلامية، إذ أن الشريعة إنما نزلت لتحصيل مصالح العباد الدينية والدنيوية ودفع المفاسد عنهم.

والواقع بأن الدماء المهدورة، والمعارك الطاحنة لم تجلب مصلحة تذكر بل ترتب عليها عشرات المفاسد، فالدماء المسالة والنفوس المزهقة من أبناء دين واحد فضلاً عن الثأرات والأحقاد التي ملأت النفوس. فقد إستغل الأعداء هذه الفتنة والدماء التي سالت بين أشياعه لكي يشوهوا صورته ويصنفوه بالدموية والإرهاب، حتى صار المسلم في الخارج رمزاً للإرهاب والدموية.

ج- إتباع المتشابهات والإعراض عن المحكمات: من الشبهات التي يقوم عليها أصحاب الانحراف الفكري الديني شبهة إتباع المتشابهات من النصوص، وترك المحكمات البينات، معرضين عن المحكمات وهي التي منها القول الفصل، والحكم العدل، وهم يعتمدون على المتشابهات في تحديد كثير من المفاهيم الكبيرة التي يترتب عليها نتائج خطيرة في الحكم على الأفراد والجماعات، وتقويم وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والعداء، والحب والبغض، وإعتبارهم مؤمنين أو كفار. وهذه الشبهة تعبير عن سلوك لا يصدر من راسخ في العلم وإنما هو شأن الذين في قلوبهم زيغ والذين يبتغون الفتنة للناس والتشويش عليهم فيتبعون المتشابه. وقد حذر الله تعالى من هذا الصنف من الناس فقال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾.

د- الخلط بين الإنتحار والإستشهاد: تصف الجماعات أفرادها الذين يموتون في عمليات التفجير بمختلف الوسائل بالشهداء ويعدونهم بالجنة وهذا خلط واضح وتزييف لكثير من الحقائق، حيث أن ما تقوم به جماعات الإنحراف الفكري والديني هو إنتحار صريح وإلقاء بالنفس إلى التهلكة والمخاطر وبدون منفعة محققة للمسلمين أو للمرء نفسه بل تموت فيها أنفس بريئة حرم الله قتلها إلا بالحق.

هـ- الفهم الخاطيء لمفهوم الوطنية: فطر الانسان على حب الوطن والتعلق به كما أن التربية الوطنية جزء لا يتجزأ من تربية الفرد منذ الصغر، لكن هذا المفهوم يصاب عند المنحرفين فكرياً بخلل واضح فالوطنية لديهم شبهة من الشبهات التي يجب درءها والتنزه عنها. فكانت أدبياتهم وفتواهم مليئة بتشويه هذا المفهوم ومن يؤمن به فهي في نظرهم مفهوم جاهلي، وثني خطير فيه دعوة إلى الإنصهار في بوتقة الوطن وإعتباره رابطاً قومياً يعلو فوق كل الروابط الأخرى. والواقع أن ولاء المسلم لدينه وإنتمائه لأمته لا يتعارض مع الوطنية بل أن العلاقة بينهما علاقة وئام وإمتزاج. وإرتباط حتى أن الدين لا يقوم إلا على أرض ووطن.

و- تحريف المفاهيم والمعتقدات: أن الفهم الخاطىء للشريعة الإسلامية ومقاصدها السامية هو إنحراف فكرى عن المنهج العقلى السليم.وتتضح أثار هذا الفهم الخاطىء فى إالتباس المفاهيم وقلب المقاصد وتحريف النصوص.

إن آثار الأنحراف الفكرى على الامن الفكرى كما يظهر فى قلب المفاهيم والمعتقدات تكمن فى الحروب الكلامية بين أفراد المجتمع نحو الاتفاق على معانى واحدة وواضحة للقضايا الأجتماعية والدينية التى يتعرض لها المجتمع مثل:قضايا الولاء والبراء، والشرك، والتوسل،والولاية والجماعة، والتكفير والغلو، والموقف من الصحابة،إضافة الى مفاهيم وقضايا الدعوة، والحسبة والجهاد والإرهاب، وقضايا الشباب والمرأة والحجاب والحوار والإصلاح والعولمة. فترى كل فريق وكل جماعة تقول انها التى تحارب من اجل الحق ولكن بمفهومين مختلفين..

ح- الإفتاء بغير علم شرعى: من آثار الإنحراف الفكري على الأمن العقائدى بشكل خاص،التجرؤ على أحكام الدين بإصدار فتاوى التكفير والتبديع والتحليل والتحريم،والخوض جهلا فى مسائل العهد والأمان والذمة وأحكام الجهاد والحرب والسلم دون معرفة كافية لمراتب الأحكام أو مراتب الناس،فيظهر تعسيف النصوص والإجتهادات المخالفة لما أجمعت عليه الأمة.

ط- تكفير المجتمع: يؤمن اصحاب الفكر المنحرف بامتلاكهم للحقيقة المطلقة وتعذرهم فى التعايش مع الآخرين، وتضيق صدورهم بالرأى المخالف أي الحد الذى قد يدعوهم الى استبعاد صاحبة وتصفيته،وفى مواجهة ذلك يقف الفكر الدينى المتسامح بالمتسم بالوسطية والذى لا يجد اصحابة تعارضا بين يقين ديني يؤمنون به أو يدعو اليه، وبين الآخرين فى اعتناق ما يرونه من عقائد دينية يؤمنون بها ويدعون اليها فهم يمتثلون لقول اللة تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ ﴾. فمن أخطر آثار الانحراف الفكرى هو السقوط فى هاوية تكفير الاخرين واستباحة دمائهم واموالهم.

ومن الاثار الاخرى الخطيرة للتكفير - كما ترى الباحثة - صرف اهتمام المسلمين عن امور الحياة الهامة، واستنفار جهدهم فى صراعات دينية وفكرية يزيد معها الأعداء ويقل معها الأخوة والاصدقاء فتصبح المعركة بين المسلمين انفسهم بطوائفهم وفئاتهم ومذاهبهم بدلاً عن إستنفار الجهود فى العمل الصالح والنافع للدين وجمع شمل الأمة على منهج ربانى واحد.

ومن جانب آخر تلاحظ الباحثة أن التكفير فى ظل الإنفعال الحاد والكراهية العميقة يؤدي إلى سلوك العنف الذى يتمثل فى العدوان الجسمانى على أعضاء الجماعة موضوع الكراهية أو الإبادة والإفناء وهى المرحلة النهائية للإنحراف الفكرى المتطرف بين الجماعات وتشمل الإبادة الجماعية أو الأعدام دون محاكمة قانونية.

فالباحثة ترى أن الآثار المدمرة للإنحراف الفكري تتعدى كل الحدود من الفرد إلى الأسرة وصولاً للمجتمع وتخريب كل ما تحقق خلال أجيال من العمل وإضاعة موارد إقتصادية وبشرية غالية القيمة كما إن الإنحراف يمثل ردة إلى عهود من الظلام والإقتتال،

وإضاعة الوقت الثمين في خطوات للوراء. والإنحراف الفكري بما يمثله من تلاقي لمصالح أعداء الإنسانية والإسلام يسعى لأن يتحكم بجهله في سلاح العلم الذي يمكن محاربته به فيسعى لتدميره عبر التسلل لعقول طلاب العلم في جميع المراحل وخصوصاً في الجامعات لضعف الرقابة على الشباب في هذه المرحلة حيث يتمتعون بقدر أكبر من الحرية.

وترى الباحثة أيضاً أن هذه الحرية التي يجدها الشباب في هذه المرحلة هي لتهيئتهم لمرحلة تحمل المسئولية تجاه مجتمعهم عقب تخرجهم، تستغلها جماعات الإنحراف الفكري في غسل أدمغة هؤلاء الشباب وحشوها بالحقد والكراهية تجاه المجتمع وتحريضهم على هدم بنيان القيم المستند على الدين الإسلامي والعادات والتقاليد المستمدة منه، فيقلبون لهم الحقائق ويفسرون لهم ثوابت المجتمع على أنها بدع خارجة عن شرع الله وأن عليهم أن يتولوا التغيير بأيديهم بما يملكون من قوة يوهمونهم بأنها قادرة على تغيير المجتمع وإن لم يتغير فيجب إحلاله بمجتمع آخر ويباد الأول. هنا يصل الإنحراف الفكري والديني والعقائدي لمداه فيبدأ هؤلاء الشباب المغرر بهم حرباً لا هوادة فيها على مجتمعاتهم بل يسعون لتخريب كل المجتمعات المسلمة بدعوى أن دعوتهم تتعدى حدود الوطن لتشمل كل الأرض.

يتضح – الباحثة – في ما ذكر من آثار سالبة للإنحراف الفكري حجم الدمار الذي يسببه هذا الإنحراف وهو مايجيب عن سؤال البحث الذي مؤداه (ماهي الآثار السالبة للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن الفكري والعقائدي؟) كما يتضح أنه قد تحقق أحد أهداف البحث الذي يتمثل في (التعريف بالآثار السالبة الإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن الفكري والعقائدي).

ومن خلال التعريف بالآثار السالبة للإنحراف الفكري على الفرد والأسرة والمجتمع والأمن الفكري والعقائدي يمكن العمل على توعية الشباب بوضع إطار مناسب يمكن بواسطته الوصول لعقلية الشباب ومخاطبتها بمستوى يحصنها ضد الإنحراف الفكري ويجعلها مزودة بالسلاح الفكري اللازم والحجة المنطقية المستمدة من وسطية الدين الإسلامي وسماحته وقوته في آن واحد (الباحثة).

التوعية كعلاج من الإنحراف الفكري:

إن توعية الشباب الجامعي بالآثار السالبة للإنحراف الفكري ضرورة حتمية على الجامعات تحمل مسئوليتها فهي تتطلب مهارات عالية في الفهم والادراك ودراسة متعمقة للوصول إلى أنجع السبل لتعديل الفكر المنحرف للوصول إلى الوسطية والاعتدال.

وهذه التوعية تشمل:

أساليب الوقاية والعلاج من الانحراف الفكري:

إن البداية في تفتح الوعي لدى الفرد دائماً تكون حسب ما ترى الباحثة في حضن الأسرة التي تشكل المنشأ الأول، ثم يأتي دور التعليم ما قبل الجامعي وفيه تكتمل مراحل الطفولة التي تخلو عادة من المؤثرات التي تمس التوجه الفكري للفرد، أما أجهزة الاعلام فإن الوعي لما تبثه يبدأ عادة في مرحلة الشباب وهي مرحلة الدراسة الجامعية، فالجامعة إذن تمثل المكون الأهم للشاب من الناحية الفكرية ودورها هو الأكبر والأخطر في توعية الشباب.

أ- دور الأسرة في الوقاية من الإنحراف الفكري:

للأسرة دوراً هاماً في تنشئة الأبناء، وعليها يقع العبء الأكبر في غرس القيم الفاضلة، والإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع وتوعية الأبناء بإتخاذ أدواراً إيجابية تحفظ تماسك المجتمع وأمنه، لذا كان من الضروري أن يكون الأباء والامهات على وعي كامل بهذا الدور وكيفية القيام به بالطريقة التي تجعل من الإبن جزء من منظومة متكاملة يحس بالإنتماء لها ولا ينفصل عن قيمها فينظر إليها يوماً كالمنكر الذي يتوجب تغييره. مما يولد بداخله صراعاً حول كيفية هذا التغيير ويجعل منه لقمة سائغة للإنحراف الفكري المؤدي إلى العنف والتطرف والإرهاب (الباحثة).

والتنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى، وتهدف الى إكساب الفرد (طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا) سلوكاً ومعايير وإتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنة من مسايرة جماعته والتوافق معها، وتكسبه الطابع الاجتماعى، وتيسر له الإندماج في الحياة الاجتماعية.(حامد عبد السلام زهران – ٢٠٠٠م).

ومن وجهة نظر الباحثة أن إنضمام الشباب إلى جماعات الانحراف الفكري يرجع الى اسباب نفسية ومن أهمها عدم أشباع الحاجات الضرورية، ومن أسباب إنحراف الشباب فكرياً البحث عن بديل لما يعانيه الفرد من الحرمان النفسى. ومن هنا يأتى دور التربية الأسرية لإشباع احتياجات الأبناء الصحية والنفسية والاجتماعية ذلك لكى يتحقق لهم التوافق الاجتماعى الأفضل ويعملوا على تحقيق الأهداف المجتمعية، اذ يعرف علماء النفس الحاجة بأنها حالة من من النقص والافتقار والاضطراب الجسمى والنفسى، إن لم تشبع أثارت لدى الفرد نوعا من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى اشبعت الحاجة. وترى نظرية الحاجات أن الحاجة هى الدافع وراء كل سلوك واذا لم تشبع ترتب على ذلك خلل يؤثر فى صاحبها.

ويجب على الأسرة تأصيل وتعميق قيم الانتماء لدى افرادها والتى تعد من الحاجات الأساسية للنمو النفسى والنمو الاجتماعى ومن ثم الانتماء بالمجتمع كله فى مرحلة تالية،وهذه تتم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية اذ أنه من اهم وظائفها غرس الهوية القومية، إذ تسهم عملية التنشئة الاجتماعية فى تكوين وبلورة الهوية القومية لدى الفرد والتى من شأنها أن تحقق له الإنتماء للمجتمع الذى يعيش فيه، فالهوية القومية تجعل الفرد كائناً اجتماعياً يمثل مجتمعه عن طريق تعلمه لغة الجماعة وعاداتها وتقاليدها، والإشراف على سلوكه وضبطه وتوجيهه (سناء حامد زهران واخرون- ٢٠٠٨م).

ولكن بعض الأسر تتبع طريقاً في التنشئة الاجتماعيه خاطئ يتمثل في مجموعة من الأساليب الخاطئة في تربية الطفل وتنشئته، وتكون لها أثرها في تشكيل شخصية الطفل وأكثر الأساليب الخاطئة شيوعاً، التسلط، الإهمال، إثارة الألم النفسي، التذبذب، الحماية الزائدة، التدليل، القسوة، التفرقة، وترتبط الأساليب الخاطئة بالإتجاهات الوالدية. والتي تعني الإجراءات والأساليب التي يتبعها الوالدان في تطبيع أو تنشئة أبنائهما –أي تحويلهما من مجرد كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية، ومايعتنقاه من اتجاهات توجه سلوكهما في هذا المجال (هدى محمد قناوي، الطفل تنشئته وحاجاته، بدون تاريخ).

تلاحظ الباحثة أن بعض الأسر تأتى بافعال من خلالها تُشعر الأبناء بأنهم غير مرغوب فيهم عبر إهمالهم وتوبيخهم ونبذهم بصورة متكررة، فلمثل هذه الأفعال أثر

سيء فى التكوين النفسى والاجتماعى للأبناء والصحة النفسية للفرد فى مرحلة تالية بصفة عامة، مما يجعل الفرد يحاول أن ينتمى الى جماعات يحاول بها إشباع شعوره بالإنتماء والألفة والتوافق والإنسجام عند التعامل، وكلما إنعزل الفرد عن أسرته وابتعد عنها ازداد شعورة بالحاجة الى تلك الجماعات البديلة التى يجد فيها ما افتقده وتحاول تلك الجماعات المنحرفة فكرياً تعويضه ذلك وتقوم بإدخال قيم ومعايير الجماعة فى شخصيته والتى تعارض القيم والمبادئ الدينية والاجتماعية فى المجتمع.

وتحمل الباحثة الأسرة المسئولية المباشرة في الوقاية من وقوع الابناء في براثن الفكر المنحرف والعنف والتطرف والإرهاب وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية الصحيحة داخل الاسرة وإستخدام اسلوب الإعتدال في المعاملة وإعطاء الثقة بالنفس والإعتماد على الذات والتوعية بالأضرار والآثار السالبة للفكر المنحرف وبناء خط من التفاهم دون تجمد أو عناء يؤدي إلى فتح طريق مستمر وفعال مع الأبناء، وبالتالي من واجب الأسرة أن تساعد أبنائها على أن يشعروا بأنهم كبار ومسئولون سواء بإعطائهم مسئوليات مباشرة أو بمناقشتهم في مختلف المواضيع فيشعر الشاب أوالشابة بأنه ناجح ومسئول وأن أسرته – وهي محور أساسي لإهتمامه – تمنحه فرصة حقيقية حتى يشعر بكفاءته وقيمته الانسانية وقدرته على التمسك بقيمه في مواجهة الافكار الدخيلة عليه.

وفي هذا الصدد ترى الباحثة أنه يجب أن يتم إحتواء الذين يقدمون لأول مرة تحت تأثير إغراء شيء ما على ممارسة العنف والتطرف ويتم ذلك بمحاولة تصحيح المفاهيم لديهم بالطرق التربوية حتى لا يتحولوا إلى ممارسة الإرهاب على نطاق واسع، ويبقى بعد ذلك أهمية الوازع الديني والاخلاقي في ضبط السلوك وحل مشكلات الانسان بصفة عامة، حيث أن الايمان القوي بالله سبحانه وتعالى يتضمن الوقاية والعلاج من الإنحرافات الفكرية ومشكلات العصر وهو ما يمكن تحقيقه من قبل الاسرة عبر إتباع الاساليب السليمة للتنشئة الاجتماعية.

ب- دور وسائل الاعلام:

لوسائل الإعلام دوراً هاماً ومميزاً في الوقاية من الإنحراف الفكري. فيجب ان تشارك وسائل الإعلام من تلفزة وانترنت في توعية الأفراد وتوضيح الحقائق عن الفكر

المنحرف ومخاطره ووضع الإعلام المضاد عن طريق تدفق مستمر وواع للمعلومات، والحقائق عن ظاهرة الانحراف الفكري، والسلوك الإرهابي وآثارهما وما يستجد فيهما في الوقت المناسب بما يوضح الصورة أمام الجميع. كما عليها الإستعانة بأهل العلم والمعرفة لنشر الوسطية في الدين (الباحثة).

الأسرة هي الحاضنة الأولى وهي منبع التوعية الأول لذا تقدمت الاشارة إليها كما أن التنشئة الاجتماعية أصبحت علماً يدرس في الجامعات وتطورت تقنياته بتطور المجتمع وتعقد مشاكله فتزويد الأسرة بما تحتاجه من طرق علمية يتم تبسيطها حتى تصل لأولي الأمر داخل الأسر يعد ضرورة. وتشارك وسائل الإعلام الأسرة في التواجد داخل المنزل وسهولة الوصول لأفراد الأسرة بدون حواجز لذا فهي بقدر ما تحمل من الخير تحمل ايضاً ضرراً يجب التصدي له. لذا فإن الباحثة ترى بأن يتم إستخدام وسائل الاعلام كجزء هام من التوعية وصقل العقول الناشئة حتى لا يجد المنحرفون فراغاً فكرياً يملأونه بإنحرافهم وحتى يكون المستهدف نفسه جزء من الوقاية.

ج- مؤسسات التعليم قبل الجامعي:

هذه المؤسسات توجد في أغلب الأحيان داخل الأحياء وتتأثر وتؤثر فيما حولها، فيجب إختيار إدارة هذه المؤسسات بحيث تكون إدارة تربوية قادرة على ضبط سلوك وتوجهات التلاميذ، وتملك قدرة إكتشاف مؤشرات ومظاهر الانحراف الفكري لدى المعلمين أو التلاميذ. كما أن الجانب المكمل للإدارة هو الكادر التعليمي أي المعلمون والذين يقع عليهم العبء الأكبر في توجيه وتوعية التلاميذ وتحصينهم ضد أي منهج أو فكرة تقودهم للإنحراف الفكري وذلك بتقديم القدوة الحسنة، والتمتع بثقافة دينية وسطية تمكنهم من إزالة أي لبس أو غموض من عقول الناشئة (الباحثة).

أما جانب الطلاب فهو الجانب المتلقي لما يجده من مناهج دراسية والمراقب لما يراه من سلوك، والمتتبع لما يستجد على المجتمع خارج أسوار المدرسة، فيجب تزويدهم بالحس الفكري السليم والوسطية الدينية المعتدلة، كما لا يجب إغفال صقلهم بجانب الوطنية والحس الأمني ضد مهددات أمن المجتمع ووجوده. ويتحقق هذا من خلال (الباحثة):

١- التعليم وصياغة الشخصية السوية.
٢- يجب أن تتحمل المدرسة الدور المنوط بها في تزويد التلاميذ الأفكار السليمة عن المجتمع.
٣- ربط المدرسة بالمجتمع المحلي وتفعيل دورها في حماية أمن المجتمع المحلي وعدم قصر نشاطها داخل أروقة المدرسة فقط.
٤- يمكن إضافة مناهج جديدة حول الوقاية من الجريمة والانحراف توضح: كيف يمكن للشباب تحصين أنفسهم من الجريمة ومعرفة السبل الناجحة للإبتعاد عن مهاوي الرذيلة والانحراف الفكري.
٥- ضرورة إنتقاء الأساتذة الذين يقومون بالتدريس بكل دقة وحذر، بحيث يتصفون بالفطنة والذكاء والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة للطالب بالإضافة إلى المقدرة الشخصية التي تمكنهم من إستيعاب المتغيرات الحضارية التي يعيشونها وعكسها في المناهج الدراسية بشكل مشوق، وأن يكونوا قدوة يحتذى بهم علماً وخلقاً وسلوكاً.
٦- تعليم التلاميذ مهارات التفكير السليم والفعال وحل المشكلات، وإتاحة المجال لهم للتعبير عن ما يجول في خاطرهم ونقد أفكار الآخرين وآرائهم بما يفيد الجميع، مع تقبل النقد من الآخرين أيضاً.

ما ذكر سابقاً يجيب عن سؤال الدراسة: ما دور كل من الأسرة والمدرسة وسائل الإعلام في توعية الشباب السعودي بالآثار السالبة للإنحراف الفكري؟ كما يحقق هدف الدراسة: توضيح دور كل من الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام في التوعية بالآثار السالبة للإنحراف الفكري.

د- مؤسسات التعليم العالي (الجامعات):

تتحمل الجامعات مسئولية ودوراً كبيراً بل هي المرتكز الأساسي لتأهيل آباء وأمهات المستقبل فتدخل بذلك في دور الأسرة بصورة غير مباشرة، وهي المؤهل للمعلمين في المدارس مما يعطيها دور المعد لهؤلاء المعلمين، وعبر كليات الإعلام تؤثر على الكوادر وتتدخل في استرتيجيات الاعلام التي يخاطب بها فئات المجتمع المختلفة وعلى رأسها

الشباب (الباحثة).

والجامعات اليوم ليست فقط مكاناً لتلقي العلم بل هي ملتقى لجميع الأفكار والثقافات المحلية والعالمية وهي معترك لكل أنواع الفكر، بالإضافة إلى العدد الكبير من الطلاب من الجنسين الذين يقصدونها طلباً للعلم وإستعداداً وتأهيلاً للمستقبل، وهي مرحلة تأتي مع دخول الفرد طور المراهقة، وما يصاحبه من صراع داخلي وحيرة تبدأ بالبحث عن إنتماء، وفي خضم هذا يجد الأقرب له فيعتنقه ظاناً فيه الحق، لذلك كلما كانت الجامعات معدة نفسياً وفكرياً وثقافياً وإجتماعياً لإستقبال هذا القادم المضطرب فكرياً تمكنت من توجيهه الوجهة السليمة، وإلا كان فريسة للمنحرفين فكرياً يقودونه ويستغلون فيه طاقات هذه المرحلة فيتحول إبداعه نقمة على المجتمع ويتحول حبه للحياة كراهية للجميع وللوطن (الباحثة).

إن طلاب الجامعة يعدون الأكثر إستهدافاً من قبل المنحرفين فكرياً، لتجنيدهم ضمن جماعات العنف والترويع والارهاب، وأسباب ذلك تكمن في الآتي (الباحثة):

١- أصبحت الجامعات تحتوى العدد الأكبر من الشباب حيث أدت طفرة التعليم في المملكة إلى ازدياد عدد الطلاب المقبولين للدراسة الجامعية.

٢- المرحلة العمرية للطلاب وهي مناسبة لإستقطاب الشباب لإقناعهم بأنهم يؤدون عملاً دينياً ويحاربون أعداء الدين مستغلين تعطشهم للقيام بعمل بطولي، والنوازع نحو إثبات الذات.

يبدأ دور الجامعة بمجرد ولوج الطلاب إلى ساحتها كطلاب جدد حيث يجب أن تكون معدة ببرامج تملأ مرحلة الانتقال وتعد الطالب نفسياً وذهنياً واجتماعياً لمسئوليته تجاه نفسه وتجاه مجتمعه، حيث يعد التحصيل الدراسي ركناً هاماً، كما أن الحوار الفكري والذي يوضح مكامن الإنحراف ويبصر بمهاوي الانزلاق نحو الإنحراف الفكري مهم جداً، فمعرفة الطالب بصحيح الفكر والمعرفة وإحتكاكه بالعلماء والمفكرين يصقل عقله لذا لابد من وضع برامج يلتقي فيها الطلاب بالعلماء دون قيود، والإستماع لهم وإجابتهم وتوفير مصادر العلم المقرؤ والتي تقود إلى الوسطية والإعتدال في الدين (الباحثة).

كما أن على الجامعات من خلال مراكز البحوث العلمية فيها ومن خلال برامج الدراسات العليا ـ عليها أن تقوم بتفعيل دور البحث العلمي على جميع المستويات في مجالات تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب ولدى أفراد المجتمع بصورة عامة وذلك من خلال طرح الموضوعات ذات العلاقة بالإنحراف الفكري ومسبباته وآثاره وسبل علاجه، وذات العلاقة بتحقيق الأمن والاستقرار وذات العلاقة بحقوق الوطن وولاة الأمر في المجتمع المسلم (الباحثة).

وتضمين المناهج التعليمية والمناشط الدراسية المختلفة ما يوضح مدى خطورة الانحراف الفكري، وفداحة الأضرار الدينية والاجتماعية والأمنية والسياسية والاقتصادية التي قد تترتب عليه. ورفع مستوى ثقافة الطلاب الدينية المتسمة بالإعتدال والوسطية. وإظهار وسطية الإسلام وإعتداله من خلال مناهج الدراسة المختلفة ومن خلال سلوك أعضاء هيئة التدريس، ومن خلال البرامج التربوية والتعليمية التي تمارسها الجامعات (المالكي، ٢٠١٧م).

ومن الأهمية تحذير الطلاب من المصادر غير الموثوقة التي يرجع إليها بعض الشباب ويأخذون منها الأحكام ويعدونها المصادر الأساسية للتلقي. وتنشئة الطلاب على إستخدام أسلوب الحوار لتصحيح المفاهيم وتقويم الإعوجاج الفكري والسلوكي بالحجة والإقناع، بعداً عن التعصب للرأي، وبعيداً عن الإقصائية وأحادية الرؤية لموضوع الإختلاف والنقاش، والعمل على إشاعة ثقافة الحوار (المالكي، ٢٠١٧م).

وعلى الجامعات الاهتمام بحسن اختيار عضو هيئة التدريس، وصقل مهاراته وتأهيله وتدريبه لأداء مهامه، ومن ذلك الاهتمام بترسيخ مبادئ الوسطية والاعتدال لديه في فكره وسلوكه وردود أفعاله تجاه مختلف القضايا المعاصرة، ورفع مستوى ثقافته الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ليتفانى في خدمة دينه ووطنه ومجتمعه. وهنا تظهر التكاملية في جهود مؤسسات التعليم المختلفة، فالمعلم في مختلف المراحل الدراسية إنما يعد ويؤهل لهذه المهنة من خلال إلتحاقه بإحدى الجامعات أو كليات المعلمين التي تعد جزءاً من المنظومة التعليمية ذاتها، مما يحتم عليها ان تقوم بدورها في إعداد المعلم المحصن فكرياً، القدوة في فكره وسلوكه. وعلى المؤسسات التعليمية ان تعمل ما في وسعها لئلا

تكون هذه المؤسسات منطلقاً للانحرافات الفكرية، والا يجد دعاة الانحراف الفكري والعقدي والسلوكي مناخاً ملائماً لنشر افكارهم داخل هذه التجمعات البشرية التي تمثل بيئة مناسبة ومغرية للكثير من دعاة الفكر المنحرف أو المتطرف. وخاصة في المرحلتين الثانوية والجامعية، فقد توزع الكتيبات أو النشرات او المطويات والأشرطة التي تحمل بذور الانحراف الفكري من خلال هذه المؤسسات. تنمية روح المواطنة لدى الطلاب من خلال ابراز الخصائص الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تحظى بها المملكة العربية السعودية، ومكانتها الرفيعة باعتبارها القلب النابض للعالم الإسلامي، وتربية الطلاب على أهمية الإنتماء للجماعة، ونبذ الفرقة والإختلاف، فقد دعا الإسلام الى الوحدة والاجتماع، ونهى عن التفرق والإختلاف الذي يعد التطرف الفكري والعقدي من ابرز الأسباب المؤدية اليه (المالكي، ٢٠١٧م).

ومن واجب الجامعات في توعيتها للشباب وتحصينهم من خطر الوقوع في براثن الإنحراف الفكري وضع خطة استراتيجية للإرشاد النفسي الجماعي للوقاية من الاضطرابات النفسية توجه على الأخص نحو الوقاية من التورط في التطرف والإرهاب بين تلاميذ وطلاب المدارس والجامعة. كما يمتد دور التوعية إلى داخل قاعات الدراسة من خلال تخصيص جانب عملي في المقررات ذات الصلة بالجانب الفكري والعقائدي لترسيخ العقيدة السليمة ونبذ العنف وتنمية روح الحوار وتقبل الرأي الآخر سواء كان أستاذاً أو زميل دراسة (الباحثة).

إن الحجة تدحض الحجة والفكر يقارع بالفكر والحوار ثقافة الأقوياء هو مبدأ يجب أن نحسن تعليمه للشباب بالجامعات وعلى ضوئه يجب شحذ عقولهم بالمعرفة الكافية بالتفسير الصحيح للنصوص حتى لا تكون مطية للمنحرفين فكرياً يفسرونها وفق ما يخدم مشروعهم الهدام. ووسيلة ذلك في الجامعات هي الندوات والمحاضرات والمؤتمرات وحلقات النقاش المفتوحة التي تراعي حرية الرأي والإستماع للشباب من الجنسين لنتبين مدى تأثرهم بما يسمعون والأخذ على أيديهم برفق وتعريفهم بخطر الإنحراف الفكري وضرورة المحافظة على بنيان المجتمع الثقافي ومكتسباته والوسطية في الدين (الباحثة).

يجب أن يتحمل الطالب جزءا ليس هينا من المسؤولية نحو تحقيق الأمن الفكري

لذلك تكمن أهمية تعليمه كيف يتحقق أمن المجتمع بصفة عامة، وأمنه بصفة خاصة، من خلال تهيئة نفسيا واجتماعيا للتكيف مع القيم والآمال وتطلعات المجتمع الذي ينشد السلوكيات المثالية الجماعية التي تحقق الأمن والأمان. كما أن للدولة الحق في الملاحقة الأمنية للإنحراف الفكري ومتابعة المنحرفين فكرياً والذين يندسون وسط الطلاب لإفساد عقولهم وبالتالي محاربة المجتمع وهدم بنيات الحضارة التي قامت بها أجيال متتابعة، إن ما يمثله هؤلاء من خطر على الأمن بمفهومه الشامل، الفكري، والاجتماعي، والديني، والعقائدي يستلزم تضافر كل الجهود داخل الجامعة والتنسيق مع الجهات ذات الصلة خارجها لينهض الجميع بدورهم حسب تخصصاتهم لدرء هذا الخطر ومنعه من الاستفحال (الباحثة).

ومما سبق سرده عن دور الجامعات في توعية الشباب من بالآثار السالبة للإنحراف الفكري تمت الإجابة على سؤال البحث الذي ينص على (ما هو دور الجامعات في توعية الشباب السعودي بالآثار السالبة للإنحراف الفكري؟). كما حقق هدف البحث المتمثل في (توضيح دور الجامعات في توعية الشباب السعودي بالآثار السالبة للإنحراف الفكري).

الخاتمة:

تشير الباحثة إلى أن الإنحراف الفكري تقف وراءه الجماعات التي يسعى قادتها لمكاسب شخصية يستخدمون فيها الشباب وقوداً لمعارك لاتنتهي. يسعون في الارض فساداً ويهلكون الحرث والنسل، ويشردون الآمنين من ديارهم، فتتعرض أرواحهم للإزهاق وأموالهم للضياع وعروضهم للإنتهاك. وهؤلاء الشباب إن لم ينجح أمر توعيتهم وإعادتهم إلى الصواب والحق فهم سيسيرون في درب الضلالة حتى الموت تحقيقاً لوعد قادتهم المضللين بأنهم يقاتلون من أجل الحق.

إن مسئولية رعاية الشباب – كما ترى الباحثة – مسئولية تقع على جميع المسلمين وفي طليعتهم العلماء والمفكرين المؤهلين بعلمهم وبصيرتهم، وحرية رأيهم على العمل الإسلامي باعتبارهم الأئمة الحاملين لأمانة الرسالة، وبراهين الحق والذين بإمكانهم

رعاية الشباب من الإنحلال والإنحراف.

إن هؤلاء العلماء هم قادة الخير ورواد الإصلاح وهم المكلفون ببيان الحق للناس وهدايتهم إليه وتلك مسؤولية كبرى تقع على أهل العلم والفقه والمعرفة، فإن الله جل وعلا حملهم مسؤولية عظمى هي: هداية البشرية، ونشر العلم، وبذل النصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإبلاغ الحق، وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل، ورثوا وظيفة التبليغ والإرشاد فعليهم أن يرشدوا ويعلموا، وأن يتولوا القيادة الروحية والفكرية للمجتمع ويسدوا الذرائع أمام الفتن وحماية الشباب من إستغلال المستغلين المتاجرين بالدين. فمتى ما أهمل العلماء هذه المسؤولية العظمى فإن البلدان تخرب، والقلوب تظلم، والنفوس تتيه، والأفكار تزيغ، والباطل يصول، والضلال يجول. فعلى العلماء اليوم أن يستعملوا - زيادة عن الخطب المنبرية - الأساليب التي يستعملها غيرهم من أصحاب المذاهب والاتجاهات مثل: المقالة الناقدة والرواية الحكيمة، وعن طريق الوسائل السمعية والبصرية، وعقد الندوات والمؤتمرات التي تعين على إبلاغ كلمة الحق وتبصير الشباب لنشر الفضيلة ومقاومة الرذيلة. ومن الخير كذلك أن يفتح العلماء أبوابهم للشباب وعامة المجتمع، وأن يخصص كل واحد منهم وقتًا يوميًا أو أسبوعيًا، يستقبل فيه الناس ويحاورهم، ويخصص للشباب المندفع وقتاً يحاورهم ويرفق بهم ويرشدهم.

وتتم معالجة الانحرافات الفكرية بمعالجة الأسباب والعوامل المؤدية لها والوقاية منها، فللجامعة دور بالغ الأهمية في تكوين شخصية الطالب من خلال إستكمال دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى بتطويع سلوكه وتوجيهه وإكسابه القيم والمفاهيم الصحيحة. وهذا سوف يحصن الفرد ضد المؤثرات الفكرية السلبية مهما كان مصدرها (الباحثة).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- حامد عبد السلام زهران، ٢٠٠٠م، علم النفس الاجتماعي، ط6، القاهرة عالم الكتب.

- سناء حامد زهران وسحر زيان، ٢٠٠٨م، المدخل إلى علم الاجتماع، ط1، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.
- هدى محمد قناوي، بدون تاريخ، الطفل تنشئته وحاجاته.

المجلات والدوريات:

- عبدالحفيظ المالكي، ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ ٢٠ مايو ٢٠٠٥م، الأمن الفكري من المصطلحات الحديثة وأبرز انحرافاته ارتكاب الجريمة، صحيفة الرياض العدد ١٣٤٧٩.
- هلال بن محمد الحارثي، ٩ يناير ٢٠١٧م، وصايا وأفكار في تحصين الشباب من الأفكار المنحرفة، صحيفة المدينة.
- طالب الخير، ٢٤ فبراير ٢٠١٧م، الإنحراف الفكري مظاهرة وأخطاره، دورية السكينة الالكترونية.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

- http://asgatech.com
- http://www.assakina.com/news/news1/96950.html#ixzz4YwPtB89v
- http://www.assakina.com/studies/5304.html#ixzz4YwLxLzAi
- http://www.assakina.com/book/5983.html#ixzz4f6bJUUvY

التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وأثره في تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب

أد. السعيد سليمان عواشرية

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا

جامعة باتنة١، الجزائر

مقدمـــة:

يعبر التكامل المعرفي عن اتجاه فكري معاصر يسعى لتفهم حقائق العلم وقضاياه تأسيسا على المرجعية الإسلامية العليا، وهو اتجاه لا يأبه بالمسلمات التقليدية التي كرستها دعاوي الفصل بين العلم والدين، وهو بهذا المعنى لا يهدر تاريخ العلم ولا يلغي التخصص في مجال من مجالاته أو في مبحث من مباحثه الدقيقة. بل إن معرفة تاريخ العلم وقضاياه ومباحثه تعد في رأس مطلوبات عملية التكامل المعرفي، مثلما أن تدبر القرآن الكريم والإطلاع المعمق على معارف الوحي والوعي بالرؤية الإسلامية ومقاصد الإسلام الكلية تعد مطلبا أساسيا يلزم من أراد أن يسهم في التكامل المعرفي أن يلم بها.

وإذا تأملنا في الدلالة اللغوية لكلمة الجامعة من حيث تعريفها في القاموس الأوربي، نجد أنها تحيل على "نظام مؤسسي ينظم النسق المعرفي المجتمعي"، ومن ثم تتحدد وظيفتها في إنتاج المعرفة بشكل نسقي، وهو ما تحيل عليه أيضا لفظة الجامعة والجامع في اللغة العربية، فـ"جمع الشيء، أي نظمه ونسقه"، مما يدل على أن الدلالة اللغوية للجامعة في المجال التداولي العربي الإسلامي تحيل على معاني النسقية والتكاملية والاستقرار. وهو ما نجد دلالته التاريخية ضمن المضمون العلمي للجامعة الإسلامية (القرويين، الأزهر، الزيتونة..)، والتي كانت تعبر بشكل نسقي عن النماذج المعرفية للعلوم الإسلامية كما تتجلى في تفاعلات النظام المجتمعي (أصول الفقه، أصول الحديث، المنطق، علوم اللغة..)، مما جعل تلك المؤسسات التعليمية حاضنة لكيان المجتمع وهويته ووجوده، وهو ما يتجلى أساسا في المراهنات المجتمعية التي كانت تقع على عاتقها، وأيضا في الدور الحيوي الذي كانت تمارسه على مستوى الاستقرار النظمي (تخريج الأطر والقيادات المجتمعية من علماء، وقضاة، وخطباء...)[1].

ومن هنا يتضح أنه الأولى بالتعليم الجامعي أن يجسد هذا التكامل المعرفي، غير أن هذا ما لم يبدو تجسيده في العالم الإسلامي في عصرنا هذا، وما التخلف العلمي والحضاري

(١) عز الدين العزماني، الجامعة المغربية ورهان التكاملية المعرفية، الملتقى الفكري للإبداع، ٢٠٠٨. الموقع (www.almultaka.net/ShowMaqal.php?id).

التي تعاني منه الأمة الإسلامية منذ قرون والذي تبدى في مجال القوة المادية والعسكرية ومجال الإنتاج الاقتصادي والزراعي والصناعي وفي المجال الثقافي والعلمي مما جعلها تحت سيطرة الاستعمار عسكريا واقتصاديا وثقافيا. بالرغم من أن التاريخ يشهد بان هذه الأمة تمتلك إرثا هائلا لا تمتلكه أمة أخرى في علوم الدين، كما يشهد القرآن الكريم على أنها خير أمة أخرجت للناس، في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

من هنا يمكن القول أنه بالرغم من تفاعل الأسباب في الوضعية التي آل إليها العالم الإسلامي والتسليم بذلك إلا أن أصابع الاتهام جلها موجهة إلى الأنظمة التعليمية في هذا العالم وهي التي تتصدر أسباب التخلف الحضاري، وهنا أشاطر عز الدين العزماني في اعتقاده أن جوهر الاختلالات النسقية في البنية التكوينية الجامعية في العالم الإسلامي، يتعلق بذلك التفكك المعرفي الذي تعكسه المضامين التعليمية المعرفية والعلمية[2].

وفي حقيقة الأمر فإن المتفحص لهذه الوضعية يدرك فيها نوع من التكريس للفكر الفلسفي المعاصر الذي رفض مفهوم التكامل وقلل من دوره في تطوير العلوم وبناء الحضارة، ورغم رفع الفكر الفلسفي المعاصر لشعار "الحداثة وما بعد الحداثة" والذي راجت في ظله مصطلحات القطيعة والانفصال والانشطار والتشتت وغيرها من المصطلحات التي توصي –كما أشرنا– برفض مفهوم التكامل أو التقليل من دوره في تطوير المعارف وتقدمها، إلا أنه صار اليوم يبدي عناية أكبر بما تمخضت عنه الدراسات البيولوجية والفيزيائية المعاصرة، تلك الدراسات التي انتهت إلى أن: "الاتصال هو جوهر الأشياء وحقيقتها الثابتة والانفصال هو حيويتها وروحه"[3].

وهنا ندرك بأن خروج العالم الإسلامي من التطرف الذي أصيب به وبعدها عن

(١) القرآن الكريم، سورة:آل عمران الآية: ١١٠.

(٢) عز الدين العزماني، المرجع السابق.

(٣) مفتاح محمد قارن، الاتصال والانفصال في التاريخ الثقافي :حالة الثقافة المغربية، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ٦١، الرباط، ١٩٩٧. ص:٢١٢.

الوسطية في كثير من المجالات يتطلب من المعنيين قراءة متعمقة متفحصة لتاريخ الأمة الإسلامية في هذا المجال لاستنباط الدروس وأخذ العبرة، والتأكد من أن صلاح حاضر ومستقبل هذه الأمة لا يكون إلا بما صلح ماضيها، وأن الخيرية والوسطية التي حققتهما الأمة الإسلامية آنذاك كانتا نتيجة لتجسيد التكامل المعرفي وتطوير نظام التعليم الديني تطويرا فعالا. ومن ثمة فإن ضمان التعليم الجامعي في الحاضر والمستقبل لتحقيق الخيرية والوسطية لدى الطلاب لا بد له – في اعتقادنا – من تبني التكامل المعرفي كخطة دراسية في مساره[1].

إن السعي لتحقيق التكامل المعرفي في التعليم الجامعي يميل بالطالب نحو الوسطية في الأمور، فلا تطرف بين العناصر أو الاتجاهات المتقابلة: الفرد والجماعة، المادة والروح، الدنيا والآخرة، الذات والآخر، الحق والواجب، المسؤولية والجزاء. ومع ذلك فإن التكامل بين العلوم لا يعني أنها جميعا في مرتبة واحدة من حيث علاقتها بالحقيقة أو من حيث أهميتها وأولويتها[2].

ومن خلال ذلك كله يمكن اعتبار التكامل المعرفي في التعليم الجامعي خطة دراسية مكرسة وهادفة يمكن الاعتماد عليها في تجسيد وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب وحمايتهم من التطرف سواء كان ذلك مصرحا في أهدافه أو كان ذلك ضمنيا. غير أن بلوغ هذه الخطة الدراسية أجراءتها في أرض الواقع ليس بالأمر السهل ولكن ليس بالأمر

---

(١) السعيد عواشرية، معيقات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومتطلبات ذلك، ورقة علمية ضمن الجزء الأول من سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان/ الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد في جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان – الجزائر في الفترة ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ص: ٥٥.

(٢) فتحي حسن ملكاوي، مفاهيم التكامل المعرفي، ورقة علمية ضمن الجزء الثاني من سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان/ الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد في جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان – الجزائر في الفترة ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ص:٤٩٢.

المستحيل، مما يجعلنا بحاجة ماسة إلى الكشف عن أهم السبل الكفيلة بذلك.

وبالرغم من إدراك الكثير لهذا وتنبيه العلماء المصلحين في العالم الإسلامي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين إلى أن الخروج من حالة التخلف هذا يقتضي تطوير نظام التعليم الديني التقليدي بما يتماشى ومستجدات العصر وقضاياه، وبالرغم من أن الدعوة إلى التعليم في العالم الإسلامي في الربع الأخير من هذا القرن أصبحت أكثر ظهورا، ورافق ذلك إنشاء مؤسسات تعليمية جامعية تدرك أهمية التكامل المعرفي. إلى أن ذلك لم يغني من الحق شيء على ما يبدو لنا.

وإن كنا لا ننفي وجود محاولات لا يستهان بها في تجسيد ذلك، ونجاح بعض منها في تحقيق وتعزيز الوسطية لدى الطلاب، فإننا نرى أن بلوغ ذلك في الحقيقة ليس بالأمر الهين وليس بالأمر المستحيل، وهذا ما يدل على أن سبل تحقيق مشروع التكامل المعرفي تواجهها عدة معوقات في تجسيده من جهة وتحقيق أهدافه من جهة ثانية، وإن كنا نسلم بعدم استحالة تجسيد وتحقيق ذلك فإن معرفة متطلبات ومعوقات تحقيق وتعزيز الوسطية من خلال مشروع التكامل المعرفي باعتباره كخطة دراسية من شأنه أن ينير الطريق أمام كل تعليم جامعي يسعى لتجسيد وتعزيز ذلك.

وعلى هذا الأساس تأتي هذه الورقة محاولة تبيان وتوضيح أثر التكامل المعرفي في التعليم الجامعي باعتباره كخطة دراسية في تجسيد وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب، والكشف عن أهم متطلبات تجسيد وتعزيز ذلك من خلال الأخذ بالتكامل المعرفي في التعليم الجامعي كخطة دراسية. من ناحية والكشف عن المعوقات التي تحول دون بلوغ ذلك واقتراح السبل الكفيلة بتخطي ذلك. وذلك من خلال محاولتنا الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما هي متطلبات تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي؟

٢- ما هي معوقات تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي؟

٣- ما هي السبل الكفيلة بتعزيز الوسطية لدى الطلاب في التعليم الجامعي من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي كخطة دراسية؟

وسنعتمد في محاولتنا للإجابة عن هذه الأسئلة على المنهج التحليلي الوصفي. ولكن قبل ذلك يجدر بنا تحديد تعريف لبعض المفاهيم ذات العلاقة بالموضوع.

أولا: ضبط المفاهيم الأساسية:

١- تعريف التكامل المعرفي:

بالرجوع إلى قواميس اللغة نجد أنن الكاف والميم واللام أصل صحيح يدل على تمام الشيء. يقال: كَمَل الشيء وكَمُل فهو كاملٌ، أي تام، وتَكامَل الشيء وأَكمَلتُه أنا وأَكمَلت الشيء أي أَجملته واتممته، وأَكمَلَه هو واستكمَله وكمَّله: أَتمّضه وجَمَله؛ قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾. (المائدة-٣) وعلى هذا فالتكامل يعني الإتمام والإجمال[١].

ويعرف أبو ريدة التكامل المعرفي على أنه: "رؤية فكرية تحقق ذلك الانسجام والتكامل بين مختلف أنشطة الإنسان الروحية والمادية والفردية والجماعية، والدينية والدنيوية، في إطار وحدة الوعي الإنساني الذي نجح في تجاوز تحدي التواصل بين عناصر الوجود المتباينة"[٢].

التكامل في الغالب مفهوم إجرائي يعبر عن الجمع أو التوفيق بين مجالين يتمم كل منهما الآخر، فيستخدم مثلا على المستوى السياسي حينما يقال بأن الدول العربية يمكن أن "تتكامل" مع بعضها البعض؛ حيث تضم الثروة الطبيعية والأراضي الزراعية والخبرة التقنية والأيدي العاملة. كما يستخدم على مستوى التخطيط للبنية التحتية للدولة حينما

---

(١) يوسف الكلاّم، مشروع التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية –دراسة تحليلية تقويمية لتجربة مؤسسة دار الحديث الحسنية-، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص:٧٤٥.

(٢) أبو ريدة عبد الهادي، تجديد المنهج العلمي والمعرفة العلمية على يد علماء الإسلام، بحث مقدم ضمن فعاليات المؤتمر الدولي حول: العلم في السياسة الإسلامية، المنعقد خلال الفترة ١٩ - ٢٥ نوفمبر، إسلام أباد- باكستان. ١٩٨٣، ص:٦.

يتم التخطيط لمشاريع "تتكامل" مع بعضها البعض. كذلك يستخدم نفس المفهوم في التعليم؛ حيث توضع الخطط التعليمية التي تضمن "تكامل" المعرفة التي يحصل عليها الطالب[1].

ويقصد بالتكامل المعرفي تلك العملية والصورة المعرفية المتحققة بتفعيل الرؤية الإسلامية للوجود في كل مجالات المعرفة، فالمعرفة التي تجمع ما جاء وحياً من عند الله تعالى مع ما جاء اكتساباً بشرياً هي التي يُمكن وصفها بالمعرفة المتكاملة، وهذا التكامل يشمل كل المجالات فلا يتخلف مجال إنساني أو اجتماعي أو طبيعي عن هذا الوصف، وكما تتكامل علوم كل مجال في داخله تتكامل المجالات فتشكل النسق المعرفي الإسلامي.

ويُبَسِطُ بعض الباحثين دلالة مفهوم التكامل المعرفي في العلوم الطبيعية عندما يقصرونه على ربط الحقيقة العلمية المفردة، وما يسمي بالقانون الطبيعي، بغيرها من حقائق وسنن كونية جاءت وحياً من عند الله. وذلك بغرض أن تصبح تلك الحقائق نسجاً واحداً متسقا.

وآخرون يُبَسِطون مفهوم التكامل المعرفي في العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال حصرهم للمفهوم في البعد المستفاد من عملية ربط المعلومة والقانون الاجتماعي أو السلوكي – الذي يعتمده علماء الاجتماع أو الدراسات الإنسانية نتيجة دراستهم المعتمدة على الملاحظة والتجربة والمناهج التي يعتمدونها في إطار كسبهم البشري – مع ما جاء وحياً من عند الله تعالى عن الإنسان فرداً أو جماعة، من منطلق أن عملية الربط تلك تحول الحقائق إلى نسيجٍ واحدٍ متسق.

وقد يفهم بعضهم من التكامل توحيد معنى المقولات والتعابير التي يستعملها العلماء والباحثون في معارف مكتسبة نتيجة الاجتهاد البشري مع معناها في الوحي قرآناً

(١) سمير أبو زيد، تاريخ فلسفة العم مكن منظور إسلامي كأساس لتحقيق التكامل المعرفي، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد في بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج١، ص:٢٧٧.

وسنة، كتلك التي يتم فيها ربط المصطلح العلمي بالمفهوم القرآني[1].

ولقد توصل أبو بكر محمد أحمد إبراهيم إلى أن: " التكامل المعرفي يرتبط إلى حد كبير بإسلامية المعرفة، وإذا جاز وصف إسلامية المعرفة بأنها رؤية، فإن التكامل المعرفي يجوز وصفه بأنه حالة تتسم بها العملية التعليمية في المؤسسات الأكاديمية التي تتبنى تلك الرؤية[2].

ومما سبق يتضح أن التكامل المعرفي يمكن أن يحمل أكثر من معنى وعلى أكثر من مستوى، فيمكن أن يحمل على المستوى الإجرائي بمعنى التكامل في المناهج التعليمية بين العلوم الطبيعية والإنسانية، وبين العلوم الشرعية والفقهية والإسلامية. كما يمكن أن يحمل على المستوى التطبيقي (أسلوب التدريس) وذلك بمنى أن يتم تدريس العلوم الطبيعية والإنسانية الحديثة انطلاقا من النظرة الإسلامية إلى العالم وهنا يحمل مفهوم التكامل المعرفي درجة أكثر عمقا – وهو المعنى المعتمد في بحثنا هذا-.

كما يمكن أن يحمل هذا المفهوم على المستوى النظري بمعنى التكامل بين نظرتنا إلى العالم وبين العلم، وهذا التكامل يتطلب تحقيق "الاتساق" بين النظرة العربية الإسلامية إلى العالم وبين النظرة العلمية المعاصرة إلى العالم، ويمثل هذا المعنى أعلى درجات العمق في التكامل المعرفي[3].

وتلخيصا لما سبق يمكن القول أن التكامل المعرفي - استعارة لمعنى الفاروقي - تركيبة خلاقة بين الإسلام ومجالات المعرفة المتخصصة، وهذا عمليا يتطلب التعمق في معرفة الإسلام والإلمام الجيد بمدارسه الفكرية والفلسفية، كما يتطلب استيعاب الخبرة الإنسانية في ميادين المعرفة المختلفة وضمها لبنية الفكر الإسلامي، -في الميادين والمجالات العلمية المختلفة- على نحو سليم، يحافظ على مبادئ هذا الفكر وخصائصه التي تميزه عن غيره، وهذا كله يتطلب التفكير المنهجي والإبداعي الذي يتناسب

---

(١) إبراهيم محمد أحمد محمد أبو بكر، برنامج التكامل المعرفي الخطة العلمية (١) ٢٠٠٩- ٢٠١٢، جامعة الجزيرة معهد إسلام المعرفة، (إمام). ٢٠٠٩، ص:١٣.

(٢) فتحي حسن ملكاوي، المرجع السابق، ص:٤٨٩.

(٣) سمير أبو زيد، المرجع السابق، ص:٢٧٥.

والمتغيرات والتحديات الحضارية المتجددة التي على العالم المسلم التعامل معها[1].

٢- تعريف التعليم الجامعى:

يعد التعليم الجامعى فى أي مجتمع من المجتمعات المرآة التى تعكس التطورات الهائلة فى مختلف جوانب الحياة سواء أكانت عقلية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم ثقافية وتعليمية، إلى آخره من جوانب الحياة اليومية[2].

ويعرف التعليم الجامعى بأنه: "أعلى مرحلة فى التعليم وهو الجهود والبرامج التعليمية المتطورة التى تتم على مستوى الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز المرتبطة بها"[3].

ويعرف أيضا بأنه: "كل أنواع البرامج الدراسية المصممة للتكوين وللبحث، تقدم على مستوى ما بعد التعليم الثانوى فى مؤسسة جامعية أو مؤسسات تعليم أخرى معترف بها كمؤسسات تعليم عالى من طرف مؤسسات الدولة المؤهلة لذلك"[4].

والتعليم الجامعى بدأ فى الدول العربية منذ بداية الحضارة العربية الإسلامية فى شكل مساجد وجوامع، وقد كان هذا التعليم منصبا ومهتما بالعلوم الإسلامية؛ حيث يدرس القرآن الكريم وعلومه والمذاهب الفقهية فى الحديث وعلم الكلام... ولظروف تاريخية أصبح تعليما جدليا نظريا يدور فى حلقة مغلقة، وبعد ما اندلعت حروب التحرير والاستقلال ضد الاستعمار أدرك العرب مدى تخلفهم لذلك فإنه بعد انتهاء حروب التحرير ونال العرب استقلالهم كان التعليم أول الاستراتيجيات والخطط الوطنية المتبناة لبناء أوطانهم وإعادة أمجادها، ومن هنا ظهر القادة والمعلمون العرب الذين يدعون للأخذ بأساليب التعليم الحديث، وعلى هذا الأساس نشأت مؤسسات التعليم الجامعي في كل

---

(١) إبراهيم أبو بكر محمد أحد محمد، المرجع السابق. ص: ١٥.

(٢) فريوان عبد السلام مهنا، العولمة وأثرها على التعليم العالي، في: لجنة المؤتمر (محرر)، سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية "نحو بناء مجتمع معرفي" – ٢٤-٢٧- فبراير ٢٠٠٨، الجزء الثاني، الظهران، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ص:٧٨٣.

(٣) فريوان عبد السلام مهنا، المرجع السابق، ص:٧٨٧.

(٤) عبد الحميد عبدوني، التعليم العالي في العالم العربي واقعه وآفاقه، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، الجزائر، جامعة سطيف، (عدد ٠١)، ٢٠٠٤، ص:١٩٣.

بلدان العالم العربي تقريبا[1].

٣- تعريف الوسطية:

أ- تعريف الوسطية في اللغة:

الوسط: بفتح السين: اسم لما بين طرفي الشيء، ومنه قولك: قبضت وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح، ومنه المثل: يرتعي وسطًا ويربض حجره، أي ترتعي أوسط المراعي وخياره ما دام القوم في خير، فإذا أصابهم شر اعتزلهم، وربض حجرة إي ناحية منعزلا عنهم. ووسط الشيء: أفضله وأعدله. وأما الوسط بسكون السين، فهو: ظرف لا اسم، تقول: جلست وسط القوم، أي بينهم[2].

وقيل: الوسط بالسكون: يقال فيما كان متفرق الأجزاء غير متصل، كالناس والدواب وغير ذلك. والوسط بالتحريك: يقال فيما كان متصل الأجزاء كالدار والرأس، ونحو ذلك. وقيل: كان ما يصلح فيه بين فهو بالسكون، وما لا يصلح فيه بين فهو بالفتح. وقيل: كل منهما يقع موقع الآخر، قال ابن الأثير: وكأنه الأشبه[3].

ب- تعريف الوسطية في الشرع:

قال الحافظ ابن حجر: قال الطبري: الوسط في كلام العرب: الخيار، يقولون: فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه، قال: والذي أرى أن معنى الوسط في الآية "وكذلكم جعلناكم أمة وسطًا": الجزء الذي بين الطرفين، والمعنى: أنهم وسط لتوسطهم في الدين فلم يغلوا كغلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال، قال الحافظ لا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية، والله أعلم[4].

---

(١) عبد الحميد عبدوني، المرجع السابق، ص:١٩٤.

(٢) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.(بدون ستة)، ص:٧/ ٤٢٧، مادة وسط. ومحمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص:٧٢٠.

(٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، المرجع السابق، ص: ٧/ ٤٢٩، مادة وسط.

(٤) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م، ص: ٨/ ٢٢.

أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله - ﷺ - (يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بّلغت: فيقول: نعم يا رب، فُتسأل أمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير، فيقول: من شهودك؟ فيقول: محمد وأمته، فيجاء بكم فتشهدون، ثم قرأ رسول الله - ﷺ -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ . قال: عدلا)[1].

والوسطية في العرف الشائع تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تهاون، ولا تقصير، ولا تساهل أو تفريط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة[2].

قال سيد قطب في تفسيره للآية[3]: إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعًا، فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمد. وإنها الأمة الوسط بكل معاني الوسط، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي فهي:

﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في التصور والاعتقاد: لا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الارتكاس المادي، إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد تتلبس به روح، وتعطي لهذا الكيان المزدوج حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق

---

(١) محمد الرعود، منهج الوسطية في الإسلام / فكر أصيل وفلسفة عملية من خلال السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٠٠، ص ص: ٣٦٠-٣٦١.

(٢) وهبة الزحيلي، إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٤٨١، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٥، ص ص: ٩-١٠.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٧، ١٣٩١هـ/ ١٩٨١، ص ص: ١/ ١٨٠-١٨٢.

وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.

و﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في التفكير والشعور: لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة، ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، وشعارها الدائم: (الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها) في تثبت ويقين.

و﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في التنظيم والتنسيق: لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوء السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحي الوجدان، ولكن مزاج من هذا وذاك.

و﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في الارتباطات والعلاقات: لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فردًا جشعًا لا هم له إلا ذاته، إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه، ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادمًا للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.

و﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في المكان: في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها، وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعًا، وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

و﴿ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ في الزمان: تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها، وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى، وتزاوج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات ورصيدها العقلي المستمر في النماء، وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك.

هذه الجوانب الشمولية في معنى الوسط الذي حاول سيد قطب الإحاطة بها من خلال ما فصل، إلا أنه لم يذكر جانب الوسطية المهم بمعنى :العدل والخيار من خلال ما ذكر، الله إلا أنه أشار إلى ذلك في مقدمة كلامه قبل البدء بالتفصيل[1].

ثانياً: متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتعزيز الوسطية لدى الطلاب من خلاله:

التكامل المعرفي بالفهم والتعريف المتضمنين في ما سبق ذكره يعبر عن اتجاه فكري معاصر يسعى لتفهم حقائق العلم وقضاياه تأسيسا على المرجعية الإسلامية العليا متمثلة في الوحي القرآني والسيرة النبوية وهو اتجاه لا يأبه بالمسلمات التقليدية التي كرستها دعاوي الفصل بين الحقائق العلمية والحقيقة الدينية. وهو بهذا المعنى لا يهدر تاريخ العلم ولا يلغي التخصص في مجال من مجالاته أو في مبحث من مباحثه الدقيقة، بل إن معرفة تاريخ العلم وقضاياه ومباحثه تعد في رأس مطلوبات عملية التكامل المعرفي تماما، مثلما أن تدبر القرآن الكريم والإطلاع المعمق على معارف الوحي والوعي بالرؤية الإسلامية ومقاصد الإسلام الكلية تعد مطلبا أساسيا يلزم من أراد أن يسهم في مشروع التكامل المعرفي أن يلم بها[2]. فهو اتجاه وسطي بحت يجسد مفهوم الوسطية وينفي التطرف بأشكاله المتعددة.

وهذا ما يجعلنا بحاجة ماسة إلى فلسفة دينية متقدمة عن مفهوم الإنسان، فلسفة تؤصل لمعاني الوحدة والانسجام والتكامل، فلسفة تجعل مجتمعها البديل مجتمعا مفتوحا" يأتي على أنقاض تلك المجتمعات المغلقة" سواء كان انغلاقها آتيا من اعتقادها أنها تمثل" شعب الله المختار" وأن عزلة هذا الشعب عن باقي الإنسانية خيار وقدر لا مفر منه، أو كانت تلك العزلة ناجمة عن تبني تصورات ومواقف تجعل من "الرهبنة" آخر الحيل للهروب من العالم والنجاة من التعامل معه والتكامل مع باقي عناصره. لهذا نؤكد أهمية وجود رؤية فلسفية حول مفهوم الإنسان ومنزلته في الوجود في أية منظومة دينية أو فكرية، اعتبارا لما يترتب عن تلك الفلسفة من نتائج لا تمس حياة الإنسان المادية فحسب

(١) محمد الرعود، المرجع السابق، ص: ٣٦٣.

(٢) إبراهيم أبو بكر محمد أحد محمد، المرجع السابق، ص: ١٤.

وإنما تشمل تلك الفلسفة بتأثيرها حتى حياته الفكرية وإنتاجه المعرفي[1].

ووحدة مجالات المعرفة تستلزم على القائمين على عملية التكامل المعرفي في التعليم استقاء معرفتهم من مجالين متصلين لا انفصال بينهما هما: العقل والروح، فالفعل له وسائل محدودة يستخدمها للوصول للمعرفة والتي يستعين فيها بالحواس في الملاحظة والإدراك والتخيل والتفكير والاستدلال، هذه المعرفة التي تصل إلينا من خلال تلك العمليات العقلية ليست معصومة من الخطأ، كما أنها غير كاملة، ولا يقينية أو مطلقة، ذلك لأن قدرة العقل الإنساني على تحصيل تلك المعرفة محدودة كما أن العقل قد يتعرض لخداع الحواس، والخطأ في التفكير، وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2].

ولذلك بعث الله عز وجل الرسل والأنبياء عليهم السلام ليبلغوا الناس رسالته ويرشدونهم إلى ما تقع فيه حواسهم من أخطاء وينبهونهم إلى أن تكامل المعرفة لا يحدث إلا بإتقان العقل أدواته ووسائله الحسية المعروفة بالوحي الموحى به إلى الأنبياء والمرسلين، الذي يبلغوا به الناس[3].

والقول بوحدة مجالات المعرفة يستتبع الانطلاق من"رؤية معرفية" تقر بوجود درجة من التشاكل والتناغم والانسجام بين مختلف عناصر الوجود ومكوناته، وتقول بوجود "ديمومة" تسمح بإدراك الخيوط الناظمة، ليس فحسب بين تلك العناصر الخارجية المادية للوجود، بل لابد من الوصل بين هذه العناصر وبين مختلف درجات الوعي الإنساني وخاصة إنتاجاته الفكرية والعلمية، مما يفترض القول بوجود تكامل بين مكونات هذه الأخيرة في ما بينها فضلا عن تكاملها مع باقي عناصر الوجود[4].

---

(١) عبد المجيد الصغير، إشكالية مفهوم التكامل المعرفي في الإسلام :بنيتها وتجلياتها، كلية الآداب الرباط، (بدون تاريخ)، ص: ٨، الموقع (www.darhadit.ac.ma/_seminaire/_.../Sem09_1_DrSeaire.pdf).

(٢) القران الكريم، سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) جميلة عبد الله حسن السقا، التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أطروحة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠١. ص: ٨٩. الموقع (majles.alukah.net/showthread.php?p=305218).

(٤) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص ص: ١-٢.

ولعل عبد الرحمن بن خلدون يمثل نموذجا لأولئك الذين كانوا يمتلكون رؤية فلسفية للوجود تمكنهم من تفسير مظاهره المادية وتقويم إنتاجات الإنسان المعرفية؛ بحيث نجده يقف طويلا موضحا تطور العلوم ومبينا تصنيفه لأنواعها الكبرى ومؤكدا تداخل مجالاتها وتكامل قضاياها، وذلك انطلاقا من رؤية فلسفية أوضحها منذ الصفحات الأولى من مقدمته تقوم على أساس ملاحظة تلك "المشاكلة" أو ذلك "التناسب" العام الذي يعم الأكوان ويشمل كائناتها[1].

وإذا كان ابن خلدون يرى بأن إنسانية الإنسان تتحقق بقدر إدراكه لذلك التناسب الكوني وبقدر إحاطته بأسبابه الواصلة بين عناصره، وذلك انطلاقا من"العقل التمييزي" الفاصل بينه وبين عالم الحيوان، ووصولا إلى "العقل التجريبي" العملي المتمثل في القدرة على توظيف التراكم المعرفي الإنساني، بقصد التكيف والتطور، وانتهاء بالعقل النظري القائم على التركيب والابتكار والتجديد والتنظيم، وإذا كان هذا التواصل بين العقل التمييزي والتجريبي والنظري يعتبر عاملا مساعدا لتكامل المعارف وتواصلها فإن هذا التكامل والتظافر يظل مشروطا بالوقوف عند حدود قدرات الإنسان العقلية ولا يبرر مطلقا الخلط بين المناهج المعرفية المتاحة للإنسان والمناسبة لقدراته العقلية وبين غيرها من المعارف غير الطبيعية للإنسان[2].

وعلى هذا الأساس فإنه لتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي لابد من الانطلاق من زاوية شمولية في النظرة للكائن المستهدف بالتكوين المعرفي؛ بحيث يصير التخصص في مجال معين لا يعني انعدام التكوين في مجالات أخرى أقرب إلى ذلك المجال المتخصص؛ إذ لا شك أن هناك تقاطعا جوهريا بين الطب وعلم الاجتماع الطبي والانثربولوجيا الطبية، وعلم النفس..، وأيضا هناك تقاطع كبير بين تدبير الموارد البشرية وعلم السياسية أو علم الاجتماع..[3]. بل لابد أن يتعدى ذلك إلى الإيمان بأن المعرفة العقلية التي لا ترتبط بالوحي تماما تعتبر أقل شأنا

(١) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، طك٣، ١٩٦٧، ص: ١٦.

(٢) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص: ١-٢.

(٣) عز الدين العزماني، المرجع السابق.

من المعرفة التي استنبطت بالاعتماد على الوحي والعقل معا، مما يؤكد الصلة بين الوحي والعقل وهذا ما يقره ابن رشد بكل وضوح في كتابه "فصل المقال"؛ حيث يقول: "وإذا كانت هذه الشريعة حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإن معشر المسلمين تعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له"[1]. ويقول أيضا: "وكل شريعة كانت بالوحي فالعقل يخاطبها"[2]. وهذا ما يدل على أن ابن رشد في الحقيقة لم يفصل بين العقل والوحي ومن ثمة عدم الفصل بين الفلسفة والشريعة وهو ما يجدر علينا أن نتبناه تجسيدا لمشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي من أجل تحقيق وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب[3].

وتفعيلا لذلك لابد أيضا من الاطلاع والتعرف على إسهامات العلماء المسلمين في الدراسات والبحوث العلمية؛ فمما لا شك فيه أن للعلماء المسلمين تراث حضاري غني وعريق يعكس ازدهار أمتنا في تلك الفترة الزمنية، ويؤكد على منعتها وعزتها، وهذا لم يتحقق إلا بعطاء عقولهم وإبداع عقلانيتهم المتبعة للوسطية منهجا، واتخاذهم من ثوابت الشريعة الإسلامية، وسنة الرسول – ﷺ – منارا ومرشدا[4].

ومراعاة التكامل بين كل عناصر حياة الإنسان، تحقيقا للتوازن بين متطلبات المادة وتطلعات الروح، وفي هذا السياق يشير فريدرج نيتشه إلى أن ازدهار الحضارة الإسلامية بالأندلس راجع بالأساس إلى قيامها على فلسفة دينية كانت تقول "نعم للحياة الجديرة بالإنسان، دون أن تدير ظهرها إليها أو تخاصمها"[5]. وتلك أسمى أوجه معاني الوسطية في الإسلام التي من شأن التكامل المعرفي في التعليم الجامعي تحقيقها وتعزيزها لدى الطلاب.

---

(١) ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشرح للمشرف على المشروع: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط: ١، نوفمبر، ١٩٩٧، ص: ٩٦.

(٢) ابن رشد، تهافت التهافت، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشرح للمشرف على المشروع: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، آب/ أغسطس، ١٩٩٨، ص: ٢٥٦.

(٣) السعيد عواشرية، المرجع السابق، ص: ٥٩.

(٤) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق، ص: ٩٣.

(٥) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص: ٦.

واسترجاعا للازدهار الحضاري الذي شهده العالم الإسلامي آنذاك بالأندلس والذي يتلخص أساس قيامه في تجسيد مشروع التكامل المعرفي لابد من إحياء مهمة تصحيح المفاهيم وتطهير ما التصق بها، خاصة بمفهوم الدين والتدين في التراث الديني السابق من معاني التشدد والتعنت والتزمت والتعسير، والعمل على إلغاء فكرة أن "الدين أفيون الشعوب" كما يزعم البعض، وذلك من خلال التعريف بالتوسيع الذي أدخله الإسلام على مفهوم الدين ليصبح يمثل اتساع الحضارة، أو قل في مثل اتساع العمل الذي هو أساس كل حضارة؛ بحيث اتسع مفهوم العبادة التي هي أخص خصائص التدين لتصبح دلالته في مثل اتساع مطلق العمل النافع الإنساني، ولا شك أن هذه الرؤية لمفهوم الإنسان ولدلالات الدين والتدين والعبادة تقتضي في ظل فلسفة الإسلام استصحاب مفهوم الوسطية وما تتضمنه من القول بالتكامل بين عناصر الوجود المادية والمعنوية[1].

والشيء الملفت للانتباه هو أنه على الرغم من أن علماء العالم الإسلامي آنذاك قد تأثروا بالفكر اليوناني إلا أنهم أضافوا إلى دراساتهم آرائهم الخاصة بهم بموضوعات كثيرة، فأثرت محاولاتهم في الدراسات والعلوم المختلفة في التوفيق بين الفكر الفلسفي اليوناني ومبادئ الدين الحنيف[2].مبتعدين عن التقليد الأعمى وما شبه ذلك عاملين بنصيحة الإمام الغزالي لقارئه مؤكدا له: "فجانب الالتفات إلى المذاهب، واطلب الحق بطريق النظر، لتكون صاحب مذهب، ولا تكون في صورة أعمى تقلد قائدا يرشدك إلى طريق، وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك: بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل، وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك، فلا خلاص إلا في الاستقلال، خذ ما تراه، ودع شيئا سمعت به في طالع الشمس ما يغنيك عن زحل، ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب فناهيك به نفعا، إذ الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال"[3].

(١) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص: ٨.

(٢) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق، ص: ٩٤.

(٣) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص: ٧.

وإذا كنا ندعو إلى الاطلاع على إسهامات العلماء المسلمين في التراث الحضاري فإن ذلك ليس من أجل التوقف عند ذلك الحد وترديد شعاراته وتمجيد ما حققه فحسب، وإنما للاستفادة منه في محاولة وضع نموذج متكامل للمعرفة كل في مجال تخصصه.

وإذا كان من الأجدر على القائمين على تجسيد مشروع التكامل المعرفي والساعين لتحقيق الوسطية من خلال ذلك الاطلاع على ذلك،، فإنه من الواجب عليهم تحديد أسس ومبادئ العلوم الغربية بهدف القيام بعملية التحليل النقدي لها[1].

ويتطلب ذلك التدقيق والتفكير للوصول إلى المعلومات والرسوخ في العلم، وحب النظر والتأمل، والبعد عن الهوى، و... وإعادة قراءة الفكرة التي لم تختمر في الذهن، للتمكن من تحليليها وإعادة تركيبها واستنتاج ما يمكن استنتاجه منها، وتحويل الفكرة أو العمل أو الرؤية أو الوجهة إلى تطبيق إسلامي[2].كما يتطلب ذلك تبني كل من الحوار والتفكير العلمي المنهج. والمطلوب في هذا الحوار أن يشمل كلا طرفي التطرف، وأهم قاعدة يتأسس عليها الحوار الناجح مع المتطرف تكون بضبط المكونات الضرورية في معادلة نظرية المعرفة وهي: (الدين – العلم – الفلسفة) حتى يتشكل نسق معرفي متكامل يسع الجميع[3].

وفي هذا السياق يقول عبد الرحمان النقيب: "إذا كان النظر الفلسفي ضروريا لوجود العلم، فإن الدين الصحيح هو الذي يعصم كلا من الفلسفة والعلم من أي انحراف، فهو يعصم الفلسفة من أن تكون تهويمات عقلية دون عاصم من شك أو ضلال كما حدث بالفعل في تاريخ الفلسفة عندما تحول التفلسف إلى شك وجحود وإنكار أو تبرير للظلم والطغيان، كما أنه يحول دون أن ينفلت العلم ويصبح أداة من أدوات التدمير والعدوان، فتآزر الدين والعلم والفلسفة هو سبيل الإنسان لتشييد حضارته التي تقوم علة تكامل

---

(١) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق. ص: ٣٤٩.

(٢) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق. ص ص: ٩٨-١٠٣.

(٣) جمال أقاسم، التعليم الحواري الممنهج. فاق وأبعاد في مواجهة العشوائية والانحراف الفكري داخل المجتمع، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزئر، عدد خاص بالملتقى الدولي السابع، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤، ص ص: ٢٠٦-٢٠٧.

المعرفة الدينية والعلمية والفلسفية، بل يمكن القول إن الدين بدون فلسفة وعلم دين سطحي، والعلم بدون فلسفة ودين علم زائف، والفلسفة بدون علم ودين فلسفة فجة غير ناضجة"[1].

غير أن التكامل بين هذه الميادين لا يفرض اتحادها في مناهج الوصول إلى المعرفة ولا عدم وجود مجالات معرفية مميزة لكل منها، إذ يبقى اعتماد الفلسفة الأكبر على العقل والتحليل العقلي، واعتماد الدين على النص، واعتماد العلم على الحس والتجريب، ولا مانع من أن يستفيد كل مجال من هذه المجالات الثلاثة من معطيات المجالين الآخرين، وبذلك يستقيم للإنسان إدراكه الديني والفلسفي والعلمي دون صراع وانحراف يدفع ثمنهما الإنسان وحضارته.

ولتحقيق الحوار العلمي لابد من إشاعة وتلقين جملة من أدبيات المنهجية في التفكير ومن أهم هذه الأدبيات[2]:

- **الموضوعية**: وهي صفة تقتضي تحليل الأمور تحليلا منطقيا بعيدا عن الميول والنزعات الشخصية العاطفية، ودون غلو أو تعصب. فالموضوعية في البحث تجنب الباحث الشطط والزلل، وهي أمر عريق في تراثنا، فقد اشترط العلماء المسلمون العدل في المحدث، والمؤرخ والراوي والقاضي والشاهد والحاكم وغيرهم.
- **الإنصاف**: ومعناه التجرد من الهوى والحكم على الأشياء بمقتضى الحقيقة دون تعصب. واحترام رأي الآخر حتى وإن اختلف معنا في رأيه، والاعتراف له بالصواب إن أصابه، وبيان الخطأ ومجانبة الصواب إن تبين، حتى وإن كان في حق من عهدنا منه الصواب أو جمعتنا به الوجهة أو المذهب. وهذا المبدأ عريق عند اليونان وعند المسلمين، أما عند اليونان فيشير إليه قول أرسطو: "تخاصم الحق وأفلاطون، وكلاهما صديق لدي، والحق أصدق منه".

وأما عند علماء المسلمين فيقول في ذلك الإمام أبو حامد الغزالي: "العارف العاقل

(١) عبد الرحمن النقيب، منهجية البحث في التربية (رؤية إسلامية)، دار الفكر العربي، ط:١، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ١٣١.

(٢) جمال أقاسم، المرجع السابق، ص: ٢٠٨.

يعرف الحق، ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقا قبله، سواء كان قائله مبطلا أو محقا، بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالما بأن معدن الذهب الرغام"

- **سعة الإطلاع**: وتعني توسيع القراءة في موضوع البحث وما حوله واتساعه حتى يستفيد الباحث من مختلف التخصصات وخصوصا في هذا العصر الذي تتقاطع فيه العلوم وتتقارب حتى أضحينا نشاهد عيانا بعض مظاهر ما يسمى "بوحدة العلوم".

فالإطلاع الواسع شرط في الاستيعاب والعمق في التفكير، ذلك أن التصدي للأفكار والنظريات الواردة في أي اختصاص من اختصاصات المعرفة الإنسانية يتطلب هذا الإطلاع الواسع، وكلما زاد اطلاع الطالب الجامعي قل إنكاره وخطؤه في تقييم الحقائق والحكم عليها، وكلما زاد عكوفه على اكتشاف المزيد من جوانب النقص والجهل في علمه وثقافته زاد انغلاقه وتطرفه في الفكر والسلوك.

إن التعليم الجامعي في ظل مسعى تعزيز مبدأ الوسطية من خلال تجسيد فكرة التكامل المعرفي عليه أن يوضح للطلبة أن الخرجين الذين سيعملون في المهن المختلفة في العقود التي أمامهم لن تكفيهم وفرة المعلومات، فقد أصبح الحصول على المعلومات ميسرا وسوف يصبح أكثر يسرا مع تزايد اتجاهات عولمة التعليم العالي، إننا نغرق في المعلومات ونموت جوعا إلى الحكمة، وعندها سنكون بحاجة إلى نوع آخر من المهارة والكفاءة المطلوبة في الوقت المطلوب، والتفكير النقدي فيها، ووزن البدائل المحتملة بميزان العقل والشرع معا وعمل الاختيارات الحكيمة[1].

ثالثاً: معوقات تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي:

إن علوم الكون وحدها لا تصنع الحضارة المنشودة لأن الحضارة الحقيقية لا تهمل الإنسان كإنسان، من حيث قيمه وخصائصه، والتي لابد للجانب الديني القيمي أن يضع معالمها بوضوح، وعلى هذا الأساس فإنه إذا اقتصر التقدم العلمي على وسائل الإنسان وأشيائه المادية فقط فلا يخرج عن كونه تقدما مدنيا، ولا يمكن تسميته حضارة، وهذا هو

(١) فتحي حسن ملكاوي، المرجع السابق. ص: ٤٩٦.

الحاصل اليوم في المدنية الحديثة حيث تتقدم أشياء الإنسان على حساب ذاتيته وقيمه، وهو ما ينافي مفهوم الوسطية، لأن التقدم أهمل إنسانية الإنسان بخصائصه وأشواقه من دائرة اهتمامه، وما أهداف زيادة الإنتاج التي دفعت تقسيم العمل والاصطفاء المسلكي وهندسة الأداء وحذف الحركات غير المجدية في عملية الإنتاج إلا لونا من إلغاء إنسانية الإنسان، وتحويله إلى آلة صماء ينظر إليها من خلال ما تقدمه من إنتاج، ومن الغباء رؤية التقدم في الجانب المادي للعلم والمعرفة والتقنية فقط، كما أنه من الغباء أيضا عدم رؤية الإصابات التي لحقت بهذا التقدم، لأنه اقتصر على وسائل الإنسان وخسر الإنسان نفسه[1].

وكما هو معلوم فإن الكثير من دول العالم الإسلامي قد تعرضت للاستعمار وكان من بين ما أفرزته السياسات الاستعمارية لهذه الدول في المجال الثقافي هو تشعيب نظام التعليم في هذه الدول إلى شعبتين: تعليم مدني وآخر ديني، هذا النظام الذي لم يكن معروفا في البلاد الإسلامية قديما في عصور ازدهارها لأنه في حقيقة الأمر هو إفراز من إفرازات الاستعمار الذي لم يخرج من الدول الإسلامية المستعمرة إلا بعد إضعاف روح الإسلام فيها وإنهاكها ماديا ومعنويا، مع تفتيت وحدتها والتأثير على مناهجها التعليمية. ففقدت بعض المجتمعات الإسلامية هويتها، واتجهت نحو ما يسمى بالتعليم المدني مزودا بقدر يسير من مبادئ الإسلام، لذا فإن المتمدرس في مثل هذا النظام يجد نفسه ضعيفا أمام تيار المبادئ والأفكار والنظريات الواردة من الغرب القوي بوسائله وأدواته وإعلامه، ومناهجه، وتقنياته المتفوقة، الأمر الذي يولد لديه الرغبة في الاتجاه نحو تقليد الأقوى[2].

وفعلا لقد كان لثنائية التعليم الجامعي في البلاد الإسلامية آثار مدمرة على مختلف المستويات الفكرية والدينية والاجتماعية، فقد أدى إلى انفصال عميق في عقل المسلم تجاه المشكلات الخطيرة التي تعيشها المجتمعات الإسلامية على ضوء التقدم الحضاري الهائل

---

(١) عبد الله سيدي محمد الطارقي، العلوم الأدبية والتطبيقية والدور الحضاري المنشود في: لجنة المؤتمر (محرر)، سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية "نحو بناء مجتمع معرفي" – ٢٤-٢٧- فبراير ٢٠٠٨، الجزء الأول، الظهران، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ٢٠٠٨، ص: ٥٠٧.

(٢) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق. ص ص: ١٢-١٣.

في المعرفة وتنوع مصادرها ووسائل الاتصال وحرية الوصول إليها والتقنيات المستخدمة في ذلك، ومن أهم هذه الآثار تشجيع فئة من الناس على الخروج عن الالتزام بالدين والأطر المرجعية الاجتماعية الأخلاقية والقيمية قولا وسلوكا تحت عنوان التنوير وحرية الاعتقاد والتعبير، فظهرت في المجتمعات الإسلامية أفكار ودعوات انحرفت عن الجادة كالعلمانية والشيوعية والنفعية والوجودية، وكلها أفكار ودعوات بعيدة كل البعد عن مفهوم الوسطية.

كما أدى ذلك إلى الازدواجية وتعدد في الولاء، فمن الناس من جعل الولاء للدولة على حساب الدين، ومنهم من رأى الدين أصلا للولاء وأساسا؛ فمن وافقه في دينه – وإن بعد مقامه– هو أحق بالولاء والنصرة ممن وافقه في الجنسية والهوية وجاوزه في السكن أو شاركه في النسب، لكنه يخالفه في الدين، ومن الناس من اعتمد القومية أساسا للولاء، كالقومية العربية والقومية الفارسية، أو الجنسية للولاء كالجزائرية والأردنية والسعودية والكويتية وهكذا، مما أدى إلى مزيد من التمزق والتشرذم والتطرف، وبذلك بعد أن كان المسلمون أمة واحدة، وخير أمة أخرجت للناس صاروا أمما ودولا، وصار أبنا الدولة الواحدة مقاطعات ومحافظات، وقبائي وعشائر.

كما نتج عن ذلك اختلاف في الفكر؛ بحيث انقسم الناس إلى مجموعات يعلي كل منهما شأن شيء ويراه أساسا وضابطا لفكره وسلوكه، فالعقلانيون مثلا، يخضعون كل شيء للعقل فما وافقه رضوا به وأقروه، وما خالفه أعرضوا عنه وردوه، ولم يتورعوا عن رد النصوص الشرعية بدعوى عدم موافقتها لعقولهم ومناهجهم في البحث والنظر. والأصوليون يعتمدون مراجع وأطرا دينية أو اجتماعية ضابطة لسلوكهم وتصرفاتهم، فما وافقها قبلوا به ورضوه، وما خالفها ردوه، والعلمانيون لهم منهجهم الفكري ومعايير وضوابط خاصة لقبول السلوك أو الرد وهكذا.

ولا ننسى ما انعكس نتيجة لذلك على شخصية الطالب من انفصام فيها؛ فالمتخرج من الجامعة يحتاج إلى بذل جهد كبير ليتكيف مع مجتمع الجامعة، فإذا خرج إلى سوق العمل شعر بغربة عنه واحتاج إلى نوع جديد من التكيف؛ فهو يعجز عن توظيف المعرفة التي تعلمها والخبرة الاجتماعية أو الإنسانية التي اكتسبها مع تغير مواقعه الوظيفية أو

الجغرافية، ولقد ذهب على ألسنة العام والخاص القول القائل: "وجدت في بلاد الغرب إسلاما بلا مسلمين، ووجدت في بلاد المسلمين مسلمين بلا إسلام"[1].

لذلك نجد أن التعليم الجامعي في كثير من الدول الإسلامية يعيش أزمة وشرخا كبيرا بين الهوية الحضارية والانتماء، وبين مسايرة الركب العلمي الذي وصلت إليه الجامعات في الغرب وحتى في دول أسيا، والطالب الجامعي بطبعه ابن بيئته من جهة وابن جامعته من جهة ثانية، فهو يتلقى في مختلف التخصصات نظريات مستوردة وأفكار متطرفة تهدد هويته الحضارية وشخصيته القاعدية الفطرية، فهو بين نظريات "فرويد" في علم النفس، ونظريات "ماركس" و"إنجلز" وغيرها في الاقتصاد، ونظريات "ماكس فيبر" و"دوركايم" في علم الاجتماع، وبين الفلسفات الغربية والمدارس الغربية في الفلسفة، وبين الحتمية التاريخية في التاريخ...، وطالب اللغات الأجنبية ممزق بين هويته والحضارة التي يدرسها عبر الأدب الفرنسي أو الانجليزي أو غيره، وطالب الطب والهندسة لا يتلقى لا مناهج ولا علوما لسلفه فهو يعرف الغرب ولا يعرف شيئا عن تاريخ الطب في بلده أو حضارته، وطالب علوم الشريعة إما يتلقى قناعات شخصية لا دروس علمية، وإما معلومات تراكمية من غير استخدام لآليات التفكير والنقد والمنهجية العلمية، وإما فقه من غير حديث، أو حديث من غير أصول أو تصوف من غير ضوابط العقائد والمقاصد[2].

ومع أن الأمة العربية والإسلامية خطت خطوات كبيرة نحو النهضة، وذلك لإبان

---

(١) ناصر أحمد الخوالدة، ثنائية التعليم الجامعي وآثاره في لبلاد الإسلامية، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) بالاشتراك مع جامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد في جامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص ص: ٧٠١-٧٠٣.

(٢) حسين عقيلة، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري – مقاربة تأصلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها-، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان، في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج٢، ص ص: ٣٨٩-٣٩٠.

تخلص معظم دولها من سيطرة الاستعمار، وقد ظن جمهور غفير من المواطنين بأن المعركة انتهت عند هذا الحد، وبذلك اكتفت الأمة الإسلامية بترديد شعارات قومية، وغاب عنها أنها في حقيقة الأمر لم تخرج من معركة السلاح إلا وقد دخلت معركة أخرى مفروضة عليها بأساليب خفية تريد مسخ مقومات هويتها الثقافية، وهي اخطر من سابقاتها، إنها معركة المناهج الفكرية والثقافية التي ترسبت إلى تراثها الفكري ومناهجها التدريسية. وقد تجند للقيام بهذه المهمة نخبة من الباحثين الغربيين لدراسة ثقافتنا العربية والإسلامية، والغرض من هذا كله هو تطويع المناهج التعليمية وتحويرها لخدمة أغراض ومآرب شخصية. ومن هنا يتضح أن الأزمة العميقة التي يتخبط فيها التعليم الجامعي في الدول العربية والإسلامية تكمن في مناهج التعليم، وأن الاستعمار قد خرج من أراضيها صاغرا ولكن بقيت استراتيجياته التعليمية تنخر في قيمها الثقافية[1].

والأدهى من ذلك والذي يؤسف له بروز صيحات ترحيبية في الوطن العربي لتطبيق المناهج الغربية بحذافيرها في جامعاتنا، فنجد لويس عوض يلح على تشكيل لجنة أو لجانا على مستوى من الخبرة لدراسة مناهج التعليم في البلدان المتقدمة ومراجعة مناهجنا على غرارها، معتبرا ذلك بأنه هو الطريق الحقيقي للعصرنة، ولذلك لابد أن نحذو حذوهم في العلوم الاجتماعية كذلك كما وكيفا مع التركيز الخاص على جغرافيا بلادنا وتاريخها دون مبالغة في عبادة السلف[2]. وقد تعدى الأمر به إلى اتهام تراثنا بالسذاجة والتصور ومن ثمة ينبغي طرحه جانبا، وينبغي علينا الارتماء في أحضان المناهج الغربية فهي طريق النجاة؛ حيث يقول: "فهل يحق لنا أن نأمل في بناء دولة عصرية إذا كان أبناؤنا يقتاتون على هذا الغذاء العقلي من سذجات المعرفة وخزعبلات العقائد؟ أليس أجدر بنا أن نسير في الطريق الذي تسير فيه الدول العصرية فنعيد صياغة مناهجنا وبرامجنا وقراراتنا على غرار ما يدور في المدارس الغربية"[3].

---

(١) عبد القادر بخوش، نحو توحيد المناهج التعليمية في الجامعات العربية والإفريقية، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، العدد: ٠١، فعاليات الملتقى الدولي أيام ٢٨، ٢٩ و٣٠ أفريل ٢٠٠١: "إشكالية التكوين والتعليم في إفريقيا والعالم العربي" جامعة سطيف الجزائر، ٢٠٠٤، ص: ١٣٢.

(٢) لويس عوض، ثقافتنا في مفترق الطرق، ط: ٢، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣، ص: ٣٦.

(٣) لويس عوض، المرجع السابق. ص:٧٧.

فأي مجال لتحقيق التكامل المعرفي في ظل مثل هذه الصيحات والاتهامات للتراث الإسلامي؟ وأي مجال لتعزيز وتحقيق مبدأ الوسطية لدى المتعلمين؟

ونتيجة الافتتان بالحضارة الغربية بدأت الترجمة للكتب المقروءة بلغة الدراسة التي تمت في الدول الغربية ترجمة حرفية بأمثلتها وحالاتها الشخصية وبيئاتها وأدواتها هذا بالإضافة إلى أن بعض هذه المؤلفات تصدر غالبيتها عن علماء يهود فكرا وتوجها، فينعكس ذلك في كتاباتهم، وتبدو سمومهم في مؤلفاتهم المنافية للإسلام في نظرياتهم[1]؛ حيث أن كل ذلك كتب بلغة غريبة عن العالم الإسلامي لأنها وضعت للتعامل مع وقائع تختلف تماما عن تلك التي تسوده، ثم إن اللغة نتاج البيئة الطبيعية والثقافية، محاولة للتعبير عنها وتكوين مواقف منها؛ وحيث تستخدم هذه اللغة لتتماشى مع وقائع طبيعية واجتماعية مختلفة فإنها لم تفلح إلا في تكوين صورة مبهمة عن الوقائع الجديدة، ذلك أن اللغة في الأساس حامل معنى، والمعنى الذي تشحن به أول الأمر هو ذلك الذي تستمده من البيئة التي نشأت فيها، وحين يطلب من اللغة ذاتها التعبير عن وقائع مختلفة فإن ذلك يعني توسيع دلالة العبارة لتحمل معنى جديدا، يزاحم المعنى الذي صاحب العبارة عند صيغتها الأولية، ولا يمكن للعبارة أن تؤدي هذا المعنى الجديد لأنها قد دلت على معنى مختلف تماما ولا يترك مجالا للمعنى الجديد.

فاللغة هنا تؤدي وظيفتها بشكل طبيعي، أما حين يستخدم المتعلم في العالم الإسلامي جملة عن إحساس ما فإن الالتباس - لابد- حاصل في هذه الحال، فمع أن منطوق العبارة واحد، فإن ما صدقها يختلف حسب البيئة التي تستخدم فيها، هنا يتنازع العبارة معنيان؛ معنى أصلي وآخر مرادف، وتظل العبارة عاجزة عن أداء المعنى المرادف، وهذا يؤثر على العبارة ذاتها[2].

---

(١) جميلة عبد الله حسن السقا، المرجع السابق. ص ص: ١١-١٢.

(٢) محمد إسحاق سعد، صراع الأنتلجنسيا في إفريقيا، ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، المنعقدة في: ١٩ -٢٢ الصيف، ٢٠٠٤، بمدينة سبها، الجماهيرية العظمى، الجزء الأول، إعداد اللجنة العلمية لفرع المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا. الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ص: ٢٢٥-٢٢٦.

وإذا كانت اللغة والترجمة تعتبر من إشكالات التكامل المعرفي وتعزيز الوسطية لدى الطلاب فإن لتصنيف العلوم الذي عرفته البشرية منذ أفلاطون إلى اليوم يعد إشارة ضمنية لنفي فكرة التكامل المعرفي وتمهيد للتطرف والوقوف عائق أمام التكامل المعرفي ومبدأ الوسطية خاصة لما نجد أن بعض التصنيفات تهمل بعض العلوم، والتي قد تعد من أهمها. وتجدر الإشارة هنا أن "أي تصنيف للعلوم أو المعارف ليس مجرد عملية ترتيب عشوائية، وإنما يعكس معايير كل أمة في النظر إلى أهمية كل علم من العلوم، وبالتالي يعكس فلسفتها التربوية"[1].

فعلى سبيل المثال نجد أن ابن سينا يقسم العلوم إلى قسمين: علوم نظرية، وهدفها حصول اليقين بالموجودات، وعلوم عملية، وغايتها تنظيم الفعل الإنساني[2].

وقد انتقد العلماء له في إهماله للعلوم الإسلامية لتأثره وافتتانه بالفكر اليوناني آنذاك؛ حيث ظن أنهم وحدهم أهل العلم والمعرفة، ليعيد التاريخ نفسه ويفتتن الكثير من علماء ومثقفي العالم الإسلامي اليوم بالفكر الغربي ظنا منهم بأن الغرب وحده أهل العلم والمعرفة. وهذا تطرف وبعد عن مفهوم الوسطية التي لا تلغي الآخر[3].

ولعل القول بتصنيف العلوم والدراسات والكليات في الجامعات إنما هو من قبيل تصنيف العلوم أمر واقع وبالتالي فكل كلية تنتظم من الأقسام ما هو متجانس كما لو كان تصنيفا لزمر من العلوم في دراسة مستقلة، والمشتهر في واقع الجامعات أنها تجعل أقسامها وكلياتها على شعبتين بالجملة: الأقسام والكليات الأدبية / الإنسانية، والأقسام والكليات العلمية / التطبيقية. والجامعة الحديثة في العالم الإسلامي ذات صلة غير قليلة بمثيلاتها في العالم الغربي تقليدا له، وهي لا تخرج غالبا عن ذلك التصنيف إلا في ما تمثل في الجامعات الإسلامية وبعض فرائد لأقسام تنفرد بها جامعة دون أخرى[4]، فكيف لتصنيف الكليات والأقسام ومن ثم العلوم والمعارف وفقا لذلك أن يسمح بتجسيد مشروع التكامل المعرفي

(١) محمد نصر، تأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: ٩٩، ١٤٢٧هـ، ص: ٩.

(٢) إحسان عباس، رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص:١١.

(٣) السعيد عواشرية، المرجع السابق، ص: ٦٧.

(٤) عبد الله سيدي محمد الطارقي، المرجع السابق، ص: ٥٠٤.

ومن ثمة تحقيق وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطالب؟

إن المتأمل في سياق تشكل جامعات العالم الإسلامي المعاصرة يدرك بأنها لم يكن تشكل معظمها مثار نقاش مجتمعي يطمح للتعبير عن الهوية الثقافية للمجتمعات الإسلامية، مما يحدد موقع الجامعة كتعبير عن العقل الجماعي لمجتمعاتها، ولم تكن أيضا مثار نقاش فلسفي يحدد وظيفتها التاريخية، وهكذا ستعبر الجامعة في العالم الإسلامي لدولة ما بعد الاستقلال عن "الإيديولوجية السياسية السائدة"، وعن "النماذج المعرفية المهيمنة". وإذا كان هذا السياق محددا للبنية التكوينية للجامعة التي تقوم على الفصل بين العلوم الإسلامية (كليات أصول الدين، كليات الشريعة..)، والعلوم الإنسانية والحقوق، ثم العلوم الحية والهندسة، فإن تداعيات هذا الوضع القائم على فلسفة "فصل العلوم والمعارف"، في سياق التحولات التي تدفع بها تيارات "السوق المعولم"، والتي تمثلها النخبة التكنوقراطية في نظامنا السياسي، ينتهي اليوم إلى العمل على "تهميش" العلوم الإنسانية والاجتماعية، ما دامت النخبة التي تمثل هذه الأخيرة فاقدة لاختيارات فكرية مستقلة وقابلة للاندراج في مسلسل شرعنة القرار العام. كما أن هذا الموقف السياسي الذي يتبناه تكنوقراطيو النظام السياسي، يتماشى مع تيار عالمي يعمل على "أقصدة الحياة"، أي إخضاعها للمنطق الاقتصادي المقاولاتي الذي يعلي من شأن المهارات والتقنيات على حساب القيم والمعارف في بناء المنظومة التكوينية، وهو ما سماه الفيلسوف يورغن هابرماس بـ "تيار المصلحة" الذي يعلي من شأن العلوم التقنية على حساب المعرفية التأملية ذات الرهانات المجتمعية والتواصلية[1]. وهو كما يبدو تيار يلغي معنى الوسطية ويكرس التطرف.

وهذا يشير إلى أن فلسفة "فصل العلوم والمعارف"، لم تتوقف عند إحداث اللاتكامل المعرفي على مستوى الأفراد بل تعدت إلى إحداث ذلك مستوى الجماعات والمجتمعات، فالمتأمل في واقع التعليم الجامعي في معظم الدول الإسلامية يدرك أن الاهتمام بالتعليم المدني وإهمال التعليم الديني قد أخذ صورة أخرى أوسع وأكثر فضاعة

(١) عز الدين العزماتي، المرجع السابق.

تمثلت في الاهتمام بالعلوم الدقيقة وإهمال شبه تام للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتي تعتبر العلوم الشرعية جزء منها، وبطبيعة الحال فإنه إذا كان التعليم هو المسؤول بدرجة كبيرة عن بناء الشخصية السوية للمواطن الصالح الوسطي في أفكاره وسلوكاته، فإن هذا يقودنا للنظر في الجانب الثقافي والمعنوي ذي الأثر على الهوية، لأن الاهتمام بالعلم الطبيعي التطبيقي، لا يغني عن الاهتمام بالجانب المعنوي الأدبي."[1] وسعيا لبلوغ الفرد الوسطي في فكره وسلوكه من الأجدر علينا الاهتمام بالجانب الأدبي والتقني والعمل على تجسيد تكاملهما.

لقد وصل الإنسان إلى القمر، واستخدم في ذلك أجهزة بالغة الدقة، ووصل إلى درجة كبيرة من التقدم التقني والسيطرة على الطبيعة إلا أنه لم يستطع أن يسيطر على نزواته، إن إنسان اليوم ليس بحاجة ماسة إلى مزيد من التقدم في علوم الكون بقدر ما هو بحاجة إلى أخلاق تستقى أساسا من علوم الوحي، فثروات العالم كافية لإشباع جميع سكان العالم على المدى البعيد، ورغم ذلك فإن العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة يعاني من الجوع والمرض، وهذا لا يعني نقص في ثرواته وإنما يعني عدم التوزيع العادل لتلك الثروات وعدم عدله بين علوم الكون وعلوم الوحي؛ بحيث اهتم بعلوم الكون وأهمل علوم الوحي. وتمكن تعليمه الجامعي من تخرجين إطارات متطرفة التكوين متشبعة بعلوم الكون –إلى حد ما– مفتقرة لعلوم الوحي مما أفقدها إمكانية التوسط في الفكر والسلوك[2].

وهذا ما يدل على أن الأثر المنشود للتكامل المعرفي يتجاوز المصالح الذاتية الشخصية للمتلقي لأن ذلك يعني اضطلاعه بما يرفع من شأن الجانب الروحي للمجتمع بالموازاة مع رفع شأن الجانب المادي كذلك، وبالتالي يؤثر إيجابا في التفاعل الحضاري المحكوم بالقيم العليا الراقية سواء من صاحب التخصص الأدبي أو التطبيقي، لأن تلك القيم يراد لها أن تكتسب صفة الذيوع؛ بحيث تصبح أعرافا اجتماعية لا يقبل تجاوزها في أي مستوى اجتماعي وجدت، وهذا ما يليق أن يضطلع به التعليم برمته، سواء التعليم العام أو

(١) عبد الله سيدي محمد الطارقي، المرجع السابق، ص: ٥٠٥.

(٢) السعيد عواشرية، المرجع السابق، ص: ٦٨.

التعليم العالي، لأن الناس يتلقون كثيرا من قيمهم الحضارية على مقاعد الدراسة وفي ردهات المدارس والجامعات، الأمر الذي عظم أثر التكامل المعرفي في البناء الحضاري للعالم الإسلامي، لكن أين نحن من ذلك التكامل في ظل هذه التصنيفات والتقسيمات التي تعيق ذلك، وانعدام الاهتمام المتوازن بينها والذي يعيق الخروج بإطار جامعي متشبع بقيم الوسطية والاعتدال؟

وكما أشرنا سالفا فإن تصنيف العلوم أو المعارف ليس مجرد عملية ترتيب عشوائية، وإنما يعكس معايير كل أمة في النظر إلى أهمية كل علم من العلوم، وبالتالي يعكس فلسفتها التربوية، هذه الأخيرة بالفعل هي من يوجه السياسة التربوية وإجراءاتها ويحدد أهدافها بمختلف مستوياتها بداية بالغايات والمرامي التربوية إلى غاية الأهداف التربوية الخاصة والإجرائية، ومن ثمة فإن واضعها قد يقفون حاجزا أمام تجسيد مشروع التكامل المعرفي خاصة في ظل انتشار مشكلة التطرف الفكري في العالم الإسلامي لدى هؤلاء، ليس في التعليم الجامعي فحسب، بل في مختلف المراحل التعليمية[1].

وهنا نتساءل: ما معنى التطرف الفكري؟ وكيف له أن يساهم في إعاقة تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي؟

يرى سمير نعيم أحمد أن التطرف الفكري هو أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو على التسامح معها. ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على أن المعتقد صادقا مطلقا وأبديا، وأنه يصلح لكل زمان ومكان، وأنه لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه، وأن المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تُستمد إلا من خلال هذا المعتقد دون غيره، مع إدانة كل اختلاف عن المعتقد، والاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي أو حتى التفسير بالعنف، وفرض المعتقد على الآخرين ولو بالقوة[2] وهو شكلين: تطرف نحو

(١) السعيد عواشرية، المرجع السابق، ص: ٦٨.

(٢) أحمد فلاح العموش، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، (دراسة من منظور تكاملي)، أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٢٤٠، ١٦-١٨/ ٢/ ١٤٢٠هـ الموافق لـ:٣١/ ٥-٢/ ٦/ ١٩٩٩م، الرياض، ١٤٢٠/ ١٩٩٩، ص: ٩٧.

الفكر اللاديني (فكر الاستغراب)، وتطرف في الفكر الديني .

فالتطرف نحو الفكر اللاديني: هو انحراف صلته مبتوتة عن واقع الحياة الاجتماعية في البلدان العربية والإسلامية لأنه محصور في ثلة تنكرت للدين الإسلامي كمقوم أساسي لمجتمعها، وتبنت أفكار قائمة على الإلحاد بوجود الخالق وتشريعه المحكم، وقد تشكل هذا الفكر المنحرف في مجتمعاتنا زمن البعثات التعليمية إلى بلدان المعسكر الشرقي سابقا القائمة على الفكر الشيوعي الملحد، وتبنى أصحاب هذا الفكر أطروحة نهضة المجتمعات بالفلسفة والعلم، وألغوا الدين من هذه المعادلة العرجاء[1]، ويبدو ذلك واضحا إذا علمنا أن مبتعثي العالم الإسلامي هم في غالبيتهم علماء وطلبة درسوا في الجامعات الغربية، وتتلمذوا على أيدي علماء الغرب، وأفتتن بعضهم بهذه الدراسات سمينها وغثها، حقها وباطلها، صحيحها وسقيمها، وعقب هذا الافتتان أصبحوا يرددون بكل فخر ما درسوه هناك عند عودتهم لأوطانهم[2].

وقد قُدر للمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات الإسلامية أن يجني ثمار هذا التطرف نحو تقديس الفكر الغربي واعتباره السبيل الأسلم إلى نهضتنا والمخَلص الوحيد لها من تخلفها، وتجلى هذا الجني في حصيلة مخزية من جراء تجريب المناهج والأفكار الغربية على المجتمعات المسلمة دون مراعاة لما هو مقبول منها وما هو مرفوض طيلة مدة تقارب القرن[3].

ولعل من أسباب الخلاف مع هذا الفكر هو أنه لا يفهم الإسلام إلا بإسقاطه على نموذج "الدين" كما عرفه تاريخ الغرب، وهو ذلك الدين الذي روجت له مؤسسة الكنيسة باعتباره قائما على مبدأ الفصل مابين مملكة الله ومملكة قيصر، وبالتالي يكون الفصل بين الدين والحياة العلمانية والسياسية العامة هو الأصل وأن ممارسة الكنيسة للسياسة وتداولها في الشأن العام خروج عن ذلك المبدأ الديني وإقحام للدين في ما لا يجوز له التفكير فيه، فضلا عن الاشتغال به.وحينما يأتي الإسلام بفلسفته الإصلاحية

(١) عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٩٩، ص: ٥١.

(٢) جميلة عبد الله الحسن السقا، المرجع السابق، ص: ١١.

(٣) جمال أقاسم، المرجع السابق، ص: ٢٠٤.

وبنظرية التكامل التي توفق بين متطلبات الجسد وتطلعات الروح والتي تعيد الانسجام إلى حياة الإنسان، بعد أن عرف هذا الإنسان تمزقا في الأديان والمذاهب السابقة يستشكل الفكر العلماني هذا الطرح، لأنه لا يفهم الدين إلا على غرار ما جسدته له الكنيسة من معاني تقول بالقطيعة التامة بين مملكة الأرض وملكوت السماء[1].

وكل ذلك ارتبط ارتباطا وثيقا بالفصل الحاد والمصطنع بين المعرفة والدين فقد كانت نتيجة الالتزام بهذا المبدأ محاصرة العلم في المحسوس فقط، وإفراغه من المضامين والقيم الدينية والرؤية الفلسفية الكلية المعبرة عنها. وأصل هذا المبدأ دعوة أوجست كونت الشهيرة: "الإنسان يجب أن يطبق العلم وليس الدين لتنظيم حياته".

وهذه الأزمة في جوهرها وإن كانت قد أفرزتها الحضارة الغربية التي أرست أسس الثورة العلمية في ظل خيبة أمل وزهد في الدين، فإن المسلمين قد تأثروا بهذه الأزمة تأثرا مباشرا نتيجة انفتاحهم -الذي لا فكاك عنه- على تلك العلوم التي لا تعبر عن قيمهم ولا عن رؤيتهم للعالم، وقد أسهم ذلك في تقنين الخروج عن التصور التوحيدي .كما أسهم - في المقابل - عجز العلوم الإسلامية عن تفهم الظواهر الاجتماعية والعلمية، وعجز المشتغلين بمباحث العلم الشرعي ونتيجة للتعقيدات المعاصرة عن الساهمة في تنظيم الحياة في هذا العصر، في تعميق الأزمة المعرفية ومحاصرة العلم الشرعي وتضييق دائرته[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى إحساس الكثير من الدول الإسلامية خلال فترة السبعينات من القرن الماضي بخطر التطرف نحو الفكر اللاديني الذي يفد إليها عن طريق بعثات أبنائها للتعليم بالخارج، فقد تحفظ المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٩٧٧ في توصياته على إرسال البعثات الخارجية، ونادى بالحد منها إلا في التخصصات التي لا تتوفر في البلاد العربية[3].

وقد علق على هذه التوصية عدد من خبراء التربية والتعليم من بينهم الدكتور محمد منير مرسي فقال: "إذا كان التخوف من إرسال البعثات الخارجية يبرره تعرض أبنائنا

(١) عبد المجيد الصغير، المرجع السابق، ص: ٨.
(٢) أبو بكر محمد أحد محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص: ١٣.
(٣) جمال أقاسم، المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

للانحراف فإن العلاج لا يكون بمنع هذه البعثات أو بالحد منها، وإنما يكون بتوفير الضمانات التي تعصم أبنائنا من هذا الانحراف، وفي مقدمة هذه الضمانات ألا ترسل طلابا للدراسة بالخارج إلا للدراسات العليا، وبعد حصولهم على الدرجة الجامعية الأولى من جامعاتنا، حتى نطمئن إلى أنهم قد وصلوا إلى مستوى معقول من النضج الفكري والعقلي"[1].

وإذا كان التطرف نحو الفكر اللاديني أعاق تجسيد التكامل المعرفي في التعليم الجامعي فإن التطرف في الفكر الديني والذي يصطلح عليه بعدة تسميات مثل: الغلو، التنطع والتشديد، يعتبر كذلك من العوامل المحبطة لتجسيد التكامل المعرفي من خلال ثلة من المتعصبين المتشددين والتي اعتبرت أن العلوم الغربية تقوم على مفاهيم خاطئة تجعلهم يرفضونها ويعتبرونها دخيلة على الإسلام؛ حيث يرون أن هذه العلوم هي علوم يغلب عليها الاتجاه المادي البحت، وأهملت الجانب الإيماني والوحي ومدى تأثيرهما في الإنسان إهمالا كبيرا، وتستخدم المنهج التجريبي الذي يجزئ السلوك ويقوم بعمليات التعميم غير الصحيحة[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الجامعات الجزائرية كانت في فترة الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي محضنا لإشاعة نمط غريب من هذا التطرف؛ إذ وصل الأمر وقتها إلى حد تحريم بعض الجهال لدراسة الفلسفة والمنطق وتكفير المشتغلين بهما، وتعدى الأمر إلى درجة تفسيق وتبديع المشتغلين والدارسين لتخصصات علمية هامة في المجتمع، بما في ذلك تخصص أصول الدين في كلية العلوم الإسلامية، لما لهذا التخصص من صلة بالجانب العقلي والفكري في الإسلام، ولا يزال البعض حبيس هذه الرؤية المتطرفة، بحجة أن مثل هذه العلوم مروق عن الدين وأن واضعيها كفرة، فهل ينفع المسلم تحجره وانعزاله عن دراسة فكر الآخر، وانتقاء أحسن ما في فكره حتى وإن كان غريبا ملحدا[3].

---

(١) محمد مرسي منير، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، ط: ١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص: ٢٧١.

(٢) جميلة عبد الله الحسن السقا، المرجع السابق، ص: ٥٦.

(٣) جمال أقاسم، المرجع السابق، ص: ٢٠٦.

فكيف لفكرة التكامل المعرفي أن تتجسد في ظل هذا الغلو في الدين الإسلامي ورفض الآخر مهما كانت صفته. والفصل المتبنى بين العقل والوحي، وبين الفلسفة والشريعة، والذي تبناه واعتقده البعض وعلى رأسهم عابد الجابري والذي يتضح في قوله: "وبالتالي التأكيد على الخطأ الناجم عن محاولة دمج قضايا الدين في قضايا الفلسفة أو العكس"[1].

وإذا كان التطرف الفكري له قسط في إعاقة تجسيد مشروع التكامل المعرفي في العالم الإسلامي وتعزيز الوسطية فإن عجز بعض علماء المسلمين عن التحليل النقدي للنظريات الغربية ومسلماتها الدخيلة على الإسلام وأسس ذلك، بسبب عدم إحاطتهم إحاطة عميقة بأسس ومسلمات الشريعة الإسلامية. وعدم تمكنهم وإطلاعهم على التراث الإسلامي وإسهاماته في إثراء الحضارة الإسلامية، وعجزهم عن تقديم بدائل تتفق مع المبادئ الإسلامية. كلها أمور ساهمت كذلك في إعاقة ذلك[2].

(١) ابن رشد، المرجع السابق، ص: ٢٥٦.

(٢) جميلة عبد الله الحسن السقا، المرجع السابق، ص: ١٣.

خاتمــة:

من خلال العرض المفصل لمعيقات ومتطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في العالم الإسلامي وتعزيز الوسطية لدى الطلاب من خلاله يمكن الخروج بجملة من النتائج والتوصيات والتساؤلات:

ففي ما يتعلق بالنتائج نذكر:

١- السياسات الاستعمارية التعليمية لدول العالم الإسلامي وما خلفته من أنظمة تعليمية ورواسب فكرية وتشويه للتاريخ الإسلامي وإسهاماته، وافتتان الشعوب المستعمرة بها، وتصنيف العلوم، وتسييس الجامعات وأقصدتها، وانتشار ظاهرة التطرف، وعجز علماء الأمة الإسلامية عن التحليل النقدي للنظريات الغربية ومسلماتها، والإحاطة بأسس ومسلمات الدين الإسلامي، كلها أمور تساهم في إعاقة محاولات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي كخطة دراسية وتحبط مساعي تلقين وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب باعتباره من الأهداف الأساسية للتكامل المعرفي.

٢- إن تجسيد مشاريع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي باعتباره كخطة دراسية وتعزيز مبدأ الوسطية من خلاله لدى الطلاب مرهونة إلى حد كبير بنمط النظام التعليمي القائم على تحقيق أهدافه، وأن إسناد ذلك لأنظمة تعليمية دمجية مكرسة للجمود الفكري ومحبطة لمحاولات الاجتهاد والإبداع سيكون مصيرها مخرجات تربوية متطرفة لا تعرف الخيرية والوسطية.

أما في ما يتعلق بالتوصيات نذكر:

١- لتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي لابد لدوله من تحقيق استقلالها التام في جميع المجالات (سياسيا، اقتصاديا، وثقافيا) قبل أن تفكر في ذلك أصلا. لأن الخائف والمُوَجَه و المُسَيَر والجائع والمُقَيَد والعَبد والمحجور عليه والمُقَلد لغيره لم يشهد له الماضي بمعرفة الوسطية والاعتدال فكيف للحاضر وما يقع فيه أو المستقبل وما

سيقع فيه أن يشهد له بذلك.

٢- بعد ضمان دول العالم الإسلامي لاستقلالها التام وتعزيزا لها لمبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي عليها أن تجسد آنذاك مبدأ الوسطية في شؤون حياتها. والتحول من أقصدة الحياة إلى الجمع بين أنسنتها وأقصدتها في نفس الوقت وبنفس الكم والكيف.

٣- لتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي لابد من توحيد نظام التعليم؛ بحيث يتم تدريس العلوم المدنية "علوم الحياة" لطلبة العلوم الشرعية، وتدريس علوم الدين لطلبة العلوم الأخرى من خلال مساقات اختيارية، فينمو المتعلمون نموا متوازنا في المجالات المختلفة، الجسمية والعقلية والروحية والعاطفية والنفسية والاجتماعية، وبذلك تتوحد المعايير والأطر المرجعية للسلوك الإنساني ومناهج التفكير.

٤- لتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي لابد من تقديم المعرفة والخبرة التعليمية في قوالب مناسبة يتم بموجبها الربط بينها وبين العلوم الدينية، وبناء اتجاهات إيجابية نحوها، كأن يتم الربط مثلا بين الدواء وصاحب القرار في الشفاء وهو الله تعالى، وبين المعارف المتعلقة بالكواكب في حركتها وبين الآيات القرآنية الدالة عليها، وعلى الوظائف التي خلقت من أجلها كما جاء ذلك مصرحا به في النصوص الشرعية في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كبيان خلق الإنسان.

٥- لتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي لابد من العمل على تكوين وتنمية الاتجاهات الموجبة نحو مختلف العلوم (الشرعية والمدنية) باعتبارها كلا متكاملا، وأن التقسيمات التي يتم تداولها في الجامعات إنما هي تقسيمات اعتباطية، وأن كل علم منها يخدم العلوم الأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٦- لتيسير تعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي يتعين وضع المشكلات التربوية التي يعيشها

النظام التعليمي الجامعي في العالم الإسلامي في سياقها المعرفي الطبيعي، والعودة إلى العهد الراشدي في عقلانيته والخلدوني في اجتماعيته والشاطبي في سلفيته كنقطة انطلاق حضارية جادة.

٧- لتفعيل وتعزيز مبدأ الوسطية لدى الطلاب من خلال تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي في العالم الإسلامي لابد من تغيير النظام التعليمي الجامعي من النمط الدمجي المتمركز حول تبليغ المعرفة إلى النظام التربوي الإنتاجي المتمركز حول تعديل السلوك، وذلك من خلال تحويل الأهداف من اجتياز المتكون للامتحان إلى التكوين، وتحويل الوسائل من تراكم المعلومات إلى تنمية التفكير والإبداع وتوظيف واستثمار الوسائل، وتحويل التقييم من كفاءة الاستظهار إلى كفاءة الأداء.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم محمد أحمد محمد أبو بكر، برنامج التكامل المعرفي الخطة العلمية (١) ٢٠٠٩-٢٠١٢، جامعة الجزيرة معهد إسلام المعرفة، (إمام). ٢٠٠٩.
- ابن رشد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشرح للمشرف على المشروع: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط: ١، نوفمبر، ١٩٩٧.
- ابن رشد، تهافت التهافت، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشرح للمشرف على المشروع: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، آب/ أغسطس، ١٩٩٨.
- إحسان عباس، رسائل ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٦م.
- أحمد فلاح العموش، أسباب انتشار ظاهرة الإرهاب، (دراسة من منظور تكاملي)، أعمال ندوة مكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،مركز الدراسات والبحوث، عدد: ٢٤٠، ١٦-١٨/ ٢/ ١٤٢٠هـ الموافق لـ:٣١/ ٥-٢/ ٦/ ١٩٩٩م، الرياض، ١٤٢٠/ ١٩٩٩.
- أبو ريدة عبد الهادي، تجديد المنهج العلمي والمعرفة العلمية على يد علماء الإسلام، بحث مقدم ضمن فعاليات المؤتمر الدولي حول: العلم في السياسة الإسلامية، المنعقد خلال الفترة ١٩- ٢٥ نوفمبر، إسلام أباد- باكستان. ١٩٨٣.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.(ب-س).

- جمال أقاسم، التعليم الحواري المنهج. فاق وأبعاد في مواجهة العشوائية والانحراف الفكري داخل المجتمع، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزئر، عدد خاص بالملتقى الدولي السابع، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤.
- جميلة عبد الله حسن السقا، التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أطروحة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠١. الموقع (majles.alukah.net/showthread.php?p=305218).
- حسين عقيلة، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري – مقاربة تأصلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها-، سجل أعمال المؤتمر الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص ص: ٣٨٩- ٤١٠.
- السعيد عواشرية، معيقات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومتطلبات ذلك، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:١، ص ص: ٥٣-٧٨.
- سمير أبو زيد، تاريخ فلسفة العم مكن منظور إسلامي كأساس لتحقيق التكامل المعرفي، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠،، ٢٠١٠، ج:١، ص ص: ٢٦٩-٣٠٠.

- سيد قطب، في ظلال القرأن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٧، ١٣٩١هـ/ ١٩٨١.
- عبد الحميد عبدوني، التعليم العالي في العالم العربي واقعه وآفاقه، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، الجزائر، جامعة سطيف، (عدد ٠١)، ٢٠٠٤، ص ص: ١٩٣-١٩٨.
- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط:٣، ١٩٦٧.
- عبد الرحمن النقيب، منهجية البحث في التربية (رؤية إسلامية)، دار الفكر العربي، ط:١، القاهرة، ١٩٩٧.
- عبد القادر بخوش، نحو توحيد المناهج التعليمية في الجامعات العربية والإفريقية، سلسلة إصدارات مخبر إدارة وتنمية الموارد البشرية، العدد: ٠١، فعاليات الملتقى الدولي أيام ٢٨-٣٠ أفريل ٢٠٠١: "إشكالية التكوين والتعليم في إفريقيا والعالم العربي" جامعة سطيف الجزائر، ٢٠٠٤.
- عبد الله سيدي محمد الطارقي، العلوم الأدبية والتطبيقية والدور الحضاري المنشود في: لجنة المؤتمر (محرر)، سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية "نحو بناء مجتمع معرفي" – ٢٤-٢٧- فبراير ٢٠٠٨، الجزء الأول، (ص ص: ٥٠١-٥١٢)، الظهران، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن، ٢٠٠٨.
- عبد المجيد الصغير، إشكالية مفهوم التكامل المعرفي في الإسلام :بنيتها وتجلياتها، كلية الآداب الرباط، (بدون تاريخ) الموقع (www.darhadit.ac.ma/_seminaire/_.../Sem09_1_DrSeaire.pdf).
- عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الإسلامي، ط:١، بيروت، ١٩٩٩.
- عز الدين العزماني، الجامعة المغربية ورهان التكاملية المعرفية، الملتقى الفكري للإبداع، ٢٠٠٨. الموقع (www.almultaka.net/ShowMaqal.php?id..).
- فتحي حسن ملكاوي، مفاهيم التكامل المعرفي، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي

حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص ص: ٤٧٥-٤٩٩.

- فريوان عبد السلام مهنا، العولمة وأثرها على التعليم العالي، في: لجنة المؤتمر (محرر)، سجل أبحاث المؤتمر الثاني لتخطيط وتطوير التعليم والبحث العلمي في الدول العربية "نحو بناء مجتمع معرفي" – ٢٤-٢٧- فبراير ٢٠٠٨، الجزء الثاني، (ص ص: ٧٨٣-٨٠٢)، الظهران، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.
- لويس عوض، ثقافتنا في مفترق الطرق، ط: ٢، دار الآداب، بيروت، ١٩٨٣.
- محمد إسحاق سعد، صراع الأنتلجنسيا في إفريقيا، ندوة الثقافة العربية الإفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، المنعقدة في: ١٩ -٢٢ الصيف، ٢٠٠٤، بمدينة سبها/ الجماهيرية العظمى، الجزء الأول، إعداد اللجنة العلمية لفرع المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا. الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- محمد الرعود، منهج الوسطية في الإسلام / فكر أصيل وفلسفة عملية من خلال السنة المطهرة والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٠٠، ص ص: ٣٥٩- ٣٨٠.
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣.
- محمد مرسي منير، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، ط: ١، القاهرة، ٢٠٠٢.
- محمد نصر، تأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: ٩٩.، ١٤٢٧هـ.
- مفتاح محمد قارن، الاتصال والانفصال في التاريخ الثقافي :حالة الثقافة المغربية، ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ٦١، الرباط، ١٩٩٧.

- ناصر أحمد الخوالدة، ثنائية التعليم الجامعي وآثاره في لبلاد الإسلامية، سجل أعمال المؤتمر العلمي الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص ص: ٦٨٩-٧٠٥.
- وهبة الزحيلي: إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٤٨١، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ٢٠٠٥، ص ص: ٩-١٠.
- يوسف الكلاّم، مشروع التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والعلوم الأنسانية – دراسة تحليلية تقويمية لتجربة مؤسسة دار الحديث الحسنية-، سجل أعمال المؤتمر الدولي حول "التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي"، المنظم من طرف المعهد العالمي للفكر الإسلامي (الأردن) وجامعة تلمسان (الجزائر)، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنعقد بجامعة تلمسان في ١٤-١٦ أفريل ٢٠١٠، ج:٢، ص ص: ٧٤٣- ٧٧٢.

وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وخطر الخروج وآثاره السيئة على المجتمعات

بدر بن خضير الشمري

طالبة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1]، وقال ﷺ: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[2]، وإنه في هذا الزمان قد كثرت الدعوات التي تنادي بـ (التعددية الحزبية)، ويزعم أصحابها أنها من الدين، وهي في الحقيقة ليست منه في شيء، ويدل على ذلك نصوص كثيرة من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، منها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[3]، ويزداد الأمر سوءا إذا كان من يدعو إلى تلك الدعوات هم المتكلمون باسم الدين، وموصوفون بوصف الدعاة إلى الله، ولا يضرون بذلك إلا أنفسهم.

وإن من أوائل[4] وشر تلك الفرق والأحزاب التي عصفت بالعالم الإسلامي منذ صدره الأول: هي تلك الفرقة المارقة من الدين، ألا وهي: فرقة الخوارج.

والتي قد كثرت تشنيعات وتحذيرات علماء السلف منها[5]، وقبلهم النبي ﷺ الذي

---

(١) الآيتان ٣١ - ٣٢ من سورة الروم.

(٢) رواه الترمذي، واللفظ له برقم: ٢٦٤٠ وقال: حديث حسن صحيح ٤/ ٣٢٢، وابن ماجه في سننه برقم٣٩٩٢، ٢/ ١٣٢٢ وأبو داود في سننه برقم٤٥٩٦، ٤/ ١٩٧، وصححه الألباني في الصحيحة ١/ ٤٠٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة، بدعة الخوارج المكفرة بالذنب) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٧٠.

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (فإن الأمة متفقون على ذم الخوارج وتضليلهم وإنما تنازعوا في تكفيرهم على قولين مشهورين في مذهب مالك وأحمد وفي مذهب الشافعي أيضا نزاع في كفرهم) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥١٨.

ذكرهم بأوصافهم وأفعالهم وبين ما هم عليه من ضلال، فلقد صدق ﷺ حيث قال: (تركتم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك)[1].

وإنني في هذه الورقات اليسيرة أتناول الحديث عن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمون من لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، و ما يتبعه من مباحث مهمة تتعلق به، ثم تطرقت إلى البدعة التي شذ أهلها من خلالها عن هذا الأصل وما جاء من أحاديث وآثار في ذمهم والتحذير منهم إلى غيرها من المباحث التي تهم المسلم في دينه ودنياه، وبالله التوفيق.

أهمية الموضوع:

١- ما يمثله هذا الأصل من دور مهم في الحفاظ على وحدة ولحمة المجتمع الإسلامي مما يؤدي بهم إلى النصر في الدنيا، وذلك بوقوفهم جميعا في دحض و مجابهة ومجاهدة الأعداء، وكذلك النصر في الآخرة، وذلك أن التزام المسلم بما أمر به الله ورسوله – ﷺ– وترك ما نهيا عنه هو عين العبادة التي بها نجاة المرء في أخراه وكذلك دنياه.

٢- ما يمثله موضوع الخروج من خطر جسيم يهدد الأمة الإسلامية برمتها، مما يجعلنا نقول: إن تعلم وفهم ما يدور ويجول حول هذه الفرقة المارقة هو مما ينبغي أن يتناول بالطرح والمعالجة، وصار فقه ذلك وفهمه من فقه الواقع الذي ينبغي لطالب العلم أن يوليه الاهتمام والعناية البالغة.

٣- كون كثير من الفرق والأحزاب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة إن لم تكن كلها تنتهج هذا النهج وتنطلق منه حتى صار هذا الأصل وهو: الاجتماع و السمع والطاعة وعدم الخروج على الحكام والصبر على جورهم وظلمهم، ومنذ الرعيل الأول من سلف هذه الأمة من شعار أهل السنة والجماعة، فلا تكاد تجد مؤلفا أو رسالة في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة إلا وقد تناول فيها مؤلفها هذه المسألة حتى ولو كانت تلك المؤلفات والرسائل مختصرة موجزة، فإن السلف لا يتجاهلون هذا الأصل فيها.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تصيد واستهداف أعداء المجتمع الإسلامي، وخصوصا: أعداء بلاد المملكة العربية

(١) رواه ابن عبد البر وذكره في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٦٣.

السعودية لطلاب العلم وتعرض مسيرتهم في سبيل تحصيلهم بما يشوبهم ويحرفهم عن الطريق المستقيم، وبالتالي كان لزاما على طالب العلم أن يفقه ويدرك هذا جيدا ويتعلم كيف النجاة من هذا المسلك الخطير والطريق المعوج.

٢- الرد على شبهات من هم خلف هذه الانحرافات الفكرية والأحزاب والجماعات، وذلك من خلال ما سقته من نصوص من الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، ففي ما ذكرت موافقة للنص المأثور والعقل المنظور.

٣- خدمة طلاب العلم وعامة الناس فيما كتب من ورقات يسيرة – أسأل الله عز وجل أن ينفع بها –.

منهج البحث:

يتجلى منهج البحث في هذا البحث من خلال الآتي:

١- أعرف وأشير إلى ما لابد من معرفة معناه لغة و شرعا، وذلك قبل بيان الحكم؛ ليتضح المقصود من دراسة ذلك.

٢- غالب – إن لم يكن كل – ما ذكرت من مسائل هي مما أجمع عليه أهل السنة؛ ولذلك واقتصارا على المقصود من البحث لم أتعرض لأقوال من ضل في أبواب هذه المسائل، والتفصيل فيها.بل اكتفيت بالتأكيد على هذه الأصول، وتدعيمها بالأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة، ثم أقوال سلف الأمة بالإضافة إلى الرد على بعض من شبهات المخالفين.

٣- أحرص على الاعتماد على أمات المصادر والمراجع الأصيلة في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٤- أركز على موضوع البحث وأتجنب الاستطراد.

٥- أقوم بترقيم الآيات وبيان سورها.

٦- أقوم بتخريج الأحاديث وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها – إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما – فإن كانت كذلك فأكتفي حينئذ بتخريجها.

٧- أقوم بالنقل والتخريج للآثار من المصادر الأصيلة، والحكم على بعضها.

٨- أعتني بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم.

٩- وضعت خاتمة عبارة عن ملخص للرسالة، تعطي فكرة واضحة عما تضمنته الرسالة، مع إبراز أهم النتائج.

- ختمت بفهرس المصادر والمراجع.

خطة البحث:

- المقدمة، وقد بينت فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه.
- التمهيد، ويشتمل على: حاجة الناس وضرورتهم لإمام يجتمعون عليه.
- المبحث الأول: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.
  - المطلب الأول: المراد بالجماعة والإمامة.
  - المطلب الثاني: نصوص الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة في وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.
  - المطلب الثالث: بعض ذرائع الزائغين والمخالفين لتفريق جماعة المسلمين.
    - الفرع الأول: الكلام في إمام جماعة المسلمين بالسب والتنقيص منه.
    - الفرع الثاني: التنقيص من الراسخين في العلم والتجرؤ عليهم بالإشارة أو صريح العبارة.
- المبحث الثاني: بدعة الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم.
  - المطلب الأول: مفهوم الخروج.
  - المطلب الثاني: الأحاديث والآثار الواردة في ذم الخروج وأهله.
  - المطلب الثالث: خطر الخروج، وآثاره السيئة في تمزيق المسلمين والتفريق بينهم.
  - المطلب الرابع: مسائل مهمة في الخروج:
    - المسألة الأولى: أنواع الخروج.
    - المسألة الثانية: مكونات مذهب الخوارج.
    - المسألة الثالثة: نصيحة الشيخ صالح الفوزان حول الحرب الإعلامية التي يشنها أعداء هذه البلاد لتمزيق جماعتهم والخروج على إمامهم.
- الخاتمـــة.
- الفهارس.

تمهيـــد:

إن سنة الله تعالى في وجود الإنسان أن يعيش في مجتمع بشري تتكامل فيه الوظائف والأدوار وتتم معه المصالح والمنافع، ومن هنا قيل: الإنسان مدني بطبعه[1]، فالاجتماع رحمة للعباد، وهي حق وصواب، كما أن الفرقة زيغ وعذاب، يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[2]، ويقول سبحانه محذرا مما كان من أحوال الأمم السابقة: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وقال سبحانه مبينا براءة منهج النبي ﷺ وهديه مما عليه أهل الزيغ والاختلاف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[4].

ومما يوضح ما للاجتماع من استقامة الأمور وحسن الأحوال، حيث يجتمع المسلمون فيما بينهم، لهم ولاية واحدة، يسمعون لها ويطيعون بالمعروف هو قوله ﷺ: (وإنما الإمام جنة، يقاتل من ورائه، ويتقى به)[5]، والمقصود أن الناس إنما يتنعمون بالحياة الطيبة، وما يكون من الخير في معاشهم ومعادهم بأن تكون لهم جماعة، ولا شك أنه لاجماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة[6]، وهذا كله يبين رعاية الشريعة للمصلحة العظمى،

---

(١) هذه العبارة مأثورة عن فلاسفة حضارات قديمة إلا أن علماء المسلمين تداولوها بالقبول؛ لما شهد لها من الوحي والتجربة والعقل، وممن ذكرها وأقرها: شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مواضع كثيرة من كتبه، انظر: المجموع ٢٨ / ٦٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: ٢٩٥٧، ٤/ ٥٠ ومسلم في صحيحه برقم: ١٨٤١ ، ٣/ ١٤٧١.

(٦) أخرج الدارمي في سننه عن أبي تميم الداري – رضي الله عنه – قال: تطاول الناس في البناء في زمن عمر – رضي الله عنه – قال عمر: (يا معشر العريب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان خير له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاك له ولهم)أخرجه برقم: ٢٥٧ باب: في ذهاب العلم ١/ ٣١٥.

وهي انتظام الأمور واجتماع الناس، وأن لا يكون بينهم الشقاق والفرقة والاختلاف؛ لأن عاقبة ذلك في الغالب أنها تتقطع السبل، ولا يستقيم للناس حال ولا يهدأ لهم بال، فلا أعمال تقام، ولا شريعة وحدود تطبق؛ ولذلك كان الذين ينادون بالخروج على الحكام وينزعون أيدي الطاعات منهم هم قوم خالفوا الشرع والفطرة، فحصل لهم انتكاس لا انتكاس مثله شر منه – والعياذ بالله –.

المبحث الأول
لزوم جماعة المسلمين وإمامهم

المطلب الأول: المراد بالجماعة والإمامة:

الجماعة لغة: مأخوذة من الاجتماع، وهو ضد التفرق، يقال: جمع الشيء عن تفرقة فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به من هنا وهاهنا[1].

وشرعا عرفت بعدة تعريفات حاصلها يرجع إلى شيئين:

الأول: أنها ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته – رضي الله عنهم – من الاعتقاد والقول والعمل مما لا يسوغ لأحد من المسلمين أن يخالفه.

الثاني: أنها الاجتماع على خليفة شرعي، وطاعته بالمعروف، وحرمة منازعته الأمر ما لم تتحقق في ذلك شروط المنازعة والخروج.

والمعنى الأول أصل من أصول الدين بل هو الدين كله، والذي يعنينا هنا هو المعنى الثاني الذي هو أيضا لا يقل أهمية عن المعنى الأول إذ النصوص في كلا المعنيين المرادين أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.

وأما الإمام، فهو لغة: المتقدم لهم، ويكون الإمام رئيسا، كقولك: إمام المسلمين[2] وهو الذي يقتدى به[3].

وشرعا يطلق على عدة إطلاقات، الذي يعنينا منها هو أنه: من حكم، ولزم له السمع والطاعة سواء كان وصوله للحكم بالطرق المشروعة أو غيرها.

ويدل على ذلك أدلة كثيرة، منها: قول أبي ذر – رضي الله عنه –: (أمرني رسول الله ﷺ أن أسمع وأطيع، ولو لعبد حبشي مجدع الأطراف)[4].

---

(١) مختار الصحاح: ١/ ٦٠.

(٢) تهذيب اللغة ١٥ / ٤٥٨.

(٣) لسان العرب ١٢/ ٢٥ و مختار الصحاح ١/ ٢٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٤٨.

فتعبيره ﷺ بالعبد الحبشي المجدع الأطراف بيان لنقصان صفات الإمارة منه من جميع الوجوه:

فمن جهة القدرة على التصرف فهو عبد وليس بحر، ومن جهة النسب فهو حبشي وليس بقرشي بل ولا عربي، ومن جهة الخلقة فهو مجدع الأطراف غير قادر على القيام بأمور نفسه.

قال ابن تيمية – رحمه الله –: (ولهذا كان مذهب أهل الحديث: ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة، والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر)[1].

المطلب الثاني: نصوص الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة في وجوب لزوم جماعة المسلمين والسمع والطاعة لإمامهم:

لقد أوجب الله تعالى طاعة أولي الأمر، والسمع والطاعة بالمعروف، وذلك كما ذكرت أن ولي الأمر يقوم به الدين، وتصان الأنفس والأعراض، وتحفظ الأموال، وتحصن الثغور، ويدحر العدو، وتتألف القلوب، ويوحد صف الكلمة.

وقد قرن الله تعالى طاعة ولي الأمر بطاعته – عز وجل –، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2].

وقال حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه –: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال: (نعم)، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟قال: (نعم، وفيه دخن...) قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك ؟قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك)[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٤٤.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٩٩.

وقال رسول الله ﷺ: (ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط بهم من ورائهم)[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنظم مصالح الدنيا والآخرة)[2].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: (ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها)[3].

وقال ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)[4] وعند أحمد زيادة: (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)[5].

وقال عمر – رضي الله عنه –: (لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة)[6].

وقال أيضا – رضي الله عنه –: (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة)[7].

وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: (أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)[8].

وفيما سبق سقت بعض النصوص التي تأمرنا بلزوم الجماعة التي من لوازمها الاجتماع على إمام الذي من لوازمه السمع والطاعة له، وكما مر معنا أثر عمر – رضي الله عنه –.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣٥ / ٤٦٧ والترمذي في الجامع ٥ / ٣٤.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ١٨-١٩.
(٣) مسائل الجاهلية: ٧.
(٤) رواه مسلم في صحيحه٣/ ١٣٤٠.
(٥) رواه أحمد في مسنده ١٤ / ٤٠٠.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٤٩٩.
(٨) رواه ابن عبد البر في التمهيد، وقال: (وقيل عن حبل الله: القرآن وصراط الله، ومؤدى هذه التفسيرات واحد ولا اختلاف بينها إلا من جهة التنوع، فكتاب الله هو الصراط المستقيم، والكتاب والصراط فيهما الأمر بالألفة والنهي عن الفرقة)٢١/ ٢٧٣.

وهذه النصوص الدالة على ما في الباب كثيرة جدا، لكنه لما كان المجال مجال اختصار اقتصرت في ذلك على بعض منها، وفيما يلي اعتقاد بعض أئمة السنة حول هذه العبادة العظيمة:

فقد قال الإمام سفيان الثوري – رحمه الله – في ضمن كلامه على اعتقاده: (والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل)[1].

وقال إمام دار الهجرة مالك بن أنس – رحمه الله –: (وسلطان جائر سبعين سنة خير من أمة سائبة ساعة من نهار، والجهاد مع الأمة وإن جاروا، والحج معهم)[2].

وقال ابن المبارك في قصيدته المشهورة في بيان اعتقاده:

(إن الجماعة حبل الله فاعتصموا بها هي العروة الوثقى لمن دانا الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ورضوانا لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبا لأقوانا)[3]

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – مبينا اعتقاده الذي يعتقده: (والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يخرج عليهم بالسيف)[4].

و ذكر إسحاق ابن راهويه عند كلامه في هذه المسألة حديث النبي ﷺ ثم ذكر هلاك من خالفه، فقال – رحمه الله –: (قال ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم) قالوا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من واليكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، و لا تنزعوا يدا من طاعة) قال: والسنة على ذلك وفيها هلاك المرجئة)[5].

وقال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – في أصول السنة: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس

---

(١) الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر: ١١٧.

(٢) المرجع السابق: ١٨٣.

(٣) المرجع السابق: ٢٠٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٤٤.

(٥) المرجع السابق: ٣٠٣.والحديث رواه مسلم برقم: ١٨٥٥، ٣/ ١٤٨١.

عليه، ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين)[1].

وقال الإمام البخاري في بيان اعتقاده الذي وجد عليه أسلافه في جميع الأمصار: (وأن لا ننازع الأمر أهله؛ لقول النبي ﷺ: (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الامر، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) ثم أكد في قوله: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)[2].

وقالا أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين في بيان اعتقادهما: (ولا نرى الخروج على الأئمة، ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله – عز وجل – أمرنا، ولا ننزع يدا من طاعة)[3].

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني – رحمه الله – في ذكر الإجماع في أصول السنة واعتقاد السلف مع تسمية الفرق المخالفة لأهل السنة: (والانقياد لمن ولاه الله أمرك، لا تنزع يدك من طاعة، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا، وأن لا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخارق مفارق للجماعة)[4].

وقال أبو عوانة الإسفراييني – رحمه الله –: (والسمع والطاعة لولاة الأمر في العسر واليسر ولو كان عبدا حبشيا، وتجب طاعته وإن لم يهتد بهدي النبي ﷺ، ولم يستن بسنته، وإن ضرب ظهور رعيته، وتجب طاعته في جميع ما يدعو إليه، واتباعه في ذلك ما لم يأمر بمعصية الله تعالى، فإذا أمر بمعصية فلا سمع له ولا طاعة، والصبر عليهم وإن جاروا وظلموا، واستأثروا بالمال، وترك التعرض لهم، وقال ﷺ: (خيار أئمتكم: الذين تحبونهم ويحبونكم، وشرار أئمتكم: الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) قالوا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف ؟قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من واليكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة) قال إسحاق بن راهويه:

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد: ٤٢.

(٢) الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر: ٤٥٩.والحديث سبق الكلام عليه.

(٣) المرجع السابق: ٥٢٢.

(٤) المرجع السابق: ٥٧٤.

(السنة عليه، وفيها هلاك المرجئة)، وعليك عند الفتن بالجماعة والإمام، فإنها لك عصمة)[1].

وقال الحسن بن علي البربهاري – رحمه الله –: (والسمع والطاعة للأمة فيما يحب الله ويرضى... ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة، ولا يرى أن ليس عليه إمام برا كان أو فاجرا... ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليهم وإن جاروا، وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري – رضي الله عنه –: (اصبر، وإن كان عبدا حبشيا)، وقوله للأنصار – رضي الله عنه –: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض) وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدنيا والدين)[2].

وقال أبو زيد القيرواني – رحمه الله –: (والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم)[3].

وقال ابن بطة العكبري – رحمه الله –: (ولا تخرج بالسيف على الأئمة، وإن ظلموا، وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: (إن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر)، وقال النبي ﷺ لأبي ذر – رضي الله عنه –: (اصبر وإن كان عبدا حبشيا)، وقد أجمعت العلماء من أهل العلم والفقه والنساك والعباد والزهاد منذ أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا:

أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنى وعرفات، والغزو والحج والهدي: مع كل أمير بر وفاجر، وإعطاءهم الخراج والصدقات والأعشار: جائز)[4].

فهذه جملة من اعتقاد أئمة السلف الأولين، و قد تبين لنا من خلالها أن هذه المسألة هي من أصول مذهب أهل السنة والجماعة، فهذا دين الله وسنة رسوله ﷺ وعقيدة سلفنا

---

(١) المرجع السابق: ٨٣٤ –٨٣٥، والحديث قد سبق تخريجه.

(٢) المرجع السابق: ٨٤٧ –٨٤٨، والحديث الأول سبق الكلام عليه، والثاني: رواه البخاري ٥/ ٣٣ ومسلم٢/ ٧٣٨.

(٣) المرجع السابق: ٩١٢.

(٤) المرجع السابق: ٩٥٨ –٩٥٩، وأثر عمر – رضي الله عنه – لم أقف على من ذكره، و الأثر الثاني قد سبق الكلام عليه.

في هذا الأصل، فليأتنا المخالفون والضالون الطريق بعقيدة سلفهم وما حججهم في مقابل هذه النصوص؟!!

ثم إننا – بحمد الله – في هذا البلد المبارك: المملكة العربية السعودية ننعم بجماعة فيها كثير من العلماء الراسخين، اجتمعوا على إمام، ودانوا له بالسمع والطاعة، ولم ينزع أحدا منهم يدا من طاعة، والجميع من العلماء والإمام يأمر بالتوحيد والطاعات ويمتثلها، وينهى عن الشرك والبدع والمعاصي ويجتنبها، فلزوم هؤلاء والالتفاف حولهم هو لزوم للجماعة، ومخرج من الفتنة – بإذن الله –.

ولذلك قال الإمام عبد العزيز بن باز – رحمه الله –: (العداء لهذه الدولة: عداء للحق، عداء للتوحيد).

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –: (أشهد الله تعالى على ما أقول، وأشهدكم أيضا أنني لا أعلم أن في الأرض اليوم من يطبق شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن، أعني: المملكة العربية السعودية)[1].

وقال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –: (الدولة السعودية منذ نشأت وهي تناصر الدين وأهله، وما قامت إلا على هذا الأساس، وما تبذله الآن من مناصرة المسلمين في كل مكان بالمساعدات المالية، وبناء المراكز الإسلامية والمساجد، وإرسال الدعاة، وطبع الكتب وعلى رأسها القرآن الكريم، وفتح المعاهد العلمية، والكليات الشرعية، وتحكيمها للشريعة الإسلامية، وجعل جهة مستقلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل بلد؛ كل ذلك دليل واضح على مناصرتها للإسلام وأهله، وشجا في حلوق أهل النفاق وأهل الشر والشقاق، والله ناصر دينه ولو كره المشركون والمغرضون، ولا نقول: إن هذه الدولة كاملة من كل وجه، وليس لها أخطاء فالأخطاء حاصلة من كل أحد، ونسأل الله أن يعينها على إصلاح الأخطاء)[2].

---

(١) انظر: فقه إمام المسجد في التوقي من الفتنة للشيخ الدكتور: عبد الله أبا حسين، ص: ٤٠ –٤١.

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة: ٢٠٥ –٢٠٦.

المطلب الثالث: بعض ذرائع الزائغين والمخالفين لتفريق جماعة المسلمين:

الفرع الأول: الكلام في إمام جماعة المسلمين بالسب والتنقيص منه:

قال ﷺ: (لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب)[1].

وقال عبد الله بن عكيم – رضي الله عنه – في الأثر المشهور عنه: (لا أعين على دم خليفة أبدا بعد عثمان – رضي الله عنه –)، فقيل له: يا أبا معبد أو أعنت على دمه ؟فقال: (إني أعد ذكر مساويه عونا على دمه)[2].

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: (قتل عثمان كان أشد أسبابه: الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم)[3].

وقال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله –: (وليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛لأن ذلك يفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير. أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل: فينكر الزنا وينكر الخمر وينكر الربا من دون ذكر من فعله، فذلك واجب؛ لعموم الأدلة.

ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر من فعلها لا حاكما ولا غير حاكم.

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان – رضي الله عنه – قال بعض الناس لأسامة بن زيد – رضي الله عنه – ألا تكلم عثمان ؟فقال: إنكم ترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم ؟ إني أكلمه فيما بيني وبينه دون أن افتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من افتتحه.

ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان – رضي الله عنه – وأنكروا على عثمان علنا عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم حتى

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في: السنة ٢/ ٤٨٨، والبيهقي في: شعب الإيمان ١٠/ ٢٧.

(٢) أخرجه ابن سعد في: الطبقات ٣/ ٥٨، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٦.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٣/ ١٣.

حصلت الفتنة بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما –، وقتل عثمان وعلي – رضي الله عنهما – بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنا، حتى أبغض كثير من الناس ولي أمرهم وقتلوه، وقد روى عياض بن غنم الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه) نسأل الله العافية والسلامة لنا ولإخواننا المسلمين من كل شر إنه سميع مجيب)[1].

وقال سماحته أيضا في الأسباب الشرعية لمناصحة ولاة الأمور: (الأسباب الشرعية: المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق السليمة، الطرق التي سلكها أهل العلم وسلكها أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان بالمكاتبة والمشافهة مع المخطي ومع الأمير ومع السلطان، الاتصال به، ومناصحته، والمكاتبة له دون التشهير في المنابر وغيرها، بأنك على كذا وصار منه كذا)[2].

وقال الشيخ العلامة صالح الفوزان – حفظه الله –: (شحن الغل والحقد على ولاة الأمور في قلوب العامة هو من عمل المفسدين والنمامين؛الذين يريدون إشاعة الفوضى، وتفكيك المجتمع الإسلامي، وقد حاول المنافقون قديما مثل هذا عندما أرادوا أن يفصلوا المسلمين عن رسول الله ﷺ؛ ليفككوا المجتمع، وقالوا: ﴿ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ﴾[3] فمحاولة الفصل بين الراعي والرعية هي من عمل المنافقين، المفَسدين في الأرض، الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[4].

والناصح لأئمة المسلمين وعامتهم على العكس من ذلك؛ فهو يسعى في تحبيب الرعاة إلى الرعية، وتحبيب الرعية إلى الرعاة، وجمع الكلمة، وتجنب كل ما يفضي إلى

---

(١) مسائل وفتاوى في قضايا مهمة ٨٠ –٨١، و أثر أسامة بن زيد – رضي الله عنه – رواه أحمد في المسند ٣٦/ ١١٧. وأثر رياض بن غنم مرفوعا رواه أحمد في المسند ٢٤/ ٤٩.

(٢) المرجع السابق: ٨١.

(٣) سورة المنافقون: ٧.

(٤) سورة البقرة: ١١.

الخلاف)[1].

فتنقيص إمام المسلمين وتهوينه وسبه وشتمه يوغر الصدور، وينبت نبذ الإمام، وعدم الاعتداد بتصرفاته وتوجيهاته مما يجر بالأمة إلى الويلات والهلاك في الدنيا والآخرة – نسأل الله العافية والسلامة –.

الفرع الثاني: الكلام في الراسخين من أهل العلم والتجرؤ عليهم بالإشارة أو بصريح العبارة:

فإن هذا الأمر مما يعود على الاجتماع بضده من التفرق، وإن للعلماء الراسخين مكانة عظيمة في شريعة الإسلام، فقد أشهدهم الله – سبحانه وتعالى – على أعظم أمر وهو: وحدانيته سبحانه، حيث قرنهم سبحانه به وبملائكته فقال – عز من قائل –: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾[2] كما قد أخبر سبحانه بأنهم هم أهل خشيته الحقيقيون، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3] وهم المستحقون لرفعته سبحانه لهم حيث يقول الله تعالى: ﴿ يَرْفَعْ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[4]، وقد أخبر النبي ﷺ أنهم ورثة الأنبياء، فقال ﷺ: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا، وإنما ورثوا العلم)[5].

ويقول الله تعالى في شأن من عادى أولياءه كما في الحديث القدسي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)[6].

قال الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي – رحمهما الله تعالى –: (إن لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي)[7].

ولأجل خطورة الكلام في العلماء فقد تناول العلماء الكلام عن هذا الأمر في كتب

---

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة: ٢١٤ –٢١٦.
(٢) سورة آل عمران: ١٨.
(٣) سورة فاطر: ٢٨.
(٤) سورة المجادلة: ١١.
(٥) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٤٨.
(٦) صحيح البخاري: ٨/ ١٠٥.
(٧) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: ٢٩.

العقيدة، فها هو أبو جعفر الطحاوي – رحمه الله – يقول: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل)[1].

يقول الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله –:

(سيكون هناك من يهون من شأنهم – يعني: العلماء – من يجهلهم، من يستغفلهم، من يقول: ناس صالحون، ولكن ما يعرفون الواقع، ما يعرفون كذا، كل هذا يجب على المسلم أن لا يلتفت إليه: (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) لا نجاة إلا بهذا: لزوم جماعة المسلمين)[2].

فهم – أعني: العلماء الراسخين – قاعدة متينة للنجاة من الفتن، وإذا كان كذلك فمهما استجدت المستجدات وتتابعت الفتن، فإن ثوابت أهل السنة لا تتغير ولا تتزحزح – والحمد لله –.

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني – رحمه الله –: ٨٢.

(٢) فقه إمام المسجد في التوقي من الفتنة: ٤٨، والحديث الذي ذكره رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٢١٨.

المبحث الثاني
بدعة الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم

المطلب الأول: مفهوم الخروج:

لغة: الفعل: خرج نقيض دخل، والخرج خلاف الدخل[1]، والخروج مصدر الفعل وقيل الخروج: هو النفاذ عن الشيء[2].

فيقال: فلان خارج على الإمام الحق، أي: لم يدخل في طاعته.

والخوارج مفرد خارجي نسبة إلى هذه الكلمة: الخروج.

وهم شرعا: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، وسواء كان ذلك الخروج بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد، وسواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان[3].

المطلب الثاني: الأحاديث والآثار الواردة في ذم الخوارج:

فإنه قد مر معنا الكلام على: نصوص الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة في وجوب لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وفي ذلك المطلب بينت: وجوب لزوم الجماعة و ذلك بالسمع والطاعة لمن تولى الإمامة، وفيما سبق من نصوص قد نقلتها فيها أيضا: بيان شر وخبث الخوارج حيث لم يلتزموا بهذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة، وفيما يلي أيضا جملة من النصوص والآثار الواردة في شأن الخوارج تحديدا:

فعن عرفجة الأشجعي – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من

---

(١) الصحاح ١/ ٣٠٩.

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ١٧٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤، وهذا التعريف هو المختار في مجلة البحوث الإسلامية، الجزء: ٤٠، ص: ٢٢٢، وقد أضفت إليه: وسواء كان ذلك الخروج بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد حتى تجتمع بذلك الأدلة، و حتى يشتمل التعريف على جميع أنواع المعرف.

أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)[1].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: (إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائنا من كان)[2].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك فاسمع وأطع)[3].

وبهذه النصوص وما سبق منها في المطالب السابقة يعلم ما أوجبه الله تعالى من طاعة الحكام وولاة الأمور، وحرمة الخروج عليهم؛ لما فيه من هلاك الحرث والنسل.

قال إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله –: (أصول السنة عندنا... إلى أن قال: ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها...فذكر أمورا ثم قال: والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي: أمير المؤمنين...ومن خرج على إمام المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق)[4].

وقال حرب بن بن إسماعيل الكرماني – رحمه الله –: (وأما الخوارج: فمرقوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا على الإسلام، وشذوا عن الجماعة، وضلوا عن سبيل الهدى، وخرجوا على السلطان والأئمة، وسلوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم

---

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٧٩.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ١٤٧٦.

(٤) أصول السنة للإمام أحمد: ١، ٤٥ –٤٧.

وأموالهم، وأكفروا من خالفهم إلا من قال بقولهم، وكان على مثل رأيهم، وثبت معهم في دار ضلالتهم...وعدد صفاتهم، ثم قال: وأشياء كثيرة يخالفون فيها الإسلام وأهله، فكفى بقوم ضلالة يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم، وليسوا من الإسلام في شيء. وهم المارقة.

ومن أسماء الخوارج: الحرورية والأزارقة والنجدية والإباضية والصفرية والبيهسية والميمونية والخازمية، كل هؤلاء خوارج، فساق، مخالفون للسنة، خارجون من الملة، أهل بدعة وضلالة، وهم لصوص قطاع قد عرفناهم بذلك)[1].

وقال الآجري – رحمه الله تعالى -: (لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله – عز وجل -، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم؛لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون ويهمون على المسلمين، وقد حذرنا الله – عز وجل – منهم، وحذرنا رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان – رحمة الله عليهم -...)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بعد أن ذكر حديث النبي ﷺ في الخوارج من أنهم: (شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه)[3] قال: (أي: أنهم شر على المسلمين من غيرهم،، فإنهم لم يكون أحدا شر على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم مكفرين لهم، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة)[4].

وبهذه النصوص والآثار نعلم: شناعة وخبث هذا المذهب الرديء الذي وما زال أهله يكيدون للإسلام ويريدون أن ينالوا منه، فما من بلاد استقر فيها الأمن والأمان إلا و عمدوا إلى أهلها بالتحريض و حمل السلاح وسفك الدم، وليس ذلك والله من الإسلام في

(١) انظر: الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر: ٥٩١ -٥٩٣.
(٢) الشريعة للآجري ١/ ٣٢٥.
(٣) رواه الترمذي في سننه وحسنه: ٥/ ٧٦.
(٤) منهاج السنة ٥/ ٢٤٨.

شيء، ولما رأوا الأمن في هذه البلاد يضرب أطنابه – وبفضل من الله – لم يرق لهم ذلك فما من سبيل شر إلا وسلكوه من أجل الوصول إلى أهدافهم ومطامعهم الدنيئة، والتي يمقتها ويمجها العقل والفطرة، فضلا عن الشرع.

وإن بعض الذين يتولون كبر هذه الإفتراءات المشينة والعدائية، هم ممن يزعمون أنهم يبحثون عن الحق، ويريدون الإصلاح، فأين هم من الحق والإصلاح ؟ بعدوا عنهما كما بعدت الثريا من الثرى، فنقول لهم: اتقوا الله وخافوه وراقبوه، وما دام أن بلاد الحرمين الشريفين رائدها وقائدها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، (عقيدة، وشريعة، وأخلاقا) فإنها سائرة إلى الإمام بخطى ثابتة وواثقة، ومنصورة بإذن الله، ولا يزيدها إرجاف المرجفين، ونعيق الناعقين إلا قوة وشدة عليهم وعلى أمثالهم، وحرصا على التمسك بشرع الله.

المطلب الثالث: خطر الخروج وآثاره السيئة في تمزيق المسلمين، والتفريق بينهم:

فلا شك أن من نعم الله سبحانه وتعالى على الناس أن يجعل لهم من أنفسهم من يتولى أمرهم، ويحكم فيما بينهم، ويحفظ لهم حقوقهم – وقد ذكرنا هذا مرارا وتكرارا –.

وقد حذرنا علماؤنا من الخروج على الحكام؛ لما في ذلك من فساد في الدين والدنيا[1]، أما الدين؛ فذلك لصراحة النصوص وكثرتها في هذا الباب إذ القيام بها هو طاعة لله ولرسوله ﷺ قبل أن يكون طاعة لأي أحد، وإن أهل الجاهلية ومن تابعهم في اعتقادهم كانوا لا يعتبرون ذلك إلا ذلة ومهانة؛ ولذلك كانت المسألة الثالثة من مسائل الجاهلية التي كتب فيها شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب هذه المسألة، حيث قال فيها: (أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد لها فضيلة، والسمع والطاعة ذل ومهانة، فخالفهم رسول الله ﷺ، وأمر بالصبر على جور الولاة، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة، وغلظ في ذلك، وأبدأ فيه وأعاد...)[2].

وأما فساد الدنيا فالواقع أكبر شاهد على ذلك، وقد صدق السلف حيث قالوا:

---

(١) وقد مرت معنا هذه المقولة في بيان اعتقاد البربهاري في هذه المسألة العظمى.

(٢) مسائل الجاهلية: ٧.

(ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان)[1]، ولذلك شدد السلف في أن يبيت أحد ليلة ولم يبايع أو أن يبيت المسلمون دون أن ينصبوا لهم خليفة؛ ولذلك كان من أول ما يفعل المسلمون -- ومنذ وفاة النبي ﷺ - بعد وفاة الخليفة هو: اشتغالهم بتنصيب الإمام.

قال البربهاري – رحمه الله -: (ولا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن عليه إمام برا كان أو فاجرا)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبينا الحال التي لم يكن يوما غيرها حال خروج الأمم على حاكمها: (ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته)[3].

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – مبينا بعض آثار الخروج: (الصبر على طاعة الإمام الجائر أولى من الخروج عليه؛ لأن في منازعته والخروج عليه:

- استبدال الأمن بالخوف.
- وإراقة الدماء.
- وانطلاق أيدي السفهاء.
- وشن الغارات على المسلمين.
- والفساد في الأرض)[4].

وفي ختام هذا المطلب أذكر بشيء من الترتيب بعضا مما يترتب على الخروج من مفاسد ومخاطر عظيمة لايسلم منها: لا الذكر ولا الأنثى، ولا الكبير ولا الصغير، و لا الغني ولا الفقير، فالناس مشتركون في اختلال الأمن و ضيق العيش إلى غيرها مما سأذكره – إن شاء الله تعالى – فأقول – وبالله التوفيق-: إن من تلكم المفاسد والآثار التي يخلفها الخروج على الحكام، منها:

---

(١) ذكرها وأقرها شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – في المجموع: ٢٨/ ٣٩١.
(٢) الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر: ٨٤٨.
(٣) منهاج السنة النبوية: ٣/ ٣٩١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢/ ١٠٩.

١- ترك الامتثال لما أمر به الله سبحانه ورسوله ﷺ وارتكاب ما نهيا عنه، والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[١].

٢- الخروج عن الجماعة، والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٢]، والرسول ﷺ يقول: (عليكم بالجماعة)[٣].

٣- التفرق والاختلاف، والله سبحانه يقول: ﴿ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥].

٤- اختلال الأمن وبث الرعب في قلوب الناس، وإذا اختل الأمن فلا تستغرب ما يحصل بعده من أشياء لم تكن بالحسبان.

٥- القتل وما يترتب عليه من: ترميل النساء، وتيتيم الأطفال، وهو أعظم الكبائر بعد الشرك بالله، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾[٦]، ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة جدا، فعلى المسلم أن يعي هذا جيدا.

٦- تسلط الأعداء على المسلمين كما حصل هذا كثيرا، والواقع أكبر شاهد على ذلك.

٧- الخسائر المادية التي تلحق بالأمة حال خروجها، وذلك كهدم المنازل والمنشآت وغيرها.

---

(١) سورة النساء: ١٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.
(٣) رواه الترمذي في سننه، وقال: حديث حسن صحيح: ٤/ ٤٦٥.
(٤) سورة الروم: ٣١ –٣٢.
(٥) سورة آل عمران: ١٠٥.
(٦) سورة النساء: ٩٣.

٨- إضعاف المسلمين وتشتتهم بعد أن كانوا مهابي الجانب.

٩- غلاء الأسعار، ولربما ما خرج الناس إلا بسبب هذا، وما يدرون أنه إذا وقع الخروج والحرب ترتفع الأسعار، بل تنعدم الأغذية والأدوية، وتشح المياه، وكم من الناس من مات بسبب العطش؛ لعدم وجود الماء حال الخروج و المظاهرات ؟!.

١٠- إهلاك الحرث والنسل وانتشار الفساد، وذلك بانتهاك الأعراض و اغتصاب الأموال و نهبها وسرقتها وغيرها من المفاسد.

١١- تعطل كثير من المصالح، وتضييع الحقوق.

وما ذكرته يشهد له الواقع الذي نعيشه اليوم، وذلك أكبر دليل عليه، فلينظر العاقل من حوله ممن خرجوا، ماذا حصل لهم بالخروج ؟! إن تحقق لهم فيها مصلحة فأضعاف أضعافها من المفاسد قد حلت بهم؛ ولذلك ينبغي على المسلمين أن يعرفوا من يسألوا ويصدروا عنهم في فتاويهم، فبذلك والله سلامتهم في دنياهم وأخراهم، ولا يتبعوا كل جاهل وناعق يريد أن يجر بالأمة إلى الويلات والمهاوي التي لا تعود على الأمة إلا بالشر والفساد والإفساد – نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأل الله سبحانه أن يحفظ على بلاد المسلمين الأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان، وأن يفرج هم إخواننا في كل مكان-.

وأختم هذا المطلب بأبيات كان السلف يذكر بعضهم بعضا بها زمن الفتن، فيقول فيها الشاعر:

الحرب أول ما تكـــون فتيـــة تسعى بزينتها لكـــل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها ولت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء ينكـــــر لونها وتغيرت مكروهة للشم والتقبيـــــل[1].

(١) العقد الفريد لأبي عمر الأندلسي: ١/ ٨٦.

المطلب الرابع: مسائل مهمة حول الخروج على ولي الأمر:

المسألة الأولى: أنواع الخروج:

١- الخروج الفعلي، وذلك: بحمل السلاح و استخدام القوى الحربية. وهذا قد سبق الكلام عليه.

٢- الخروج القولي: وهذا لا شك أنه هو مبدأ الخوارج حينما قال ذلك الخارجي للنبي ﷺ: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل)[١] فقال له النبي ﷺ ما قال مما هو معلوم، وهل يشك في أن هذا هو بداية الخروج أحد؟!

والعلماء قد تكلموا عن الخوارج القعدية، وهم الذين يخرجون وهم قعود أي: جلوس، وذلك بخروجهم باللسان بالتحريض وشحن قلوب الرعية على الحاكم، وذلك خطر عظيم، قال ابن حجر – رحمه الله -: (والقعد الخوارج، كانوا لا يرون الحرب، بل ينكرون على أمراء الجور حسب الطاقة ويدعون إلى رأيهم ويزينون مع ذلك الخروج ويحسنونه)[٢].

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله -: (هذا مبدأ الخوارج، خرج على النبي ﷺ في أنه اتهمه بالجور، وليس من شرط الخوارج حمل السلاح... وإذا حرض على ولي أمر المسلمين بالخطب والكتابات، ولو لم يحمل السلاح، هذا مذهب الخوارج)[٣].

وقال – حفظه الله -: (الخروج على الأئمة يكون بالخروج عليهم بالسيف وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام: بسبهم وشتمهم، والكلام فيهم في المجالس، وعلى المنابر، هذا يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولي الأمر، وينقص قدر الولاة عندهم، هذا خروج، فالكلام خروج)[٤].

٣- الخروج بالاعتقاد: وهذه الدرجة هي الأساس الذي ينطلق منه هؤلاء المارقون في

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٢٣/ ١٢٣، وابن حبان في صحيحه: ١١/ ١٤٨، وصححه الألباني – رحمه الله – في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: ٧/ ١٧٩.

(٢) تهذيب التهذيب: ٨/ ١٢٩.

(٣) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة: ١٤.

(٤) من محاضرة ألقاها الشيخ بمسجد الملك فهد بالطائف بتاريخ: ٣-٣-١٤١٥ هـ، والمادة موجودة على موقع معاليه الرسمي بعنوان: (صور الخروج على الأئمة).

خروجهم وتكفيرهم الحكام.

قال الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله -: (فالخوارج أصناف، فمنهم من يحمل السلاح وينطق مثل هذا الرجل الذي قال للرسول ﷺ، ومنهم من يكتب، ومنهم من يعتقد بقلبه ولا يفعل شيء، لكن في عقيدته وفي قلبه عقيدة الخوارج، ولكن بعضهم أشد من بعض)[1].

المسألة الثانية: مكونات الخروج:

يتكون مذهب الخوارج من عدة اعتقادات قد تناول العلماء الكلام عليها بالبسط والتفصيل، وأبرز هذه المكونات هي:

١- تكفير المسلمين، وهذا طريقهم؛ للخروج على الحكام وبالتالي استباحتهم الدماء.

٢- الخروج عن طاعة ولي الأمر، وهذا شعارهم ومبدأهم، وهو موضوع بحثنا.

٣- استباحة دماء المسلمين.

فهذه أشهر ومجمل عقائدهم وإلا فهي كثيرة جدا علما بأنه: لا يشترط عند أهل السنة لكون الرجل من الخوارج كونه يكفر بالكبيرة، فالنصوص والآثار الواردة في هذا الباب كلها لا تتطرق لذلك بل فيها: الخروج على الحكام، وإنما صار ذلك من شعارهم بعد ما أحدث القول بالتكفير بالكبيرة نافع الأزرق كما ذكر ذلك أهل العلم[2].

المسألة الثالثة: نصيحة الشيخ صالح الفوزان حول الحرب الإعلامية التي يشنها أعداء هذه البلاد؛ لتمزيق جماعتهم والخروج على إمامهم:

قال – حفظه الله – في جواب سؤال وجه إليه حول بعض القنوات الفضائية وبعض المنتديات في الانترنت والتي تدعو إلى نزع يد الطاعة لولاة أمر هذه البلاد وخلع البيعة عنهم:

(نعم هذه البلاد مقصودة ومغزوة؛ لأنها هي البلاد الباقية التي تمثل منهج السلف الصالح وهي البلاد الآمنة من الفتن ومن الثورات ومن الانقلابات، فهي بلاد – ولله الحمد – يرفرف عليها الأمن والأمان ومنهج السلف الصالح، فهم يريدون أن ينتزعوا

(١) المرجع قبل السابق: ١٥.

(٢) انظر: القصة الكاملة لخوارج عصرنا للشيخ إبراهيم المحيميد ص: ٤٢٦.

هذه الخصائص ويجعلونها بلاد فوضى، ويكون فيها قتل وتقتيل كما في البلاد الأخرى، فعلينا أن نحذر هؤلاء وأن نحذر منهم، ولا نأتي بهذه القنوات لبيوتنا ولأولادنا؛ ليشاهدوا هذه الفتن وهذه الشرور وينشأوا عليها، يجب أن تحمى البيوت من هذه القنوات الفضائية، وأن يمنع الأولاد من الذهاب إلى للمقاهي التي فيها هذه القنوات وهذا الإنترنت، على الآباء أن يمنعوا أولادهم من الذهاب إلى هذه المقاهي التي فيها هذه المفاسد، فهم المسؤولون عنهم)[1].

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة: ١٣.

الخاتمـــة:

وختاما أقول: إن مما لا شك فيها وكما قد سبق: أن هذا المذهب وهذا الفكر هو من شر وأخبث المذاهب التي ما تخدم ولا تفرح إلا أعداء الإسلام، وما جاءت هذه الأفكار و ما جاء هذا المنهج إلا للنيل من المسلمين: اجتماعهم ولحمتهم و قبل ذلك: أنفسهم وأرواحهم.

وعلى المسلم أن لا يغتر بمن ينادي لذلك حتى ولو كان ظاهره الصلاح، فإن إظهار الاستقامة والصلاح هو طريق الخوارج والرافضة وغيرهم من أعداء الإسلام والسنة، فذلك طريقهم لجمع الناس والتفافهم حولهم، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال عنهم: (تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم).

والإنسان العاقل البصير يعتبر بما مضى في سلف هذه الأمة من العواقب الوخيمة التي ترتبت على الخروج على ولي الأمر، وقد ذكرنا طرفا منها في بعض المباحث.

ثم إنه يجب على المسلم قبل ذلك كله أن يعتقد هذه العبادة العظيمة، ويعمل بها، وهي: عبادة السمع والطاعة وعدم الخروج مهما كانت الظروف إلا في نطاق ضيق قد حدده الشارع الحكيم.

وقد ضرب لنا السلف كالإمام أحمد و الإمام مالك وغيرهم كثير أروع الأمثلة في الصبر على ذلك رغم ما وجدوه من تعذيب وسجن و غيره من أنواع المشاق والمصاعب التي تكبدوها.

وإننا في هذا العالم الإسلامي اليوم تعصف بنا هذه الفتنة والتي قد ذكرها رسول الله ﷺ فها نحن اليوم نراها في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وصدق ﷺ حيث قال: (يخرج من ضئضئي هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه)، فها نحن اليوم وقبلنا سلفنا نشاهد هؤلاء القوم – أخزاهم الله –.

وكنا قد عشنا في هذه الورقات هذا الداء والدواء له من خلال ما ذكرنا من نصوص من الكتاب والسنة وسلف هذه الأمة – أسأل الله سبحانه أن ينفع بها كاتبها و قارئها وسامعها – وذلك؛ ليحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

- أن من سنة الله - سبحانه - في خلقه أن أحوجهم - سبحانه - إلى أن يعيشوا في مجتمع تحت راية إمام يجتمعون عليه، يطبق فيهم شرع الله، وبذلك تستقيم أمورهم في معاشهم ومعادهم، ووفقا لهذه السنة والحكمة العظيمة جاء أمره سبحانه بلزوم هذا الأصل وعدم الابتعاد عنه، وقد رتب على ذلك ما رتب مما هو معلوم.
- أن الجماعة تطلق على معان عدة باعتبارات مختلفة، ومعناها بحسب ما يعنينا في بحثنا هذا هو: الاجتماع على خليفة شرعي، وطاعته بالمعروف، وحرمة منازعته الأمر ما لم تتحقق في ذلك شروط المنازعة والخروج. وأدلته بهذه القيود أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر.
- أن الإمام يطلق على معان عدة وباعتبارات مختلفة، وهو على حسب ما يعنينا في بحثنا هذا: من حكم، ولزم له السمع والطاعة سواء كان وصوله إلى الحكم بالطرق المشروعة أو غيرها. وبهذا يتضح جليا ضوابط هذه المسألة وفق نصوص الكتاب والسنة.
- أن لزوم جماعة المسلمين، والسمع والطاعة لإمامهم من أجل وأعظم أصول أهل السنة، وقد تواترت النصوص الدالة عليه، كما قد كثر كلام السلف حوله.
- أن من أخطر شبه الزائغين ومن أبرز مداخلهم التي يدغدغون فيها الأحاسيس هو: الكلام في إمام جماعة المسلمين، وذلك بالطعن فيه، وتأليب الناس عليه، وهذا مسلك الخوارج القعدية.
- أن من أخطر شبههم و ذرائعهم كذلك؛ لتفريق جماعة المسلمين: كلامهم في الراسخين من أهل العلم والتجرؤ عليهم بالإشارة أو بصريح العبارة، وذلك مما يعود على الاجتماع بضده من التفرق.
- أن التعريف المختار للخوارج هو: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان ذلك الخروج بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد، وسواء كان ذلك في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.

- أن نصوص الكتاب والسنة في بيان خطر الخروج وأهله كثيرة جدا، وقد صاحب بعضها بيان شيء من صفاتهم، كما أن نقول السلف في هذا الباب كثيرة جدا يصعب حصرها.
- أن خروج الناس على الحاكم فيه فساد الدين والدنيا، فأما فساد الدنيا فالواقع أكبر شاهد على ذلك.
- أن الخروج فيما جاء من نصوص حوله غير مقتصر على: الخروج باليد فقط بل يشمل الخروج باللسان وأيضا بالاعتقاد الذي هو أساسه.
- أن مذهب الخوارج مكون من عدة اعتقادات، من جملتها: تكفير المسلمين، و الخروج عن طاعة ولي الأمر، واستباحة دماءهم.
- أنه لا يشترط عند أهل السنة لكون الرجل من الخوارج كونه يكفر بالكبيرة، بل الخروج على الحاكم بمجرده كافٍ لأن يطلق من خلاله على من فعله بأنه خارجي، وذلك بالضوابط المعروفة.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- الإجابات المهمة في المشاكل الملمة للشيخ صالح الفوزان، جمع الشيخ محمد الحصين، الطبعة الثانية.
- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة للشيخ صالح الفوزان، جمع جمال فريحان، ط: مكتب العزيزية للدعوة والإرشاد بالرياض.
- أصول السنة للإمام أحمد، ط: دار المنار – الخرج – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- التبيان في آداب حملة القرآن للنووي، ت: محمد الحجار، ط: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني، ط: دار باوزير – جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- التمهيد لابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي ومحمد البكري، ط: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط: دار المعارف النظامية – الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب اللغة للأزهري، ت: محمد عوض، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- جامع الترمذي، ت: بشار عواد، ط: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨ م
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ت: أبو الأشبال الزهري، ط: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
- الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر، جمع: عادل آل حمدان، ط: دار المنهج الأول للنشر.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

- السلسلة الصحيحة للألباني، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى.
- السنة لابن أبي عاصم، ت: الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٠، هـ.
- سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية.
- سنن أبي داود، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- سنن الدارمي، ت: حسين الداراني، ط: دار المغني للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى –١٤١٢ هـ.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، ط: دار الحديث، ١٤٢٧هـ.
- الشريعة للآجري، ت: الدكتور عبد الله الدميجي، ط: دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- شعب الإيمان للبيهقي، ت: عبد العلي حامد، إشراف مختار الندوي، ط: مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٣٢٣ هـ.
- الصحاح لأبي نصر الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور، ط: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح البخاري، ت: محمد زهير، ط: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني – رحمه الله –، ط: المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد، ط: إحياء التراث العربي – بيروت.
- الطبقات الكبرى لابن سعد، ت: محمد عبد القادر، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- العقد الفريد لأبي عمر الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، عناية: محب الدين الخطيب، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ هـ.

- فقه إمام المسجد في التوقي من الفتنة للدكتور عبد الله أبا حسين، عناية: عبد الجبار عبد العظيم.
- القصة الكاملة لخوارج عصرنا للشيخ إبراهيم المحيميد، ط: مكتبة دار البرازي ودار الإمام مسلم.
- لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- متن الطحاوية بتعليق الألباني، ط: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية١٤١٤ هـ.
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد – المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية.
- مختار الصحاح لزين الدين الرازي، ت: يوسف الشيخ، ط: المكتبة العصرية – بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- مسائل الجاهلية لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –.
- مسائل وفتاوى في قضايا مهمة، إعداد طارق الخويطر، تقديم الشيخ صالح الفوزان، والشيخ عبد الله الجبرين، توزيع جهار الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني.
- المستدرك للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط: الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ
- مقاييس اللغة لابن فارس، ت: عبد السلام محمد، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- الملل والنحل للشهرستاني، ط: مؤسسة الحلبي.
- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

خطورة الانحــراف الفكـري التكفيري على الشباب السعودي

بندر بن ظافر الدهيسي

طالب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين... وبعد

فإن الإسلام هو الدين الخاتم الذي اختاره الله عز وجل للبشرية منذ بعثة محمد ﷺ حتى قيام الساعة، وحمدا لله جل وعلا أن أكرمنا بنعمة الإسلام التي تستلزم منا أن نحافظ على هذا الدين ونتمسك به وندعو غيرنا إلى الوقوف علي لبه وجوهره، ثم هو بالخيار بين أن يعتقه أو لا؛ لأنه ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[1] وواجب علينا أيضاً أن نحمي هذا الدين، ونذب عن حياضه ومحارمه ضد أي معتد أو منتهك لها.

هذا الانتهاك وهذا التعدي قد يأتي أحياناً من بعض المسلمين الذين انحرفوا عن المنهج الإلهي الذي حدد دور هذه الأمة - في الإنسانية - ورسالتها في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2].

وكم عاني الإسلام منذ عصره الأول من هذا الانجراف الفكري والغلو والتنطع والتشدد في الدين متمثلاً في ظهور العديد من الفرق التي حادث عن الوسطية وأولها فرقة الخوارج التي كفرت مخالفيها واستباحت دماءهم، وخرجوا على الحاكم والشرعية في الدولة.

وما زال التاريخ يعيد نفسه حينما ظهرت في القرن الماضي (العشرين) (الرابع عشر الهجري) جماعات تنبت فكر الخوارج وعقيدتهم فشقوا عصا الطاعة، وخالفوا الجماعة وكفروا من خالف فكرهم، وقتلوا النفس التي حرم الله تعالى قتلها بغير حق، وغير ذلك

وواجب على جماعة المسلمين، خاصة ولاة الأمر والعلماء أن يحصنوا الأمة ضد هذه الأفكار الضالة، وأن يصححوا مسار هؤلاء المغالين ويأخذوا بأيديهم إلى طريق الجادة والصواب، ومن هذا المنطلق

فإن خطورة الفكر التكفيري من المسائل المهمة التي قد كثر فيها النزاع من قديم

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٤٣.

الزمان، فلكل قوت وارث، وفي زماننا هذا تكاثرت فيه التكفير ولاسيما تكفير الحكام والشعوب من غير استثناء، واستشري ضررهم وإفسادهم، فسلم منهم الكفار، ولو يسلم المسلمون كما قال النبي صلي الله عليه وسلم في وصفهم (يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان).

وكان للقول بالتكفير عدة أسباب أدت إلى القول به، وهذه الأسباب قد تجتمع كلها أو بعضها لدي من كفر بالباطل.

وهدياً على ماسبق فقد عقدنا العزم بالمشاركة في هذا المؤتمر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك لحث الشباب السعودي، وولاة الأمر والعلماء أن يحصنوا الأمة ضد هذه الأفكار الضالة، وقد اخترت أن يكون موضوع البحث الذي أتقدم به لهذا المؤتمر خطورة الانحراف الفكري التكفيري على الشباب السعودي

أهمية الموضوع:

يرجع أهمية الموضوع وأسباب اختياره للأتي:

- ضلال الكثير من الفرق والجماعات واختلال فهو مهم،والاطلاع على الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير تمنع بإذن الله من الوقوع فيها، فمن عرف الشر كان حرياً به ألا يقع فيه.
- معرفة أسباب هذه المقالة يمكن من خلالها معالجة أصحابها، ولاسيما من أبناء المسلمين الذين تلوثوا بهذه المقالة، فدراسة هذه الأسباب تعتبر تمهيداً لمعالجتها.

خطة البحث:

وتشمل خطة البحث على تمهيد وأربعة مباحث:

- أما التمهيد: ففيه تعريف التكفير وخطره.
- المبحث الأول: الجهل.
- المبحث الثاني: إتباع الهوي.
- المبحث الثالث: التأويل الفاسد.
- المبحث الرابع: مخالطة الجماعات المنحرفة والتلقي عن أصحابها.
- أما الخاتمة: فذكرت فيها أهم النتائج والحلول التي توصلت إليها أثناء البحث.

تمهيد
في تعريف التكفير وخطره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التكفير:

تعريف الكفر في اللغة:

يطلق على الستر والتغطية، قال صاحب لسان العرب: الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معني واحد، وهو الستر والتغطية، تقول العرب للزارع: كافراً؛ لأنه يكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثار إذا أمر عليها مالقه[1]. ومنه قول تعالى:﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[2].

ومنه قيل لليل كافر؛ وذلك لأنه ستر بظلمته كل شيء وغطاه[3].

تعريف الكفر في الشرع:

اختلفت ألفاظ أهل العلم في تعريفه، فقال صاحب تهذيب اللغة:

الكفير نقيض الإيمان [4]. وقال صاحب مفردات ألفاظ القرآن: الكفر هو أن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها [5]. وقال صاحب الإرشاد إلى معرفة الأحكام: الكفر هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ أو جحد بعضه[6].

ويطلق الكفر في الشرع ويراد به تارة الكفر الأكبر وتارة الكفر الأصغر.

والتكفير حكم شرعي مرجعه الكتاب والسنة، والتكفير منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، فالتكفير الحق ما قام الدليل على كونه كفراً وانطبقت الشروط وانتفت الموانع عمن

---

(١) انظر: لسان العرب ١٣/ ٨٥ – ٨٦؛ مختار الصحاح: ٥٧٤.

(٢) سورة الحديد: ٢٠.

(٣) نفس المرجعين السابقين.

(٤) انظر: تذهيب اللغة للأزهري ٤/ ٣١٦٢.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ٧١٥.

(٦) انظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام للسعدي ص: ٢٠٣.

تلبس به، وقامت الحجة الإرسالية عليه، فإن هذا لا يجوز الشك في كفره [1].

وأما التكفير الباطل فهو المخالف للنصوص الشرعية، والضوابط المرعية التي نص عليها الأئمة والعلماء، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزني بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله[2].

والذي أود الإشارة إليه في هذا البحث ذكر أهم أسباب التكفير الباطل المخالف للشرع، والذي لم يقم الدليل عليه.

وهذه الأسباب هي أهم أسباب التكفير في العموم، وقد يكون هناك أسباب أخرى عديدة لكن الغالب منها يندرج تحت هذه الأسباب العامة، وقد تجتمع هذه الأسباب في حق الجماعات والأفراد الذين كفروا بالباطل، وقد يجتمع بعضها أو فرد منها لديهم.

المطلب الثاني: خطـــــر التكـــــفير:

عد بعض العلماء تكفير المسلمين من الكبائر[3]، وذكروا الوعيد الشديد لمن كفر أخاه، وقالوا بأن الأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتي يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضي الدليل الشرعي، والإقدام على التكفير من غير دليل شرعي من سبيل أهل البدع، إذ إن التساهل في التكفير يترتب عليه عدة أمور، يمكن ذكر بعضها:

- افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم والمحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به[4].
- الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه قال النبي ﷺ: (أيما رجل قال لأخيه: يا

(١) انظر: الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير د. عبد العزيز بن جليدان هاجد الظفيري ص: ٢٣٨٣ مقدم لمؤتمر ظاهرة التكفير الأسباب الآثار العلاج.

(٢) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة ٢/ ٤٩٢.

(٣) انظر: إعلام الموقعين ٤/ ٤٨٩.

(٤) انظر: القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني ص ٨٦.

كافر، فقد باء بها أحدهما)[1].

- إن من حكم عليه بالكفر فإن أحكام الكفر تثبت عليه، فتنزل عليه أحكام المرتد المعروفة في كتب الفقه، من عدم الصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين وغير ذلك.

ذكر أبو العباس القرطبي رحمه الله في كتابه المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم[2] "وباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئاً ". وكذا نجد ابن عساكر رحمه الله لما أورد جملة من الأخبار فيما التحذير من التكفير: " فهذه الأخبار تمنع من تكفير المسلمين، فمن أقدم على التكفير فقد عصي سيد المرسلين "[3]. فنشأ عن التسرع في التكفير التسابق إلى التفجير والتخريب في البلدان الإسلامية، واعتقاد أنها بلدان حرب لا بلدان إسلام، وإذا ما أنعمنا النظر في دواوين السنة المطهرة وكتب العقيدة علمنا حقيقة هذا الأمر، حيث بين علماؤنا الأجلاء خطورة التكفير الجائر وذمه، والتحذير منه وممن قال به، كما أوردوا النصوص التي أولها أهل الأهواء، وبينوا الحق فيها، وأوضحوا معناها كما فهمه السلف الصالح، رغم ذلك تنكب عن هذا الطريق المستقيم كثير من الشباب اليوم سائرين على طريق من حذرنا علماؤنا من السير على طريقهم، وتركوا الكتب النقية السالمة من الأهواء والبدع، فحدث ما حدث من دمار وفساد في الأرض، ويقال: "ما قام سوق التفجير إلا على بوق التكفير" وهذه لا شك من خطوات الشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ص ١٠٦٤، رقم ٦١٠٤.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٣/ ١١١.

(٣) انظر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ص٤٠٥.

المبحث الأول

الجهل

مما لا شك فيه أن الجهل يعتبر من أبرز وأهم الأسباب المؤدية لظاهرة التكفير، فمن خلال البحث والتنقيب نجد جل من أظهر التكفير الباطل أو خاض فيه متلبساً بالجهل العظيم، وساعد على هذا: التحذير من العلماء لدي رؤوس الجهال، وبأنهم عملاء، وبأنهم قد باعوا يدنهم، ونحو ذلك، فكان سبباً في اتخاذ رؤوس ضلال والتلقي عنهم؛ لذا نجد أن الله قد حذرنا من القول بلا علم فقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]

وقال ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[2]

وقد أمرنا بطلب العلم فقال: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

وبين حكم طلب العلم النبي ﷺ بقوله: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[4].

وقد أثني النبي ﷺ على طالب العلم حيث قال: " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين"[5].

ومعلوم أن المراد من العلم هو العلم الشرعي ابتداء، وهو علم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، كما ذكر الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله: " والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينيه في عبادته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) سورة النحل: ٤٣، وسورة الأنبياء: ٧٠.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٩٥ عن عبد الله بن مسعود وغيره.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقه في الدين ص ٧ رقم الحديث ٧١.

يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص"[1]. والعلم حارس من الوقوع في الضلالة والبدعة؛ ولذلك إن ابتعد البعد عن العلم ومخالطة العلماء والأخذ عنهم؛ تردي في هوة الجهل، لذا نجد الإمام أحمد بن حنبل يقول: " الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثة، والعلم يحتاج إليه في كل وقت"[2]. فإننا لا نجد صحابياً سلك في مسلك أهل البدع أو قال بقولهم؛ لتمسكهم بالكتاب والسنة. فإذا ألقينا النظرة في التاريخ فإننا نجد الخوارج هم أول من أظهر تكفير المسلمين حيث كفروا كل من خالفهم في بدعتهم [3]. نجد أن النبي ﷺ قال عنهم لما اعترض ذو الخويصرة عليه: " إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[4]

ومعني ذلك كما قال الإمام الشاطبي رحمه الله: " إنهم لم يتفقهوا فيه، فهو في ألسنتهم لا في قلوبهم "[5].

وقال ﷺ: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)[6].

قال ابن حجر – رحمة الله – لما ذكر عقيدة الخوارج: وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم، ولم يتسمكوا بحبل وثيق من العلم، وكفي أن رأسهم رد على رسول الله لي الله عليه وسلم أمره، ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة"[7].

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ١٤١.

(٢) انظر: إعلام الموقعين ٢/ ٢٥٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوي ٣/ ٢٧٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب: المغازي، باب: بعث على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ص: ٧٣٦ رقم ٤٣٥١.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ٣٤٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحة، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ص: ٦٠٦. رقم الحديث ٣٦١١.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٣٠٤.

فهو أقدم على الحكم بالتكفير مع الجهل العظيمن بالإسلام وأحكامه، ولذلك وقعوا في بدع كبيرة متعددة، منها تكفير الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من المسلمين.

ومن جميل ما قاله الحسن البصري – رحمة الله – وهو يوضح أهمية العلم وخطورة الجهل، ومثل على ذلك بالخوارج الذين تركوا العلم فحصل منهم الخروج؛ قال: " العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غر علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتي خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، (ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا)[1]. وقد بين الإمام الشاطبي قول الإمام الحسن قائلاً: " يعني الخوارج – والله أعلم – لأنهم قرءوا القرآن ولم يتفقوا فيه حسبما أشار إليه الحديث: "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم"[2]. وهذا ما أكده الإمام مالك رحمة الله في بيان حال من خرج على أمة محمد ﷺ قال: (إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد ﷺ بأسيافهم، ولو اتبعوا العلم لحجزهم عن ذلك).[3]

وكل من كفر مسلماً بالباطل فإنما أداه لذلك الجهل، فهو الأصل فيهم، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمة الله في رده على البكري ": وهذه الطريقة التي سلكها هذا وأمثاله هي طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم "[4]. وسير هؤلاء المكفرين واضحة في تلبسهم بهذه الصفة وهي الجهل، ففي قصة ابن عباس رضي الله عنهما عندما ناظر الخوارج خير شاهد على ذلك، فإنه رضي الله عنه لما ناظرهم رجع منهم ألوف، وتركوا القول بما هم عليه[5]. وكان سبب ذلك جهلهم بالنصوص، فلما وضح لهم السنة وحاججهم بها؛ علموا أنهم على جهل وضلال.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ١٣٦.

(٢) الاعتصام ١/ ٤١٣.

(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١١٩.

(٤) تلخيص كتاب الاستغاثة ٢/ ٤٨٧.

(٥) أخرج القصة احمد في المسند ١/ ٨٦.

وإذا كان هذا حال الخوارج القدامي الذين غلوا في التكفير بسبب الجهل، فإن من وقع في التكفير الباطل من الخوارج المعاصرين ومن تأثر بهم شبيه بحالهم، حيث إن الجهل سمة بارزة فيهم، ساعد على ذلك التحذير من العلماء الربانيين، والطعن فيهم، والتزهيد في علمهم، وإبعاد الشباب عنهم.

فمن أمثلة ذلك أن الكثير ممن ينتسب للفكر التكفيري قد وقعوا في أيدي التكفيريين وفي حبائل شبهاتهم؛ حيث تشبعوا بالجهل البالغ في الشرع؛ لأنهم حاربوا التعليم النظامي وحرموه ولو كان شرعاً فدعوا إلى الأمية لتأويلهم الخاطئ لحديث " إنا أمة أمية "[1] فدعوا إلى ترك الكليات الشرعية وغيرها، ومنع الانتساب للجامعات والمعاهد – إسلامية أو غير إسلامية – لأنها مؤسسات الطاغوت وتدخل ضمن مساجد الضرار، وزعموا بأن الدعوة لمحو الأمية دعوة يهودية لشغل الناس لعلوم الفكر عن تعلم الإسلام، فما العلم إلا ما يتلقونه في حلقاتهم الخاصة[2]. وإن أردنا أن نستقصي سير وحال من وقع في التكفير الباطل بسبب الجهل فسيطول بنا المقام.

وهنا أمر يتأكد التنبيه عليه، وهو مايزعمه البعض من أن سبب ظاهرة التكفير والغلو فيه إنما سببه ابتعاد العلماء عن الشباب، وتقصيرهم في توجيههم وتحصينهم من الأفكار الضالة، وكونهم في بروج عاجية، وأنهم لم ينزلوا في الميادين.

والحق أن هذا من أعجب الأمور، فإن العلماء – بحمد الله – ما فتئوا يبصرون الشباب بحقيقة منهج أهل السنة والجماعة، وتحذيرهم من المخالفات ولا سيما التكفير الجائر.

ومن صور جهل الذين ولجوا في تكفير المسلمين بغير حق:

١- جهلهم بالأحكام الشرعية عموماً، فهم لم يشتغلوا بالعلم الشرعي، وقد يكون فيهم كثير من العوام الذين لم يتربوا على السنة ولا على علمائها، وهؤلاء هم الذين يحرص عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب: الصوم باب: قول النبي صلي الله عليه وسلم: " لا نكتب ولا نحسب" ص ٣٠٧ رقم ١٩١٣.

(٢) انظر: الموسوعة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٣٣٩.

٢- الجهل بمعاني النصوص الشرعية وفقهها ولغتها، فإن البعض منهم - وإن كان عنده بعض العلم - إلا أنه لم يحصل له ممارسة العلم والاطلاع على كلام أهل العلم من أهل السنة والجماعة، ولم يكن عنده قواعد شرعية وأصول مرعية لتنزيل الحكم على الأشخاص، ولم يكن هناك ورع من إطلاق الكفر على الأفراد والمجتمعات، وقد نجد البعض من هؤلاء يستدلون على معتقدهم من كلام الله تعالى ومن سنة النبي ﷺ وها هو النبي ﷺ قال عن الخوارج: " يقولون من كلام خير البرية". وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا فاسق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتي أذاقه بلسانه، ثم تأوله علي غير تأويله "[1].

٣- الجهل بمسائل الإيمان والتكفير ودقائقها، والضوابط الشرعية المتعلقة بها، فإن التكفير له شروط لابد من توافرها، وموانع لابد من رفعها حتي يحكم بالتكفير على من يستحقه، والفرق بين التكفير المطلق والتكفير المعين، وغير ذلك فمن هذه المسائل:

٤- الجهل بالفرق بين الكفر الأكبر والأصغر، والشرك الأكبر والأصغر، والنفاق الأكبر والأصغر، وقد أدي الجهل بهذه المسائل المهمة إلى اللبس العظيم لدي من كفر بالباطل، ففي الشرع قد يطلق لفظ الشرط أو الكفر أو النفاق ويراد به الأصغر، لا الأكبر، ومن ثم توهم البعض أن هذه النصوص يراد بها الكفر الأكبر، جهلاً بالفرق بين الكفرين[2].

٥- الجهل بين التكفير المطلق والتكفير المعين، والخلط بين الأمرين أدي لإطلاق التكفير على من لا يستحقه.

٦- الجهل بشروط التكفير وموانعه، ومن ذلك أنه " قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، ولوجود مانع يمنع من كفره، ومثال ذلك أن المسلم قد ينطق بكلمة الكفر لغلبة فرح أو

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٣٧٥. أورده ابن عبد البر عن الأعرابي معلقاً.

(٢) انظر: التكفير في ضوء السنة النبوية د. باسم بن فيصل الجوابرة، ص: ٦٣.

غضب أو نحوهما فلا يكفر لعدم القصد، كما في قصة الأعرابي قال: " اللهم أنت عبدي وأنا ربك " أخطأ من شدة الفرح [1].

ومما يجب مراعاته قبل الحكم على المسلم بالكفر أن ينظر في أمرين:

- أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر.
- والثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع [2].

وأذكر هنا بعض الأسباب المفضية إلى الجهل لدي من كفر بالباطل وأهمها الأمور الآتية:

١- عدم الاعتماد على الكتاب والسنة في الاستدلال، والبعد عن تعلم النصوص الشرعية، وهذا شأن الفرق المفرطة في التكفير كالخوارج والمعتزلة، فمن أصول أكثر الخوارج مثلا التي ذكرها العلماء عنهم عدم أخذهم بالسنة واكتفائهم بالقرآن بزعمهم [3].

٢- استقلال فهومهم عن فهم أهل السنة والجماعة، ونظرتهم السيئة الباطلة لأسلافنا، فإن من المسائل الخطيرة التي ينبغي فهمها على وفق فهم السلف الصالح مسائل التكفير والدماء، فهم كفروا عثمان وعلياً وجمهور المسلمين من الصحابة والتابعين [4]؛ لذا قال ابن عبد البر: " وكانوا لتكفيرهم الناس لا يقبلون خبر أحد عن النبي ﷺ فلم يعرفوا بذلك شيئاً من سنته وأحكامه المبينة لمجمل القرآن، والمخبرة عن مراد الله تعالى في خطابه ولا سبيل إلى المراد بها إلا ببيان رسوله، ألا تري إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [5] والصلاة والزكاة والحج والصوم، وسائر الأحكام إنما ذكرت في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها ص: ٦٩٥ رقم ٢٧٤٧.

(٢) القواعد المثلي ص: ٨٧.

(٣) أصول الدين ص: ١٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٤٨.

(٥) سورة النحل: ٤٤.

القرآن مجملة بينتها السنة، فمن لم يقبل أخبار العدول ضل وصار في عمياء"[1].

٣- التحذير من العلماء الربانيين، وعدم الأخذ عنهم، وسوء الظن بهم، وإسقاط منزلتهم عند الناس، واتخاذهم رؤوساً جهالاً، عنهم يصدرون، فإن هؤلاء لم يوفقوا لدراسة العلم الشرعي على العلماء الراسخين في العلم، ولذلك في باب التفكير وغيره، وما من شك أن من ابتعد عن العلماء الربانيين فإنه سيكون عرضة لأفكار منحرفة، ومقالات مخالفة.

ومن الأوصاف التي وصفوا بها العلماء المعاصرين لإبعاد الشباب عنهم: المداهنة، وعبيد السلطان، وعلماء السلطة، وعملاء، وأنهم لا يفقهون الواقع، ولا يعلمون أحكام الجهاد، بل وصل البعض بهم إلى حد التكفير للعلماء !.

ومن الفواجع حقيقة والتي يندي لها الجبين الطعن في علم العلماء، والزعم بأن علمهم لا يساوي شيئاً، فهم يستخفون بالعلم الشرعي المستند إلى الكتاب والسنة، بل وزعم بعضهم أن ما يشتغل فيه العلماء إنما هو قشور، وأن اللب لم يصلوا إليه، ولم يتكلموا فيه، ولذلك نجد في تاريخ الفرق الغالية في التكفير أنهم يتهكمون على أهل العلم بأنهم علماء حيض ونفاس، فها هو رأس الاعتزال واصل بن عطاء المعتزلي قد تكلم يوماً، فقال عمرو بن عبيد: "ألا تسمعون ما كلام الحسن وابن سيرين – عندما تسمعون – إلا خرقة حيض ملقاة "، وروي أن زعيماً من زعماء أهل البدعة كان يريد تفضيل الكلام على الفقه، فكان يقول: "إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج من سراويل امرأة"[2]، فهذه استهانة بعلم العلماء، وتنقيص لهم، ولا زالت تلك الفئات التي تكفر المسلمين، وتسم العلماء بأنهم علماء حيض ونفاس وعلماء قشور، وعلماء بيت الوضوء، وأنهم لا يعرفون ما يدور في العالم، مما يسمونه بفقه الواقع، وبهذا استطاعوا أن يحدثوا فجوة بين الشباب الذين يربونهم وبين العلماء الربانيين، وغمسوهم في الجهالة والضلالة، هذه أبرز الأسباب المؤدية إلى الجهل لدي من كفر بالباطل، وهذا الجهل يشترك فيه غالب من كفر المسلمين[3].

(١) انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢/ ٢٥.

(٢) انظر: الاعتصام ١/ ٤٥٨.

(٣) الموسوعة الميسرة ١/ ٣٣٩.

المبحث الثاني
إتبـــاع الهـــوي

عرف الهوي بأنه: ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمي بذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[1]، فأصل الهوي أن يحب الهوي، وأن الضلال في إتباع الأهواء، قال تعالى: ﴿ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ ﴾[3]

وقال عز من قائل: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[4].

وقال النبي ﷺ: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوي متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغني، وكلمة الحق في الغضب والرضا)[5]، وقد قال النبي ﷺ في وصف أهل الأهواء: (إنه سيخرج من أمتي قوم تتجاري بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، فلا يبقي منه عرق ولا مفصل إلا دخله)[6].

قال ابن الأثير رحمه الله: " أي يتواقعون في الأهواء الفاسدة، ويتداعون فيها، تشبيهاً بجري الفرس، والكلب بالتحريك: داء معروف يعرض للكلب، فمن عضه قتله "[7]،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص: ٨٤٩.
(٢) سورة البقرة: ١٤٥.
(٣) سورة المائدة: ٤٨.
(٤) سورة المؤمنين الآية: ٧١.
(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط ٥/ ٣٢٨.
(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٠٢.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٧٣٩.

وهذا يدل على أن كل خارج عما هو عليه صلي الله عليه وسلم وأصحابه إنما خرج بأتباع الهوي عن الشرع [1].

وإتباع الهوي آفة عظيمة، إن أصابت العبد فلا يكاد ينجوا منها إلا بالإتباع، والتجرد للحق، والحرص على تحصيله، والإخلاص لله تعالى، وقد اشتد النكير على أهل الأهواء والضلال؛ لأن من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، وهو محكم له، وقد استولي على قلبه هذا الداء، والذين حملوا ألوية التكفير الباطل للمسلمين اليوم هم من أشد الناس هوي وضلالاً، وسبقهم إلى ذلك الخوارج، فالخوارج كانوا أول أهل الأهواء خروجاً عن أهل السنة والجماعة [2]، قال ابن الجوزي رحمه الله عن ذي الخويصرة: " فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ"[3]، ومن أبرز سمات أهل الأهواء إتباع الهوي، ولذلك سموا بها، لغلبة الهوي على عقولهم واشتهاره فيهم [4]، ومن سماتهم: تكفير المخالف من غير مستند شرعي، وأما أهل السنة والجماعة فتجردوا للدليل، لم يكفروا أحداً بالهوي والظن، ولو كفرهم من كفرهم، وذلك لأن التكفير حق لله تعالى، لا مجال للعقل أو الهوي فيه، لذا قال شيخ الاسم رحمه الله: " فإن الإيجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو إلى الله ورسوله، وليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه الله ورسوله، وتحريم ما حرمه الله ورسوله، وتصديق ما أخبر الله به رسوله "[5]، ومسائل التكفير ليس لأحد أن يتكلم فيها إلا بحق وعدل، لا بهوي وجهل، كبقية مسائل الدين، ولذا تلزم معرفة شروط التكفير وموانعه قبل الحكم بتكفير الشخص المعين، ولو كان التكفير تبعاً للهوي، بأن يكفر العبد كل من خالفه؛ لما انتظم صلاح للأمة، ولكفر كل مسلم أخاه من غير حجة ولا برهان، بل بالهوي والظن، ولعلك لا تجد من يطلق عليه اسم الإسلام، ولا تسل بعد

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ٤٨٥.
(٢) مجموع الفتاوي ٢٨/ ٤٨٩.
(٣) تلبيس إبليس ص:٨٢.
(٤) جامع العلوم والحكم ص: ٣٩٠.
(٥) مجموع الفتاوي ٥/ ٥٥٤.

ذلك عن المفاسد العظيمة التي تجرها أهواء النفوس، من قتل وتدمير وتفجير، وكل ذلك باسم الدين، وسيكون لمن أراد إفساد الدين أن يرد ما شاء إن لم يوافق ذوقه وهواه، وشواهد هذا من التاريخ كثيرة[1].

وفي زماننا هذا انتشر الهوي لدي لهؤلاء المكفرين، حتي إن الكثير منهم أخذ يرد بعض الأحاديث النبوية، والتي تأمر بالسمع والطاعة لولي الأمر وعدم الخروج عليه، ويسمون هذه الأحاديث بـ "أحاديث تحذير الشعوب"[2].

(١) انظر: ميزان الاعتدال ٥/ ٣٣٣، تاريخ الإسلام ٩/ ٢٣٨.

(٢) فتاوي العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر لعبد المالك رمضاني ص: ٨٢.

المبحث الثالث
التـــــأويل الفاســـــد

من أسباب التكفير الجائر التأويل الفاسد، ويقصد بالتأويل التفسير كما جاء في لسان العرب [1] وهذا من المعلوم والمعمول به عند أهل السنة والجماعة، ومن ذلك دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: " اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل" [2]، وكان يقول رضي الله عن نفسه:" أنا ممن يعلم تأويله"[3].

والتأويل ينقسم إلى تأويل صحيح وتأويل فاسد:

فحد التأويل الصحيح هو: الذي يوافق ما دلت عليه النصوص، وجاءت به السنة، ويطابقها [4].

وأما حد التأويل الفاسد فهو: ما خالف النصوص الشرعية من الكتاب والسنة [5]، ووصف هذا التأويل الذي حصل ممن كفر بالباطل بالفاسد هو الأنسب وذلك لمخالفته للنصوص، ولأن أهل السنة لم يفسروا تلك النصوص بما فسره أهل الأهواء به، فكان الأحق به وصفه بالفاسد.

وهذا الأمر قد أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما فقال عن الخوارج: " إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلونا على المؤمنين "، وكان قتادة إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ ﴾[6]؛ قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم"[7]، ومما تتبع الحرورية من

(١) لابن منظور ١/ ١٣٠.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٧.
(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/ ٢٠٦.
(٤) انظر: الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.
(٥) المرجع السابق.
(٦) سورة آل عمران: ٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري ٦/ ١٨٧.

المتشابه قول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[1]، ويقرؤون معها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[2] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كف عدل بربه فقد أشرك فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية [3]، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك سبيلاً، وذلك عن طريق التأويل والتحريف والذي طالما اعتمده المنحرفون عن الشريعة، وهذا هو الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصاري في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبي المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جني التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية [4]، وأوردهم المهالك بتأويلهم نصوص الكتاب والسنة في أبواب الاعتقاد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وغير ذلك كل هذا باسم التأويل، حيث تستروا به.

والخوارج لا ينظرن للقرآن إلا من خلال آرائهم ومعتقداتهم، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا على ضوء المذهب وتحت تأثير سلطانه "[5]، والشأن والصواب إنما هو في صحة الاستدلال لا بمجرد الاستدلال، فكم من مستدل بنص لم يفهمه، أو يكون قد حرفه وأوله على ما يريد، بل قد يدل النص على فساد ما يقوله ويعتقده، فيكون حجه عليه لا له، وهذا من حفظ الله تعالى لكتابه العزيز، قال طلق بن حبيب:

" كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة حتي لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل أية أقدر عليها فيها ذكر خلود أهل النار، فقال لي: يا طلق، أترك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة نبيه مني ؟ قال: قلت لا، قال: فإن الذي قرأت هم المشركون، ولكن هؤلاء أصابوا ذنباً فعذبوا، ثم أخرجوا من النار، وأومأ بيده إلى أذنيه فقال: صمتاً إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ ونحن نقرأ الذي تقرأ"[6].

---

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة الأنعام: ٠١.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ١/ ٥١.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص: ١١٠.

(٥) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، محمد الذهبي ص: ٦٤.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٣٣٠.

وفي هذا دليل واضح أنه ليس كل من استدل بدليل يكون على صواب، وقال الشيخ السعدي رحمه الله لما ذكر دليلاً استدل به الخوارج ورد عليهم؛ قال: " وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل؛ فلابد أن يكون فيما احتج به حجة عليه[1]. وكان من أسباب الوقوع في هذه المصيبة البعد عن أتباع السنة والأخذ بها حيث إنها مبينه للقرآن، فأكثر الخوارج يزعمون أنهم يتبعون القرآن دون السنة.

وجاء عن بعض السلف في قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً ﴾[2] قال: هم الخوارج [3]، وهذا أمر اشتهروا به، حيث إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين كما تقدم من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وها هي نماذج مما ذهبوا إليه من تأويلاتهم الفاسدة في آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين:

١- فعن ابن أبزي قال: جاءه من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[4] قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون ؟ قال: بلي. قال: وانصرف عنه الرجل، فقال رجل من القوم: يا ابن أزي، إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا، إنه رجل من الخوارج. فقال ردوه على. فلما جاءه قال: هل تدري فيمن نزلت هذه الآية ؟ قال: لا. قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهب، ولا تضعها على غير حدها "[5] قال الشيخ أحمد شاكر رمه الله معلقاً: " وأراد السائل من الخوارج بسؤاله، الاستدلال بالآية على تكفير أهل القبلة، في أمر تحكيم على بن أبي طالب، وذلك هو رأي الخوارج [6].

٢- عن عيسي بن عبد الرحمن، قال: سألت الشعبي عن هذه الآية: ﴿ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ

(١) انظر: تفسير السعدي ص: ٥٧.
(٢) سورة البقرة: ٢٦.
(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٧١ وتفسير ابن كثير ١ / ٢٠٩.
(٤) القرآن الكريم سورة الأنعام الآية: ١.
(٥) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٥٣؛ تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ١٨٣.
(٦) المرجع السابق.

أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[1] قال: قلت: تزعم الخوارج أنها في الأمراء، قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلون منه، يعني: الميتة، وأما ما قتلتم فتأكلون منه، فأنزل الله: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[2] إلى قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[3] قال: لأن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون"[4].

(١) سورة الأنعام: ١٢١.
(٢) الآية السابقة.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم ٥/ ٣٧٥.
(٤) انظر: تفسير ابن كثر ٤/ ١١٦.

المبحث الرابع
مخالطة الجماعات المنحرفة والتلقي عن أصحابها

مخالطة الجماعات المنحرفة والفرق المخالفة والركون إليهم، والأخذ عن أصحابها والإصغاء لهم من السموم التي فتكت بكثير من أبناء المسلمين، ومن العوائق الصادرة عن الحق والإتباع، ولذلك لم يتحرج الأئمة من قديم الزمان من التحذير من هؤلاء المنحرفين، لئلا يقع في حبالهم من لم يعرف حالهم ومقالهم، أو من يحسن الظن بكل أحد، لاسيما من الأعمار، وقد حذر النبي ﷺ من الأخذ عن أهل البدع، وسماهم الأصاغر، فقال: ﷺ: (إن من أشراط الساعة ثلاثة، إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر) [1].

وجاء هذا عن بعض السابقين فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا"[2].

وقد فسر بعض أهل العلم الأصاغر بأهل البدع، قال ابن المبارك وقد سئل: من الأصاغر ؟ " أهل البدع "[3] وذلك لما في الأخذ عنهم من الفساد والشر، وجاء في الحث على أهل العلم والأخذ عنهم قول النبي ﷺ: (البركة مع أكابركم)[4]، والمراد من ذلك كما قال المناوي رحمه الله " المجربين للأمور المحافظين على تكثير الأجور، فجالسوهم لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم، أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه، فيجب فجالسوهم لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم، أو المراد من له منصب العلم وإن صغر سنه، فيجب إجلالهم حفظاً لحرمة ما منحهم الحق سبحانه وتعالى[5].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص: ٢٠.

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه، ٢/ ٣٧٢؛ والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبري ١/ ٢٠٩.

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٨٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٣١.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ٣/ ٢٨٧.

فمن الواجب على السالكين في العلم أن يأخذوا عمن هو أهل للأخذ عنه من الأمناء على الدين، وهم العلماء الربانيون، قال بهز بن حكيم: " دين الله أحف ما طلب له العدول"[1].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: " لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب"[2].وقال أبو قلابة رحمه الله: " لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[3].

وأختم هذا المبحث بذكر كلام مهم للعلامة ابن القيم رمحه الله حيث قال ناصحاً:

" ومن أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه، فليس لهذا السالك أنفع من تلك المرافقة، وأوفق له من هذه المفارقة، فقد قال بعض السالف: شتان بين أقوام موتي تحيي القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم، فما على العبد أضر من عشائره وأبناء جنسه، فنظره قاصر، وهمته واقفة عند التشبه بهم، ومباهاتهم والسلوك أين سلكوا، حتي لو دخلوا جحر ضب لأحب أن يدخله معهم"[4].

(١) ذم الكلام للهروي ٥/ ٦٣.
(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٤٣٨.
(٣) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص: ٢٧.
(٤) الرسالة التبوكية ص: ٨٦.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير محمد صلي الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أذكر على العجالة أهم النتائج التي توصلت إليها:

- أن التكفير له أسباب عديدة، وقد تجتمع كلها أو بعضها في حق الأفراد والجماعات.
- أن هذه الأسباب يشترك فيها المتقدمون والمتأخرون ممن يكفر بالباطل، وأول من اتصف بها الخوارج الأوائل، ثم من بعدهم من الفرق والجماعات والأحزاب.
- تنزه أهل السنة والجماعة عن هذه الأسباب بسبب التزامهم بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة المطهرة على فهم السلف الصالح، وبذا سلمت عقديتهم.
- أهمية دراسة مسائل التكفير على وفق فهم السلف الصالح، ووجوب النظر في تفسير النصوص الواردة في الكفر والإيمان على التفاسير المعتمدة.
- أن هذه الأسباب دلت النصوص الشرعية على ذمها والتحذير منها في العموم، ومع ذلك وقع فيها كثير من المتقدمين والمتأخرين.
- سبب الجهل في التكفير أدي إلى إطلاق حكم التكفير على من لا يستحقه من المسلمين وأصبح صغار طلاب العلم والعوام يلجون هذا الباب.
- تربي الكثير من الشباب اليوم على أفكار الخوارج والمعتزلة من حيث لا يشعرون، وأكثر ما تنسب هذه الأفكار لأهل السنة والجماعة.
- وجدت أسباب عديدة ادت إلى الجهل لدي من كفر بالباطل، من أشهرها محاربة العلماء ووصفهم بالصفات المنفرة حتي لا يتأثر بهم الناس.
- وجود أمثلة عديدة في التاريخ الإسلامي كفر فيها هؤلاء المسلمين بالجهل.
- داء الهوي خطير، وهو الانفلات من الدليل وعدم اتباعه، وكان التكفير به في الغالب من أجل التشفي من المخالف، والشهوة، وهو أبرز صفات أهل الأهواء.

- تفسير النصوص الخاطئ (التأويل الفاسد) أدي للخلل في التلقي الصحيح؛ ولذا كان أكثر الفرق المنتسبة إلى الإسلام تستدل بالنصوص لكن على غير فهم الصحيح.
- أن كثيراً من النصوص التي أولها المكفرون بالباطل تأويلاً فاسداً اشترك في الاستدلال بها المتقدمون والمتأخرون، وقد أجاب عن أكثرها العلماء لما جادلوا الخوارج أو ردوا عليهم.
- تحذير العلماء من قديم الزمان من مخالطة أهل الأهواء من أجل حصانة المعتقد وحفظه من الخلل، وقد وجد عبر التاريخ من اختلط بأهل الأفكار الضالة وسلك في سبيلهم بعد أن كان سنياً.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة تأليف الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا نعسان وغيره، دار الراية، الرياض ط٢، ١٤١٥هـ.
- الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها، تأليف الدكتور: محمد الذهبي مكتبة وهبه. القاهرة.
- الآجري في الشريعة.
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، لعبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ.
- الأسباب الفكرية المؤدية لظاهرة التكفير الدكتور عبد العزيز بن جليدان هاجد الظفيري.
- أصول الدين، تأليف عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠١١هـ.
- الاعتصام تأليف إبراهيم بن موسي الشاطبي، تحقيق سليم الهلالي.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- البدع والنهي عنها، للإمام محمد بن وضاح، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- البيهقي في المدخل إلى السنن الكبري.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تأليف على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

- تفسير أبن أبي حاتم، تأليف الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق أسعد محمد الطيب.
- تفسير ابن كثير، تأليف ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ.
- تفسير السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- التكفير في ضوء السنة النبوية تأليف الدكتور باسم بن فيصل الجوابرة؛ جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة،ط١، ١٤٢٧هـ.
- تلبيس إبليس، تأليف جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ط١، ١٤٢١هـ.
- تلحيص كتاب الاستغاثة، المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية، لخصه الحافظ ابن كثير، تحقيق أبو عبد الرحمن محمد بن على عجال، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة ط١، ١٤١٧هـ.
- تهذيب اللغة تأليف العلامة أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد النجار، الدار المصرية.
- جامع العلوم والحكم، تأليف أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، تأليف أبي عمر يوسف النمري القرطبي، دراسة وتحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ.

- ذم الكلام وأهله، تأليف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي، تحقيق عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة ط١، ١٤١٨هـ.
- الرسالة التبوكية، تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الزهد تأليف عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٤١٧هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٦هـ.
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيورت ١٤١١هـ،
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف ابن أبي العز الحنفي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٤١٤هـ.
- صحيح البخاري، فإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٢هـ.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق د. على بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.
- فتاوي العلماء الأكابر قيما أهدر من دماء في الجزائر تأليف عبد المالك بن أحمد رمضاني، ط٢، ١٤٢٢هـ.

- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تأليف أحمد بن علي بن حجر، تحقيق محمد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- الفقيه والمتفقه، تأليف أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغداي، تحقيق عادل العزازي، دار ابن الجوزي ط١، ١٤١٧هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ.
- لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الصادر، بيروت.
- مجموع الفتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وولده محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت ١٤١٥هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١١هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المشرف العام عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٢، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الأوسط، تأليف أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة، ١٤١٥هـ.
- المعجم الكبير، تأليف أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٤هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تأليف العلامة ابن قيم

الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت ط١، ١٤١٨هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية الرياض ط ٣، ١٤١٨هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد الهذبي، تحقيق على محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطنحاوي، المكتبة العالمية بيروت.

جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.. أنموذجاً ١٩٨٥-٢٠١٤م

تواصيف بنت حميد المقبل

طالبة ماجستير في كلية العلوم الاجتماعية

بقسم التاريخ والحضارة، مسار التاريخ الحديث والمعاصر

المقدمــة

ظهرت في العصر الحديث عدد من المخاطر والجرائم التي تهدد الحياة البشرية في المجتمعات العربية والإسلامية تحمل العديد من المسميات ولعل أبرزها، الإرهاب بجميع أنواعه كالإرهاب الأسري والسياسي والاقتصادي. والذي يهمنا في هذه الدراسة هو الإرهاب بمفهومة السياسي، وهو النوع الذي تمارسه قوى سياسية ضد قوى سياسية أخرى بباعث سياسي[1]. فقد تعرضت الكثير من الدول العربية والإسلامية لكثير من جرائم القتل والنهب تحت مسمى الإرهاب، ويعد التعرف على سمات التطور الأمني في مكافحة الإرهاب من الدراسات الحديثة الهامة في هذا الوقت، فقد حققت حكومتنا الرشيدة إنجازات واضحة في هذا المجال من خلال وزارة الداخلية التي تعمل وبشكل واضح من أجل تحقيق الأمن في البلاد، إضافة إلى العديد من المؤسسات والجهات التي تعمل جنبا إلى جنب وزارة الداخلية لتحقيق ما تهدف إليه في رسوخ الأمن والأمان بالمملكة العربية السعودية،ولعل أبرز هذه المؤسسات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والتي تسعى إلى مكافحة الجريمة وجميع أشكالها بأسلوب أكاديمي لنشر الوعي الأمني في المجتمع.

أهمية البحث:

تنبثق أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على خطر الإرهاب ومن ثم إبراز جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب والدور الذي تقوم به الجهات الأمنية

(١) مراد، عبد الفتاح، موسوعة شرح الإرهاب، شركة البهاء للبرمجيات والكمبيوتر والنشر الإلكتروني، رقم الطبعة وسنة النشر غير مدونان، ومن خلال تعريف الإرهاب السياسي يتضح لنا أن الإرهاب السياسي هدفه هو الإطاحة بالحكم من خلال أفراد أو جماعة داخل حدود الدولة بغرض الحصول على السلطة أو دولة أخرى خارج حدود الدولة غرضها لا يتعارض مع الهدف السابق، بحيث يتم بتخطيط خفي ليس الغرض منه الإصلاح بل لغرض سياسي بحت، كفرض نمط فكر سياسي جديد، وغالبا ما يستهدف أصحاب هذا النمط المنشئات العسكرية والأمنية بالتفجير المباغت، أو قتل شخصيات ذات ثقل سياسي بنفس الدولة، كنوع من العنف وإلقاء الرعب وزعزعة الأمن والثقة بين دولة وشعبها.

ومنها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، متمثلتا في وزارة الداخلية و دورها الواضح في مكافحة الإرهاب وتتبع تحركاته من أجل القضاء عليه أولا بأول، ولاشك أن هناك العديد من المؤسسات التي تساهم في مكافحة الإرهاب ولعل أبرزها جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، هذه المؤسسة التعليمية التي ساهمت بوضع الاستراتيجيات الأمنية عربيا من خلال مكافحتها للإرهاب، ومدى إسهامها في الواقع ومدى تلبية هذه المؤسسة لحاجة الاستقرار الأمني، ثم وضع نتائج و مقترحات بإذن الله مما توصلت إليه من خلال الدراسة، ويعود سبب اختيار الباحثة لهذه المؤسسة؛ لأهمية الجهود التي بذلتها والتي يجب علينا الوقوف أمامها وإعطاءها الحق من التدوين والتوثيق وجمع ما كتب سابقا حول هذا الموضوع من معلومات مبعثرة في وثائق أو مراجع أو دوريات، مع إضافة بعض ما وفق الله – الباحثة – في الحصول عليه من معلومات جديدة تساعد في إخراج هذا البحث العلمي التاريخي الموثق إلى حيز الوجود.

مشكلة البحث، وتبرز في هذه التساؤلات:

- أولا: كيف استطاعت المملكة نشر وتثقيف الفكر العربي لخطر الإرهاب، والحد منه؟
- ثانيا: ما الطرق والوسائل التي تتبعها الجامعة لتعزيز الأمن الفكري بالوطن العربي عامة والسعودي خاصة؟
- ثالثا: ما الدور الذي قامت به الجامعة لتمثيل المملكة العربية السعودية محليا وعربيا لمكافحة الإرهاب؟

أهداف البحث:

- التعرف على التعريف الشامل للإرهاب وإيضاح نظرة الإسلام له وتتبع تاريخ نشأته عبر الأديان السماوية الثلاثة.
- توضيح اعتدال الدين الإسلامي وسماحته وموقفه في مكافحة الإرهاب.
- الوقوف على جهود المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب بصفة عامة.
- تسليط الضوء على جهود جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية خاصة في مكافحة الإرهاب محليا وعربيا.

- إبراز أهمية دور الخطط الاستراتيجية الأمنية وأثرها في المجتمعات العربية والإسلامية.
- إيضاح الطرق والوسائل التي اتبعتها الجامعة للتعزيز بالفكر الأمني.
- إيضاح كيفية مقدور هذه المؤسسة التعليمية الأمنية في تحدي تلك الظاهرة والتصدي لها.

خطة البحث:

- المقدمة وتشمل أهمية البحث، والتعريف به وأهدافه.
- المبحث الأول: (الإرهاب، ظهوره وتطوره في المملكة العربية السعودية) ويشمل:
  - تعريف الإرهاب.
  - نبذه عن تاريخ الإرهاب على مر العصور.
  - نظرة الإسلام إليه.
  - بداية ظهوره في المملكة العربية السعودية.
  - جهود المملكة العربية السعودية في مكافحته.
- المبحث الثاني: (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية) ويشمل:
  - النشأة والتطور.
  - الاستراتيجيات التعليمية الأمنية للجامعة.
  - دورها في مكافحة الإرهاب (محليا وعربيا).
- الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.
- الملاحق: وثيقة – استمارة مقابلة.

المنهج المتبع للدراسة:

المنهج التاريخي وهو المنهج الوصفي التحليلي بالرجوع إلى المصادر والمراجع ذات الصلة.

مواد وطرق البحث:

الكتب، المجلات والصحف العلمية، المواقع الرسمية، واللقاءات الشفهية مع ممثلي الجامعة أو مسئوليها (زيارات ميدانية)، الوثائق.

المبحث الأول

الإرهاب، ظهوره وتطوره في المملكة العربية السعودية

لقد بذلت الدول العربية والأجنبية العديد من الجهود لوضع تعريف شامل ودقيق للإرهاب وتناولته من خلال عدة دراسات[1] ويتناول هذا المبحث تعريف الإرهاب من حيث اللغة، والمجمع الفقهي، وتعريفه من وجهة نظر الدول العربية والدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن التتبع لأي ظاهرة من خلال السرد التاريخي لها يساعد على فهم طبيعة الظاهرة المدروسة من خلال المقارنة بينها قديما وحديثا، لذا علينا أن نلقي نظرة سريعة وأمثلة مبسطة من التاريخ تدلل لنا على عراقة جريمة الإرهاب.

الإرهاب لغة: الرعب والخوف والفزع والتخويف[2].

الإرهاب كما عرفه المجمع الفقهي:

هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دولا بغيا على الإنسان في دينه ودمه وعقله،وماله وعرضه ويشمل الأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، كل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو إيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أقوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الأذى بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر[3]

---

(١) لقد اختلفت معظم الدول على وضع تعريف شامل وموحد للجريمة الإرهابية، حيث أن كل الجهود المبذولة لم تعطي نتيجة حتمية على اتفاق بشأن وضع تعريف للإرهاب، ولعل هذا الاختلاف كان أحد أسبابه الاختلاف في النظرة السياسية لموضوع الإرهاب، للمزيد حول التعريفات الواردة من الدول: فلاح، خالد سالم، السياسة الجنائية الموضوعية في مواجهة الجريمة الإرهابية، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، ٢٠١٤م. وأيضا: عيد، محمد فتحي، واقع الإرهاب في الوطن العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض.

(٢) أبن منظور، الجوهري في الصحاح (مجموعة فتاوى ومقالات) ط٢، ١٩٨٧م، الرياض، ص٥٦.

(٣) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٤٣٧)، شهر مارس وأبريل، عام ٢٠٠٣م.

وكل هذه الصور من الفساد في الأرض والتي نهى الله – سبحانه وتعالى – المسلمين عنها بقوله: (ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)[1].

- **تعريف الدول العربية:**

هو كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذا لمشروع إجرامي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر[2].

- **تعريف مجلس أوروبا:**

الإرهاب هو الجرائم الخطيرة المتضمنة الاعتداء على الحياة والسلامة الجسدية، أو الحرية والموجهة ضد أشخاص يتمتعون بالحماية الدولية مثل الدبلوماسيين، والجرائم التي تعرض الأشخاص للخطر والتي تتضمن استعمال المفرقعات والقنابل والأسلحة النارية والمتفجرات[3].

- **تعريف الولايات المتحدة الأمريكية:**

الإرهاب هو كل فعل يرتكب بصفة غير مشروعة، كالقتل والخطف وغيرها من الأفعال التي تسببت أضرارا جسدية ويترتب عليها أثارا دولية[4].

- **الإرهاب كما تراه الباحثة:**

سلوك عدائي تمارسه أفراد أو جماعات منظمة أو غير منظمة أو دولا بغيا على الإنسان في دينه ودمه وعقله وماله وعرضه ويشمل الأذى والتهديد والقتل بغير حق، وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم أو إيذائهم، بغرض

---

(١) سورة القصص، آية ٧٧.

(٢) يعد هذا التعريف: ما جاء في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، التي جاءت بتعريف موحد للإرهاب، حيث حددت تعريفا موحدا توصل إليه وزراء الداخلية والعدل العرب في عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) عيد، محمد فتحي، واقع الإرهاب في الوطن العربي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض، ص٣٠.

(٤) عيد، محمد فتحي، المرجع نفسه، ص٣١.

فرض نمط سياسي أو ديني أو اجتماعي.

ولعل أشمل وأهم التعريفات التي وردت هو تعريف المجمع الفقهي للإرهاب، نظرا لأن الغرب لم يعيروا هذا الموضوع اهتماما كبيراً[1]، فقد كانوا العرب هم السباقين في هذا المجال، وكانوا السباقين في وضع الخطط الاستراتيجية لمكافحة الإرهاب، وذلك يتضح من التعريفات الواردة[2] من حيث الشمولية أو الاختصار.

- **نبذه عن تاريخ الإرهاب على مر العصور:**

يرى كثير من الباحثين والمؤرخين أن الإرهاب ظاهرة قديمة منذ وجود الإنسانية على وجه الأرض، لذا نجد أن هذه الظاهرة ظهرت في أقدم الحضارات على وجه الأرض بين ابني آدم قابيل وهابيل، وإلى وقتنا الحاضر، فالإرهاب ظاهرة تاريخية قديمة ليست حكرا على دولة أو ديانة معينة، قد تمارسه أحزاب أو طوائف أو أقليات عرقية أو حكومات، وهو ليس ظاهرة حديثه ظهرت في العصر الحديث[3] بل ظهرت من القدم.

لو تناولنا تاريخ الإرهاب في مختلف العصور، بدأً بالعصور القديمة حيث اشتهرت بها جماعة السيكاريون في القدس[4] بالعنف والعمليات الإجرامية، مرورا بالأعمال

---

(١) الملاحظ أن المشرّع الأمريكي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠٠١م، كان مسرحه السياسي شاغرا من هذه الدراسات الأمنية التي اهتمت بها الدول العربية، والواقع من وجهة نظرنا أن أحداث الحادي عشر من ديسمبر عززت من دور الولايات المتحدة الأمريكية لوضع تعريف للإرهاب كما عرفته وزارة الخارجية الأمريكية على أنه: عنف متعمد ذو باعث سياسي يرتكب ضد غير المحاربين من قبل مجموعات وطنية فرعية أو عملاء دولة سريين، ويقصد به عادة التأثير على جمهور ما. للمزيد من التعريفات: فلاح، خالد سليم، السياسة الجنائية الموضوعية في مواجهة الجريمة الإرهابية (دراسة مقارنة) دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٢) لعل من أسباب اقتصار الغرب في التعريف بالإرهاب، رغبة الدول الصناعية في فرض إرادتهم على الدول النامية، للمزيد أنظر كتاب: عيد، محمد فتحي، واقع الإرهاب في الوطن العربي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض.

(٣) العفيصان، عبد الرحمن بن عبد الله، الجهود التي بذلت في مجال الوقاية ومكافحة الإرهاب في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣هـ، الرياض، ص١٩.

(٤) السيكاريون: هي جماعة يهودية كانت على درجة عالية من التنظيم لعمليات العنف والقسوة ظهرت في القرن الأول للميلاد بين سنة ٦٦-٧٣ للمزيد أنظر: د. ولفنسون، تاريخ اليهود، ١٩٧٢م، مصر، ص٢١٢.

الإرهابية التي حدثت على البلاط الفرعوني التي حدثنا بها القرآن الكريم بالعديد من السور[1] عن صور العنف والقسوة والذعر التي شهدها العصر الفرعوني[2] ومع انتشار الدين المسيحي في الإمبراطورية الرومانية، قام المتشددون في الدين محاربة الوثنية الرومانية فمن أساليب الإرهاب التي استخدموها هو التعذيب العلني مثل إجراء مبارزات تنتهي بالموت في الساحات العامة[3]، وأضفوا على أعمال العنف صفة دينية مقدسة جماعات مسيحية في العصور الوسطى راح ضحيتها كل من يقف في وجه الكنيسة[4]. كل هذه التطورات التاريخية توضح لنا أن هناك بالفعل جذور للإرهاب مع تعدد الدوافع كالدوافع السياسية أو الدينية وغيرها، ولو تناولنا تاريخ الإرهاب في العصور الإسلامية بالماضي نجد أنه لم يخلوا من الإرهاب أسوة بالديانات السماوية والعصور الأخرى فالعصر الإسلامي لم يخلو من الإرهاب وجرائمه المتعددة، فمقتل الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– على يد أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣هـ، يُعد من بدايات بث الذعر والرهبة بين الأمة الإسلامية حين ذاك، ثم تلاه مقتل الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– أثناء خلافته على يد رجل يدعى الغافقي عام ٣٥هـ حيث يعد من بدايات الفتنة والفُرقة بين المسلمين حيث حرض عليها أحد المحرضين يدعى عبد الله بن سبأ[5] ناهيك عن بعض الحركات المتطرفة التي انحرفت عن تعاليم الدين الإسلامية، نذكر منها على

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ سورة القصص: آية ٤.

(٢) يجدر الإشارة بنا أن الإرهاب في القدم قد تعدى حدود الدولة الواحدة، فكان هناك صراعات بين الحضارات بسبب التطرف الديني ومن أمثلته: هجمات قبائل الهكسوس على مصر، وقيام الملك (ست) باغتيال أخيه الملك (أوزوريس) ليحل محله في حكم مصر. مشار إليه لدى: أبو مصطفى، أحمد محمد، الإرهاب ومواجهته جنائيا، الفتح للطباعة والنشر،٢٠٠٧م.

(٣) طلحة، حسن محمد، استراتيجية مواجهة جرائم تمويل الإرهاب، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٣.

(٤) أبو غضة، زكي علي، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ٢٠٠٢م، ص٤٩.

(٥) العفيصان، مرجع سابق ص٢٢.

سبيل المثال من الناحية السياسية والدينية: القرامطة[1] والخوارج[2] أما من الناحية الاقتصادية مثالها ثورة الزنج[3].

ولعل العقبة التي تحول دون اقتلاع الإرهاب واجتثاث جذوره هو عدم وجود مفهوم واضح للأسباب التي تؤدي إلى ممارسات النشاطات التي تنشئ حالة الإرهاب[4] ولم يكتشف مصطلح الإرهاب إلا بابتداعات الثورة الفرنسية واقعيا في عام ١٧٩٣م عندما أعلن روبير (Robespierre) بداية عهد الإرهاب أو الرهبة في فرنسا، ومن أسم هذا العهد اشتقت اللغتان الإنجليزية والفرنسية كلمة (Terrorism) [5]. ولاشك أن السرد التاريخي السريع ما هو إلا عبارة عن أمثلة معدودة على وجود جريمة الإرهاب عبر الديانات والعصور، من بين مئات الجرائم المرتكبة في حق الإنسانية، فالغوص في تاريخ

---

(١) القرامطة: نسبة للفاطميين وهي من فرق الإسماعيلية من الشيعة الذين قاموا بغزو مكة والاعتداء على الحجاج وانتزاع الحجر الأسود وانتهكوا حرمة بيت الله الحرام وكانت حركتهم من أبشع الحركات وأعنفها، أنظر كتاب: د. آل ثاني، عبد الله جاسم علي، الحياة السياسية والاقتصادية في إقليم البحرين وعمان بين القرنين الخامس والسابع الهجري (الحادي عشر والثالث عشر ميلادي) ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، بيروت، ص١١٠.

(٢) الخوارج: هي جماعة نشأت نهاية عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وفي بداية عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب نتيجة للخلافات السياسية التي بدأت في عهده، أنظر كتاب: د. عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، ط٢، دار الشروق، ١٩٨٨م، مصر، ص١٥٥.

(٣) حينما اشتدت شوكة الأتراك في البلاد الإسلامية وتقلدوا المناصب الرفيعة بها، عمدوا إلى جلب الزنوج وتشغيلهم على وجه يشبه السخرية مما دعا هؤلاء إلى الاتحاد وتكوين جماعات مسلحة وناصرهم عدد كبير من المسلمين على غرار أن الشريعة الإسلامية الحقة تأبى هذا الظلم ولكن الجدير بالذكر أن هؤلاء الثوار أفرطوا في التعبير عن رفضهم للظلم، فارتكبوا العديد من أعمال القتل والعتو في الأرض فسادا. للمزيد أنظر: فلاح، خالد سليم، السياسة الجنائية الموضوعية في مواجهة الجريمة الإرهابية، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٤م.

(٤) الهواري، محمد، الإرهاب: المفهوم والأسباب وسبل العلاج، ص٨: www- alislam.com / http

(٥) د. الشيرمي، عبد الحكيم راشد، مواجهة الإرهاب في الخطابة المكية في التأثير والحوار، بحث في مؤتمر (الأدب في مواجهة الإرهاب) والمعقود تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ١٥-٦ – ١٤٣٣هـ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ١٢٧٣، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، ص٤٤.

الإرهاب وماهيته ونشأته وعن مرتكبيها يتطلب دراسة واسعة والعديد من الفصول المقسمة إلى مباحث، وما كنا نهدف إليه هو الاستدلال بعدة مظاهر للإرهاب منذ القدم للاستدلال بأن هذه الظاهرة ليست وليدة العصر الحديث، وبناء على ما تقدم فإننا نعتقد أن الأمثلة المذكورة جاءت على غرار تعريف الإرهاب السياسي، ومراجعة هذه الأمثلة يكشف لنا مدلول خاص يمكننا تحديده بأنه مجموعة من الأشخاص أما أن يتبناهم فكر سياسي خارج الدولة، أي دولة أخرى تستعملهم كأداة لأغراضها السياسية أو الدينية، تهدف إلى تفتيت البُنية التحتية للدولة من خلال العمل على خلق الفوضى أو ثورة بغرض الإطاحة بالحكم والاستيلاء على خيراتها أو أنها مجموعة غير منظمة تهدف إلى تغيير النمط السياسي والاجتماعي أو الديني في الدولة- بغرض الاضطهاد - بحيث تمتاز هذه المجموعة بالتشدد والتمسك بآرائهم الفكرية.

- **نظرة الإسلام إليه:**

الإسلام دين سماوي من تشريع الله سبحانه وتعالى يقوم على أسس و ركائز وأحكام لا تقبل التجزؤ أو التغيير أو التلفيق مع أي دين وضعي أو فلسفة من فكر البشر، وقد جاءت هناك أدلة صريحة من القرآن والسنة النبوية على تحريم قتل النفس التي حرم الله بها إلا بالحق، ونصت على أن الدين الإسلامي دين رحمة قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1] ورفق واعتدال ونظام إصلاح وسلام والرسول ﷺ قال أن من يرتكب هذه الجريمة ليس له شرف الانتساب إلى الإسلام بدليل: (من حمل علينا السلاح فليس منا)[2] وقال عليه الصلاة والسلام: (من أشار إلى أخيه بحديده فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان أخاه لأبيه وأمه)[3].

ونجد هناك أحكام في القرآن الكريم والسنة النبوية ما كفل للفرد والجماعة للحاكم والمحكوم وما يرعى مصالحهم ويضمن أمنهم وسلامتهم على عرضهم وأموالهم وفي كل شؤون حياتهم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

(٢) الراوي أبو هريرة، المحدث مسلم، المصدر صحيح مسلم، ص١٠١.

(٣) الراوي أبو هريرة، المحدث مسلم، المصدر صحيح مسلم، ص٢٦١.

فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]. وما ورد أيضا في الآية ما هو نقيض تماما لمصطلح الإرهاب الذي يحمل في طيّاته القسوة والعنف والظلال عن طريق الحق والإفساد في الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾[2].

ولعظم قتل النفس بغير حق نجد أن القرآن أنكره وحرمه وجعله مقرونا بالشرك قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]. ولعل خير دليل على كمال الشريعة الإسلامية وشموليتها هو نجاح تطبيق الأحكام التي ساهمت في خفض معدلات الجريمة وتحقيق الأمن والسلام في حكومتنا خاصة؛ لأن الإسلام أهتم اهتماما كبيرا بالحفاظ على المجتمع نقيا من الشوائب والانحرافات وحرّم الاعتداء على حقوق الآخرين أيا كان شكله أو غرضه.

والإسلام لم يجز القتال إلا في حالتين:

- الأولى: الدفاع عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ضد من يقف في سبيلها أو يمنع من يريد الدخول في الإسلام[4].
- الثاني: الدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن، قال ﷺ: (من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد[5]).

---

(١) سورة المائدة، آية ٣٣.

(٢) سورة البقرة، آية ١١، ١٢.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٥١.

(٤) العميري، محمد، موقف الإسلام من الإرهاب (إصدارات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية) ص٢٤٢، ١٤٢٦هـ، الرياض.

(٥) الراوي سعيد بن زيد، المحدث الترمذي، المصدر: سنن الترمذي، ص١٤٢١.

- **بداية ظهوره في المملكة العربية السعودية:**

يعد مقتل الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود في عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م – رحمه الله – على يد الأمير فيصل بن مساعد بن عبد العزيز آل سعود من بدايات ظهور الإرهاب في المملكة العربية السعودية. وتلتها حادثة الحرم الشهيرة حيث قام جهيمان وأتباعه بمبايعة "المهدي المنتظر" محمد بن عبد الله القحطاني في عام ١٤٠٠هـ – ١٩٨٢م، حين طلب من جموع المصلين مبايعته، وأغلق أبواب المسجد الحرام، ووجد المصلّون أنفسهم محاصرون داخل المسجد الحرام وأحدثوا الفوضى والذعر في نفوس المصلين انتهت هذه الحادثة في القبض على جيهمان وأتباعه والحكم عليهم بالقصاص نتيجة انتهاك حرمة الحرم المكي وقتل عدد من العساكر ومن المصلين.

وفي عام١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م كانت الهجمات الإرهابية التي وقعت في المملكة أغلبها هجمات معادية للغرب، إضافة إلى هجمات إرهابية استهدف المنشآت الحكومية والمباني السكنية وكانت أولى الهجمات الإرهابية في نفس هذا العام والذي شهدت فيه مدنية الرياض تفجير سيارة مفخخة في مبنى بحي "العُليا" يُعتبر مقراً لبعثة تدريب أمريكية متعاقدة مع الحرس الوطني السعودي مما أدى إلى وقوع ضحايا معظمهم من العرب والمسلمين المقيمين بالرياض، وفي عام ٢٠٠٣م وقع أكثر من حادث إرهابي، منها ٣ سيارات مفخخة تستهدف ٣ مجمعات سكنية يقطنها غربيون وعرب في الرياض قتل فيها ٢٠ شخصا و١٩٤ إصابة[١].

كما أحبطت عمليتين كانتا على وشك التنفيذ واحدة منها في نجران ٢٨-٣-١٤٢٤هـ الموافق ٢٩-٥-٢٠٠٣م والأخرى تلتها بأقل من شهرين في الرياض والقصيم والشرقية وكانت تحتوي على أعداد هائلة من المتفجرات والمعدات[٢]. تعاقبت بعدها

---

(١) المملكة العربية السعودية في مواجهة الإرهاب، مرجع سابق، ص١٦٠.

(٢) عثر على كميات كبيرة من الصناديق التي تحتوي على ما يلي: أسلحة وقذائف متنوعة كانت مدفونة تحت الأرض (٢٧) كيلو من مادة آي.دي.أكس شديدة الانفجار (٩٨١) مترا من فتائل تفجير (٥٢٤) صاعقا مجموعة من الرشاشات والذخائر (١٨)قذيفة آر.بي.جي مضادة للدروع مع خمس قاذفات دراجات نارية وسيارات مهيأة للاستخدام في أغراض تخريبية وصناديق لجمع التبرعات ومبلغ ثلاثمائة ألف ريال سعودي. مرجع سابق: المملكة العربية السعودية في مواجهة الإرهاب، ص١٥٣، ١٥٥.

العديد من المداهمات على المواقع المشتبه بها وتم القبض على مرتكبي الجرائم مع إحباط العديد من العمليات الإجرامية في نفس العام. وفي عام ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م كان هناك أيضاً العديد من الهجمات الإرهابية كان من أبرزها في منطقة الهدى بالطائف حيث صرح مصدر مسؤول بوزارة الداخلية أن من خلال المتابعة الأمنية رصد حركة عناصر مهمة لها علاقة بالتفجيرات السابقة في بقعة معزولة من منطقة الهدى قام الأمن بتطويقها[١] وعندما شعروا بذلك بادروا بإطلاق النار على قوات الأمن ولكن ولله الحمد لم يصب أي أحد من رجال الأمن، بينما تم القبض على عدد منهم ومقتل أثنين.

ولكن سرعان ما أنخفض عدد هذه الهجمات بشكل ملحوظ في السنوات التالية حتى عام ٢٠٠٩م شهدت الحدود السعودية أعمال إرهابية تبناها الحوثيون[٢] حيث قام مسلحين بإطلاق النار على دوريات سعودية في مدينة جبل الدخان مما تسبب في مقتل ضابط أمن وإصابة آخرين، وأورد الحوثيون في بيان لهم في موقعهم على الانترنت بنفس ليلة الحادثة انه (بعون من الله وفضله وتأييده وتسديده تمت السيطرة الكاملة على موقع جبل الدخان الواقع بين الحدود اليمنية والسعودية في منطقة الملاحيظ بعد مواجهات حسم فيها المعتدي وتم القضاء عليه وتطهير الموقع وتم الاستيلاء على أسلحته وعتاده) وقد جلب الصراع اهتماما دوليا منذ عام ٢٠٠٩م تحديدا بعد الحادثة التي وقعت على الحدود اليمنية السعودية وحسب التحليلات والمعلومات تبيّن أن الحوثيون يسعون لتحقيق إقامة شريط لهم على الحدود اليمنية-السعودية[٣] بحيث تُجتاح الأراضي السعودية القليلة السكان وتستغل، إلا أن هذا المشروع أخفق عندما نجحت القوات السعودية في طرد المتسللين وإخراجهم خارج الحدود.

---

(١) المملكة العربية السعودية في مواجهة الإرهاب، مرجع سابق، ص١٧٤.

(٢) الحوثيون: طائفة ظهرت في منطقة صعدة شمال اليمن التي يرجع أصلها إلى الفرق الزيدية الشيعة بمباركة ودعم من إيران وينتسب الحوثيون إلى زعيمهم المتمرد حسين بن بدر الدين الحوثي الذي لاقى حتفه في عام ٢٠٠٤م. للمزيد أنظر: الغصن، سليمان بن صالح، حقيقة الحوثيين، دار كنوز اشبيليا، الرياض، ١٤٣٦هـ.

(٣) سري الدين، عايدة العلي، الحوثيون في اليمن بين السياسة والواقع، ط١، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٣٦.

- **دور المملكة العربية السعودية في مكافحة:**

المملكة العربية السعودية جزء من هذا العالم المليء بالفتن والجرائم المنافية لتعاليم الدين الإسلامي وهي لا ترضى بهذه الظواهر المنافية للإنسانية وللدين الإسلامي الحنيف، ولذلك فهي تسعى حثيثًا لقطع دابر هذه الظواهر الإجرامية واجتثاث جذورها. فالمملكة العربية السعودية بصفة خاصة والعالم بصفة عامة يمر بأزمة اجتماعية تتمثل في انتشار الإرهاب على الصعيدين المحلي والدولي فقد انتشرت فتن القتل والإرهاب كنتيجة حتمية للظلم المنتشر والتعاضد المريب لقوى الشر في العالم، وقد أخبرنا نبينا محمد ﷺ عن ذلك وحذرنا كما في الحديث الشريف عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ورائكم أيامًا يُرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج قالوا: وما الهرج؟ قال القتل[1]».

وتصدت المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- وسمو ولي عهده الأمين -حفظهما الله - للإرهاب بكل قوة عن طريق تعزيز وتطوير الأنظمة واللوائح ذات العلاقة بمكافحة الإرهاب والجرائم الإرهابية وتحديث وتطوير أجهزة الأمن وجميع الأجهزة الأخرى المعنية بمكافحة الإرهاب.

وقد حُضيت تجربة المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب بتقدير محلي ودولي نظراً لجهودها المبذولة وعمق معالجتها الناجحة ويأتي هذا الدور الرائد للمملكة بسبب خبرتها التراكمية منذ تأسيسها على يد المغفور له – إن شاء الله – الملك عبد العزيز.

ويبرز المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب[2] الذي دعت إليه المملكة وعقد بمدينة الرياض أوائل شهر فبراير عام ٢٠٠٥م واحدا من الجهود الدائبة للمملكة في مكافحة هذه الآفة العالمية في إطار دولي وجانب من جوانب عمل المملكة المستمر في محاربة الإرهاب[3] الذي ترى المملكة دائما أن القضاء عليه لن يتم إلا بتعاون دولي في استئصال جذوره ومعالجة أسبابه، ويرجع الفضل في انخفاض هذه الهجمات والقضاء على البؤر

---

(١) الراوي أبو موسى الأشعري، المحدث الألباني، المصدر: صحيح الترمذي، ص٢٢٠٠.

(٢) المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب ٢٠٠٥م: المنظم له / المملكة العربية السعودية، تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

(٣) السالم، محمد، جريدة اليوم، العدد ١٢٥١٦، ١٤٣٣هـ.

الإرهابية في المملكة العربية السعودية إلى الجهود المستمرة التي تبذلها الجهات المعنية بمكافحة الإرهاب وهذه الجهات هي: وزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، والحرس الوطني، ورئاسة الاستخبارات العامة.

ولا يسعنا إجمال جهود تلك الوزارات في التصدي للإرهاب ولكن يمكن الإشارة إلى أهمها وأبرزها التي تتمثل في تحصين الحدود وإحكام الرقابة عليها لمنع التسلل والتهريب حيث أن معظم الأسلحة والمتفجرات التي ضبطت بحوزة المجموعات الإرهابية قد دخلت للمملكة عن طريق التهريب من بعض الدول المجاورة[1]. وهناك أيضا جهود بذلت من عدة جوانب مختلفة كالجوانب الإنسانية والفكرية والتحفيزية والتوعوية من خلال وسائل الإعلام الوقائية وتنفيذ العديد من البرامج والندوات واللقاءات التي تعمل على إبراز موقف المملكة من الإرهاب ومشاركة وزارة الداخلية بالعديد من المؤتمرات العربية[2] التي عملت من خلالها تثقيف الفكر العربي من خطر الإرهاب.

وقد انتهجت المملكة أسلوبا فريدا في معالجة الظاهرة وهي لجنة المناصحة[3] ودعت أبناءها بالرجوع إلى طريق الحق والتوبة والإنابة لله عز وجل ودعتهم إلى تسليم أنفسهم ليتلقوا العلاج الفكري وكانت هذه الخطوة جامعة بين الحل الأمني والفكري واستطاعت بهذا الأسلوب أن تتفوق محليا و دوليا في مكافحة الإرهاب، واستفاد من ذلك الأسلوب

---

(١) الحسني، عبد الله، جريدة الرياض، العدد ١٦٤٨٣، ١٤٣٤هـ.

(٢) وكان أبرز تلك المؤتمرات هو (المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب) الذي عقد بمدينة الرياض خلال الفترة ٥-٨/ ٢/ ٢٠٠٥م وعقد مؤتمر عالمي تحت عنوان (موقف الإسلام من الإرهاب) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لمعالجة قضايا الإرهاب والعنف والغلو (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. للمزيد من المعلومات: http://www.moi.gov.sa

(٣) مركز المناصحة: تأسس عام ٢٠٠٦م أنشئه الأمير محمد بن نايف بهدف محاربة الفكر بالفكر، وكشف الشبهات التي لدى الفئات الضالة وتفنيدها، وذلك بالاستعانة برموز المجتمع من العلماء، وتنفيذ برامج لإعادة تأهيل السجناء ويضم مركز محمد بن نايف للمناصحة مجموعة من الخبراء والمستشارين النفسيين والاجتماعيين، إضافة إلى علماء دين وشريعة، حيث يمثل برنامج المناصحة المرحلة الإجرائية الأخيرة لإطلاق سراح الموقوفين لدى الجهات الأمنية المصدر: http://www.mncc.org.sa

عدد كبير من الأشخاص الذين اعتنقوا الفكر الضال وسلموا أنفسهم للجهات الأمنية واستفادوا من العفو الملكي[1] من بينهم أشخاص كانوا موجودين في الخارج، وفي الوقت ذاته بذلت وزارة الثقافة والإعلام جهودا كبيرة لمحاربة الفكر الضال المنحرف من خلال البرامج الإذاعية والتلفازية التي استضافت فيها العلماء والمشايخ الثقات[2] الذين تناولوا الفكر التكفيري وبينوا بالحجة والبراهين لمخاطرة ومصادره على الفرد و المجتمع،مستدلين بذلك بما جاء في القرآن والسنة وما نقل عن السلف الصالح وأئمة المسلمين.

وقد نظرت هيئة كبار العلماء في دورتها الثمانين[3] إلى أعمال الإرهاب المعاصرة الصادرة عن بعض الجماعات مثل: داعش وتنظيم القاعدة وما يسمى بعصائب أهل الحق وحزب الله والحوثيين أو جرائم الإرهاب التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي كلها محرمة ومجرمة؛ لما فيها من هتك لحرمة النفس المعصومة وهتك لحرمة الأموال وهتك لحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم[4].

وأخيرا فإن دور وزارة الداخلية في هذا المجال هو المتصدر لكثير من الخطوات التي قامت بها المملكة ومن هذه الجهود نشر قوائم للمطلوبين أمنياً في قضايا إرهابية وملاحقة خلايا الإرهاب وتحصين فكر المجتمع من خلال إعداد الدراسات والبرامج التوعوية

---

(١) المبادرة التي أعلنها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز في الخامس من شهر جمادى الأولى ١٤٢٦هـ الموافق ٢٣ / ٦ / ٢٠٠٤م، وتضمنت عفوا عن كل من يسلم نفسه لمن ينتمي إلى تلك الفئة الضالة ممن لم يقبض عليه في عمليات الإرهاب طائعا مختارا في مدة أقصاها شهر من تاريخ ذلك الخطاب وسيعامل وفق شرع الله فيما يتعلق بحقوق الغير، المصدر: http://www.slaati.com

(٢) أمثلة على جهود أئمة المسلمين في محاربة الفكر المتطرف وقد أخذ الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، مفتي عام المملكة رئيس هيئة كبار العلماء على عاتقه خلال اللقاء المنعقد يوم الأحد - ١ صفر ١٤٣٦ هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٤ م، تحذير الفئة العمرية من الشباب من الحرب الإلكترونية التي تقوم بها المواقع المسيئة للإسلام وأهله، والتي تدس السم بين صفوف المسلمين من خلال استغلالها لكل ما فيه الضرر والفساد للأمة الإسلامية للمزيد حول هذا اللقاء أنظر: http://www.aawsat.com

(٣) عقدت في مدينة الرياض ابتداء من تاريخ ١٩-١١-١٤٣٥هـ.

(٤) بيان من هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عن الإرهاب –خطره ومكافحته الصادر في ١٩-١١-١٤٣٥هـ.

وإشراك المواطن في محاربة الفكر الضال وتثقيف المجتمع أمنياً وفكرياً تجاه ظاهرة الإرهاب وخطورتها لذلك عمدت إلى تقديم برامج توعية عبر وسائل الإعلام المختلفة بالإضافة إلى برنامج الرعاية اللاحقة[1]. إضافة إلى توحيد القيادة للجهات الأمنية لتعزيز التعاون والتنسيق بين مختلف الأجهزة الأمنية وغير الأمنية[2] في التصدي لظاهرة الإرهاب وتطوير الأنظمة واللوائح ذات العلاقة بمكافحة الإرهاب والجرائم الإرهابية.

كما أدت الدولة ممثلة في وزارة الداخلية بجهود متكاملة لرفع معنويات رجال الأمن في الدفاع عن ممتلكات الوطن ومحاربة أصحاب الفكر المتطرف، فقدمت لهم الدعم المادي والمعنوي وتم منح أسر الشهداء منهم والمصابين كل ما يعينهم على مواجهة أعباء الحياة فضلاً عن أنها مدت يد العون والمساعدة إلى الأسر التي فقدت أحد رجالاتها في عمليات أمنية ضد الإرهابيين، كما وجه الأمير محمد بن نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، باستضافة أسر شهداء الواجب لأداء مناسك الحج هذا العام ١٤٣٥هـ على نفقة وزارة الداخلية[3] كما ذكر سموه أن هذه التوجيهات الكريمة تأتي في إطار رعاية حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- وسمو ولي عهده الأمين وسمو ولي ولي العهد لأسر شهداء الواجب. وفي المقابل تعاملت الوزارة بحزم مع مرتكبي الجرائم الإرهابية وتعقبهم واتخاذ الإجراءات القانونية والقضائية وفق أحكام الشريعة الإسلامية والتزامات المملكة الدولية والإقليمية والثنائية[4] ووضع قيود مشددة على صناعة أو استيراد أو بيع أو حيازة أو تداول أو اقتناء الأسلحة أو الذخائر أو المعدات

---

(١) برنامج الرعاية اللاحقة: وهو يعنى بالموقوف الذي أطلق سراحه بصورة نهائية وذلك بتقديم الخدمات الإنسانية والاجتماعية والتواصل مع عائلته وذويه وزياراتهم وتسهيل اللقاءات للراغبين من رجال العلم الشرعي مع الموقوفين من أفراد الفئة الضالة للتحدث إليهم وتصحيح أفكارهم. المصدر: http://www.mncc.org.sa

(٢) كفكرة إقامة حملة وطننا أمانة وتأتي الحملة تأكيداً لقيم الانتماء والولاء للوطن والدفاع عن مقدساته وقيمه الاجتماعية والحضارية بتنظيم برامج ونشاطات توعوية وذلك من خلال تعاون بين الجهات الأمنية ومختلف الأجهزة الأمنية وغير الأمنية.

(٣) صحيفة صدى الإلكترونية: 25/23570.html/09/http://www.slaati.com/2014

(٤) موقع وزارة الداخلية: http://www.moi.gov.sa

أو قطع الغيار من الأسلحة.

إضافة لذلك إنشاء مؤسسات علمية تقوم بتدريس وإرشاد وتدريب الشاب السعودي فكريا ومنهجيا وتكثيف برامج التأهيل والتدريب لرجال الأمن والشرطة ومن هذه المؤسسات هي جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية والتي سنتناولها في المبحث التالي. وفي هذا السياق قال خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله: (إن الأمن في المملكة العربية السعودية بألف خير فهي صامدة كالصخر تكسرت عليه كل تلك الهجمات، وأضاف في حديثه إننا اجتزنا مراحل الإرهاب فنحن ذهبنا إلى رؤوس الثعابين مباشرة لنقطعها)[1].

(١) جريدة اليوم، الأحد ٤أكتوبر ٢٠١١م كلمة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود التي وجَّهها لأعمال السنة الثالثة من الدورة الخامسة لمجلس الشورى.

المبحث الثاني

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

النشأة والتطور:

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية هي منظمة عربية تتمتع بصفه دبلوماسية ومقرها مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وهي الجهاز العلمي لمجلس الوزراء الداخلية العربمحتوى الصفحة، وأنشئت هذه الجامعة استجابة لحاجة لمسها المسئولون عن الأمن في الدول العربية، إذ أدركوا الحاجة إلى إقامة صرح علمي أمني ينهض بالبحث العلمي الأمني والدراسات العليا الأمنية والتدريب الأمني تحقيقاً لوقاية المجتمعات العربية من الجريمة والانحراف من خلال الارتقاء بأداء رجال الأمن العرب، وتحقيق الوعي الأمني وتنمية الحس الأمني لدى المواطن العربي[1].

وجاءت فكرة إنشاء جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية مع عقد أول مؤتمر لقادة الشرطة والأمن العرب[2] والذي قرر موافقته على هذه الفكرة وتكررت هذه الفكرة في مؤتمرات متتالية كالمؤتمر السادس[3] لقادة الشرطة والأمن العرب والمؤتمر الثاني لوزراء الداخلية العرب[4] الذي تقرر فيه الموافقة على تنفيذ الفكرة واعتمادها بالمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة في دورتها التاسعة عشر التي عقدت في الرباط بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٧٩م وقد نص قرارها على الآتي:

اعتماد المشروع بصيغته المرفقة ومناشدة المملكة العربية السعودية بدء العمل فيه في أقرب فرصة.

توجيه الشكر الجزيل لحكومة المملكة العربية السعودية على تبنيها هذا المشروع المهم وتم في الدورة نفسها اعتماد إنشاء المركز العربي لدراسات الدفاع الاجتماعي والتدريب

---

(١) موقع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: http://repository.nauss.edu.sa

(٢) عقد هذا المؤتمر في مدينة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة خلال الفترة من ١٨-٢١/ ١٢/ ١٩٧٢م.

(٣) عقد في العاصمة السورية دمشق خلال الفترة من ١٣-١٨/ ٥/ ١٩٧٨م.

(٤) عقد في بغداد خلال الفترة من ٢-٤/ ١٠/ ١٩٧٨م.

ليكون مقره مدينة الرياض.

وفي المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب[1] اتخذ المؤتمر قراراً والذي نص على: تغيير التسمية (المركز العربي لدراسات الدفاع الاجتماعي) التي كان قد أقرها المؤتمر العربي الثاني لوزراء الداخلية العرب لهذا المركز إلى اسم "المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

وفي الدورة الرابعة عشر لمجلس وزراء الداخلية العرب المنعقدة في تونس خلال الفترة من ٤-٥/ ١/ ١٩٩٧م تم تغيير مسمى المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بحيث يصبح "أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية وذلك اعترافاً من مجلس وزراء الداخلية العرب بالجهود القيمة التي بذلها صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز[2] – رحمه الله – في بناء وتطوير المسيرة العلمية للعمل الأمني العربي المشترك[3] ونتيجة للتطور العلمي والأكاديمي الذي شهده المركز.

وقد شهدت الأكاديمية مراحل تطور في إدارتها إذ تطورت المعاهد التي كانت تضمها الأكاديمية إلى كليات وأقامت علاقات تعاون علمي مع المؤسسات العلمية والمنظمات الدولية مثل: المنظمة الدولية المدنية ومنظمة اليونسكو العالمية لذلك رأت

---

(١) عقد في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة من ٢٦-٢٨/ ٨/ ١٩٨٠م: مصدر كل المؤتمرات المنعقدة توجد في موقع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية كُتب عنها تفصيلاً هنا: http://repository.nauss.edu.sa

(٢) الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود، (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤ - ٢٦ رجب ١٤٣٣ هـ/ ١٦يونيو ٢٠١٢)، شغل منصب وزير الداخلية منذ ١٩٧٥، وولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء منذ ٢٧ أكتوبر ٢٠١١ إلى غاية وفاته وهو الرئيس الفخري لمجلس وزراء الداخلية العرب، وله بصمة واضحة الأثر من خلال ترأسه لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية وهو الابن الثالث والعشرون من أبناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الذكور من زوجته الأميرة حصة بنت أحمد السديري تقلد منصب ولي العهد بعد وفاة الأمير سلطان بن عبد العزيز وقبل ذلك كان يشغل منصب النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء منذ ٢٧ مارس ٢٠٠٩ ووزيرا للداخلية منذ عام ١٩٧٥م.

(٣) للمزيد من التفصيلات عن جهود صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – في مكافحته للإرهاب وجهوده الأمنية أنظر كتاب: أمن وطن في أمير، مجموعة مؤلفين، طبعة ١٤٢٩هـ. من إصدارات جامعة أم القرى – مكة المكرمة.

ضرورة إعادة النظر في مسمى الأكاديمية بحيث يواكب هذا التطور ويسايره فصدر قرار مجلس وزراء الداخلية العرب رقم (٧٠٤) في دورته الحادية والعشرين التي عقدت في تونس خلال الفترة من ٤-٥/ ١/ ٢٠٠٤م متضمناً تغيير اسم الأكاديمية ليصبح (جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية).

والتي تهدف إلى:

- تأصيل العلوم الأمنية والتعريف بأحكام التشريع الجنائي الإسلامي.
- إتاحة التخصصات العلمية في الدراسات العليا في ميادين الأمن بمفهومه الشامل.
- تدريب الكوادر الأمنية والمهنية العربية وتأهيلهم في مجال العدالة الجنائية ومكافحة الجريمة.
- إثراء البحث العلمي في مجالات الدراسات الأمنية والاستراتيجية وتقديم الاستشارات العلمية، وتزويد المكتبة العربية بالأبحاث والدراسات المتخصصة.
- تعزيز التعاون العلمي والأمني مع المؤسسات العلمية والشرطية والمنظمات الدولية مثل: أكاديميات الشرطة في الدول الأوربية ومنظمة الاليسكو ومفوضة الانتربول.
- الإسهام في تنمية الحس الأمني بما يخدم قضايا التنمية المستدامة في الدول العربية[1].

الاستراتيجيات التعليمية الأمنية للجامعة:

يسهم التخطيط الاستراتيجي[2] في رسم الأهداف المستقبلية القريبة أو البعيدة المدى التي ترسم لها رسالتها و رؤيتها وتعكس التصور الشامل للمنظمة لذا كان من أولويات جامعة نايف هي مكافحة الجريمة ولقد تنبهت الجامعة لمخاطر الإرهاب منذ عام ١٩٨٢م

(١) موقع جامعة نايف للعلوم الأمنية: http://www.nauss.edu.sa/Ar/Pages/Home.aspx

(٢) مفهوم التخطيط الاستراتيجي: هو تخطيط بعيد المدى يأخذ في الاعتبار المتغيرات الداخلية والخارجية ويحدد القطاعات والشرائح السوقية المستهدفة وأسلوب المنافسة ويجيب على سؤال "إلى أين نحن ذاهبون" آخذاً في الاعتبار الرؤية المستقبلية للشركة وعلاقة الارتباط والتكامل بين جوانب المنظمة والأنشطة المختلفة بها والعلاقة بين المنظمة وبيئتها ويعتبر التخطيط الاستراتيجي أحد المكونات الأساسية للإدارة الاستراتيجية ويختلف عن التخطيط التقليدي حيث يعتمد على التبصر بوضع الشركة في المستقبل وليس التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له المصدر: http://repository.nauss.edu.sa

وحثت طلبتها على البحث في ظاهرة الإرهاب[1] بجميع أنواعه ولعل ظاهرة الإرهاب في الوقت الحالي هي الخطر الذي يهدد جميع المجتمعات لذا قامت الجامعة بتكريس البرامج التعليمية والأنشطة المتعددة التي نفذتها من خلال معاهد ومراكز للبحوث لمكافحة الإرهاب ونشر وتثقيف الفكر العربي لخطر الإرهاب.

كما أن المواد الدراسية التي تقدمها كلية الدراسات العليا مواد تحتوي على الموضوعات العلمية ذات العلاقة بمجال مكافحة الإرهاب. ونفذت أيضا من خلال المعهد الأمني للتدريب العديد من النشاطات تجاوزت المئة نشاط ما بين دورة تدريبية وأنشطة علمية وحلقات علمية ومعارض أمنية فضلا عن ذلك أصدرت العديد من الدراسات المتنوعة عن الإرهاب وسبل مكافحته[2]. وأدرج عدد من المقررات الدراسية لمرحلتي الماجستير والدبلوم للشاب السعودي والعربي تضمنت أساليب التصدي للأخطار وإدارة الكارثة والتعاون الأمني العربي ومقرر المشكلات الأمنية المعاصرة والذي يتناول موضوع الإرهاب وماهيته والإرهاب الدولي والإرهاب من نظرة الشريعة الإسلامية والسياسة الجنائية المعاصرة والمهارات الأمنية في عمليات مكافحة الإرهاب ودور النظم في مكافحة الإرهاب وغيرها.

ولا نغفل عن جانب الإصدارات العلمية التي يصدرها طلبة الماجستير والدكتوراه من خلال المكتبة الخاصة في الجامعة وهي من نتاج الطلبة ذاتهم[3]. بالإضافة إلى استعانة الجامعة بعدد كبير من الخبراء العرب لإعداد دراسات تناولت موضوع الإرهاب من جميع نواحيه الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية من أنواعه إلى أسبابة إلى سبل مكافحته وعلاجه والحد من انتشاره على الصعيد الداخلي والعربي من خلال هذه المؤلفات التي بلغت المئات

---

(١) مراسلات بريدية أجرتها الباحثة مع سعادة الدكتور / صقر المقيد مدير إدارة التعاون الدولي في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

(٢) أنظر كتاب: الجحني، علي، الجهود العربية في مكافحة الإرهاب، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، الرياض.

(٣) زيارة ميدانية أجرتها الباحثة لمكتبة جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في شهر محرم بعام ١٤٣٦هـ وتحاورت الباحثة مع موظفات المكتبة عن المؤلفات والرسائل التي ضمتها المكتبة وأكدت بالفعل أن غالبية المؤلفات والرسائل والدوريات هي من نتاج الطلبة ومنسوبي الجامعة.

من الرسائل والمؤلفات الجامعية[1].

ولقد قامت جامعة نايف – ولا تزال – بتنفيذ وإجراء الدراسات والبحوث التي أملتها السياسات والاستراتيجيات الأمنية منذ بدأ النشأة فقد أصدرت الجامعة من البحوث والدراسات في مكافحة الجريمة والإرهاب في الفترة الزمنية ما بين ١٩٨٠م-١٩٩٩م ٢٧ مؤلفا بنسبة ١٨٪[2] من جميع المؤلفات التي صدرت من الجامعة بينما عدد الندوات والمحاضرات بلغ (٢٧٩) نشاطا علميا.

ففي مجال المحاضرات المحلية والعربية فقد أنجز قسم الندوات واللقاءات العلمية والبحوث العديد من المحاضرات واللقاءات العلمية تضمنت الاستراتيجية الأمنية في مواجهة العنف والجرائم الإرهابية ونشرت من خلالها عدة دراسات ومقالات تضمنت وكيفية التصدي لهذه الظاهرة والحث على العمل الأمني المشترك في مواجهته[3].

وبفضل هذه الجهود في تثقيف الفكر العربي استطاعت الجامعة نشر خطر الإرهاب تحت منظور الشريعة الإسلامية وحدت من انتشار مثيري الفتن ودعاة الفرقة فقد أصبح اللجوء إلى استراتيجية اجتماعية ثقافية متكاملة أمرا ملحا للمساهمة في الحفاظ على عقول الشباب وغيرهم من الغزو الفكري وتحصينهم ثقافيا من خلال المناهج الصحيحة التي تزيد الوعي الأمني والثقافي.

وخلاصة القول: فإن البعد الفكري والمعنوي للاستراتيجية التعليمية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية التي لاشك تهدف إلى حفظ الفكر السليم والمعتقدات والقيم والتقاليد الكريمة هذا البعد من وجهة نظرنا يمثل بعدا استراتيجيا للأمن الوطني لأنه مرتبط بهوية الأمة واستقرار وهذا ما حثنا إليه ديننا الحنيف وقيمه التي تدعو إلى أمن

---

(١) ولعل من أهم المؤلفات التي تناولت ظاهرة الإرهاب هي: عيد، محمد فتحي، الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها) ١٤٢٢هـ، الرياض.

(٢) متولي، مصطفى، وآخرون، مدى استفادة الأجهزة الأمنية العربية من أنشطة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ص٨٨، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م، الرياض.

(٣) مراسلات بريدية أجرتها الباحثة مع الأستاذ / محمد الجار الله، مساعد مدير المكتبة الأمنية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

الأفراد وأمن الوطن والترابط ومواجهة كل ما يهدد تلك الهوية وتبني أفكار هدامة تنعكس سلبا على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ لان الهوية تمثل ثوابت الأمة من قيم ومعتقدات وهذا ما يحرص الأعداء على مهاجمته لتحقيق أهدافهم العدوانية والترويج لأفكارهم الهدامة وخاصة بين شريحة الشباب، والتشويش على أفكارهم ودعوتهم للتطرف، وهذا هو دور التعليم الفكري في الحماية من الغزو الفكري.

فقد أجرت الجامعة دراسات علمية بشأن حفظ الفكر السليم ومعالجة الفكر التكفيري فضلا عن ذلك تعد الجامعة في ٢٠١٥م برنامجا لملتقى علمي بعنوان (دور المناصحة في مكافحة الإرهاب والتطرف) مما يسلط الضوء على الأمن الفكري، كما شارت الجامعة في الاجتماعات الخاصة بإنشاء المركز العربي للأمن الفكري والذي يعمل في إطار مجلس وزراء الداخلية العرب[1].

دورها في مكافحة الإرهاب:

بذلت الجامعة قصارى جهدها لمكافحة الإرهاب من حيث التعليم عندما اعتمدت مقرر مادة بعنوان (مكافحة الإرهاب) ضمن المناهج الدراسية. وكان من أساليب مكافحة الإرهاب محليا: عمل الجامعة على تكوين رجال من الأمن وتشجيعهم في مواجهة خطر الإرهاب بحيث أن الخريج منها يتميز عن خريجين الجامعات الأخرى فخريج جامعة نايف للعلوم الأمنية على مستوى عالي من الثقافة الأمنية ويتميز في أداء واجباته بشكل علمي وعملي دقيق وقد كرست الجامعة طاقاتها في علاج الظاهرة بمواجهة الفكر بالفكر.

وكان الثناء والتشجيع للمشاركين في المهام الأمنية والشعور بالحس الوطني والأمني أيضا نهج سارت عليه الجامعة وقد تعددت الأساليب فكانت الجامعة تقوم بدورها الاجتماعي وتعالج الظاهرة اجتماعيا من جذورها من خلال عقد عدة ندوات ومؤتمرات وكانت تصدر خطابات ودعوات للآباء للحث على التنشئة السليمة خالصة من الشوائب وكان من أبرز الخطابات التي أعتلى هرمها رئيس مجلس إدارة الجامعة الأمير نايف بن عبد

(١) مراسلات بريدية أجرتها الباحثة مع سعادة الدكتور / صقر المقيد، مدير إدارة التعاون الدولي في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، في شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

العزيز آل سعود – رحمه الله- من خلال لقاء له صحفي بجريدة عكاظ فقال: (إن الجميع مسئولون أمام الله ثم أمام هذا الوطن وكلٌ مطلوبٌ منه أن يؤدي واجبه بمنع العابثين بمقدرات الوطن والتعريف بهم وحفظ أبنائهم من الاختلاط بهؤلاء الأشرار[1]). وتعليقا على ما قاله سموه – رحمه الله – يدلل لنا رجاحة تفكير سموه وإرادته فجميع البرامج التي نلمس نتائجها في النهضة الأمنية التي تميزت بها المملكة العربية السعودية عن سائر بقاع الأرض هذا راجع إلى فكر سموه – رحمه الله – في إدارته وقدرته المتميزة التي لاشك ظهرت في هذه الجامعة، ومن جهود الجامعة الحرص على العناية بالجوانب الوقائية وخاصة في مجال التقنية الحديثة والتي تمثل خلال الفترة الحالية التحدي الكبير مما دفعها بالعمل على تطوير الإعلام الأمني والفكري من خلال مؤلفات ودراسات وعقد عدة مؤتمرات لوضع الاتفاقيات الدولية حول تطوير الإعلام ومحاربة الفكر المتطرف من خلاله وتميزت بوضع دراسات استراتيجية شاملة لمعالجة هذه الظاهرة من قبل أكاديميين وخبراء وممارسين لهم باع طويل في الدراسات العلمية ومن ثم وضع توصيات قابلة للتطبيق.

وتناولت هذه الدراسات جميع أشكال الإرهاب بالتحليل الدقيق وتنوعت مواضيعها لتغطي مواضيع مثل أمن المطارات، وإدارة الأزمة في الحدث الإرهابي وواقع الإرهاب في الوطن العربي وحماية المنشآت المهمة وأساليب ووسائل التقنية التي يستخدمها الإرهابيين وطرق التصدي لها ومكافحتها ومكافحة الإجرام المنظم باستخدام المتفجرات.

وأولت الجامعة اهتماما بالغا على أمن المطارات والحدود[2] من خلال إعداد برامج تدريبية لرجال الأمن وحماية المنشآت المهمة وأمن وحماية الطائرات وأمن وحماية المؤسسات المصرفية وإدارة الأزمات إضافة إلى ذلك فقد عنيت الجامعة بتقديم البرامج المخبرية حول الأسلحة والتحليل المخبري للمتفرجات وإلى إقامة تعاون فعال بين

(١) مقالة بعنوان: صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود أمن وطن في أمير، من إصدارات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ، ص٢٧.

(٢) مرجع سابق، الجحني، أبعاد السياسة الدولية لمكافحة الإرهاب، ص ١٣١.

الأجهزة المعنية وبين المواطنين لمواجهة الإرهاب[1].

وباختصار يمكن القول بأن النشاطات المتعددة التي تقوم بها الجامعة محليا هي كالتالي:

- البرامج التعليمية التي تقرها الجامعة.
- البحوث والدراسات والمؤلفات العلمية التي من نتاج الجامعة.
- المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية التي تنظمها الجامعة.
- المقالات العلمية والدوريات المتخصصة التي ينشر من خلالها خطر الإرهاب وتدابير مكافحته.
- البرامج التدريبية المتخصصة التي ينظمها معهد التدريب للشاب السعودي خاصة[2] داخليا وعربيا وأجنبيا.

أما دورها دوليا: تتعامل الجامعة مع ٢٢ دولة عربية وهي بمحط أعجاب الدول العربية والأجنبية كما أن المكانة التي تحتلها الجامعة عربيا ساهم في انتشار أنشطتها دوليا فالجامعة فضلا على أنها عضوا في مجلس وزراء الداخلية العرب فإنها عضوا في المنظمة الدولية للشرطة الجنائية وعضوا في مجلس وزراء العدل العرب[3].

وهذا مؤشر لأنشاء الجامعة نقطتي اتصال للتنسيق مع المنظمات والهيئات الدولية في مكافحة الإرهاب وتمولها وزارة الداخلية، كما عملت على تحديث وتطوير أجهزة الأمن وكافة الأجهزة الأخرى المعنية بمكافحة الإرهاب تأهيلا وتدريبا[4]. ومن الاتفاقيات العربية المشتركة التي تمثلت في جامعة الدول العربية والتي كان للجامعة باع بها فيما يختص بتدابير المكافحة والمنع للإرهاب، الحيلولة دون اتخاذ أراضيها مسرحا لتخطيط أو تنظيم أو تنفيذ الجرائم الإرهابية أو الشروع أو الاشتراك فيها بأي صورة من الصور بما في ذلك العمل على منع تسلل العناصر الإرهابية إليها أو إيوائها أو تمويلها أو تدريبها[5].

---

(١) القاسم، رائد، الإرهاب والتعصب عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، بيروت، ص٢٦٦.

(٢) الجحني وآخرون، من أعمال ندوة الإرهاب والعولمة، ط١، ١٤٢٣هـ، الرياض، ص٢٠٤.

(٣) مراسلات بريدية أجرتها الباحثة مع سعادة الدكتور صقر المقيد مدير إدارة التعاون الدولي في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

(٤) الشلوي، حمدان غريب، الإرهاب ودور المملكة العربية السعودية في مكافحته، ط١، الرياض، ص١٣٣.

(٥) القاسم، مرجع سابق، ص٢٦٥.

وهنا يتضح لنا مدى التعاون والتنسيق بين الدول وتعزيز الأنظمة المتصلة بالكشف عن الخلايا الإرهابية الخطرة كما أكدت الاتفاقيات على أهمية تعزيز أنشطة الإعلام الأمني العربي؛ وذلك للكشف عن أهداف الجماعات والتنظيمات الإرهابية وطالبت كل دولة من الدول المتعاقدة بإنشاء قاعدة بيانات لجمع وتحليل المعلومات الخاصة بالعناصر وحول مستجدات ظاهرة الإرهاب.

وقد عملت الجامعة على تعزيز الحماية والأمن والسلامة على الصعيد الدولي من خلال توفير الأمن والسلامة للشخصيات الهامة وللبعثات الخارجية والقنصلية والمنظمات الإقليمية وتأمين حماية فعالة للعاملين في ميدان العدالة الجنائية وتوفير ما يلزم من مساعدات لضحايا الإرهاب وقد وضعت العديد من الدراسات والبحوث بين أيدي المهتمين بما يخدم الهدف المنشود؛ وذلك للاستفادة من التجربة السعودية في مكافحة الإرهاب التي حُضيت بالنجاح والتقدير من الدول الأخرى[1] فقد أدت جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية منذ إنشائها قبل أكثر من عقدين من الزمن رسالتها في سد فراغ علمي مهم في الميدان الأمني على المستوى المحلي والعربي تمثلت في الأنشطة والمشاركات في اللقاءات الدولية في مجال مكافحة الإرهاب والحق أن هذه الأنشطة قد استفاد منها خبراء من عدة دول مما يدلل لنا انجازات هذه الجامعة الرائدة التي تعكس حضارة أمة من خلال إثرائها ببرامج نصت على التعريف بأحكام التشريع الإسلامي وإيضاح الصورة الحقيقية للعرب والمسلمين في نبذ العنف والإرهاب وحشدت لذلك الطاقات وألقى خبراء الجامعة محاضرات في كل من الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا، اسبانيا والنمسا.

---

(١) عكف العديد من المهتمين الأجانب للدراسة على استراتيجية المملكة العربية السعودية في مكافحة الإرهاب، ومن الدراسات المهمة أعدها الدكتور كريستوفر بوسيك وهو خبير امريكي يعكف منذ سنوات على دراسة الاستراتيجيات السعودية لمكافحة التشدد وإعادة تأهيل المتطرفين التائبين وبحث عن إجابات لأسئلة تتعلق بالإسلام وأشادت الدراسة على أن الحملات التي تجد دعما من وزارة الشئون الإسلامية قد نجحت بالفعل من الحد من الفكر التكفيري وذلك من خلال تحاور ذوي الخبرة بالأحكام الإسلامية مع المتطرفين عبر الوسائل الإلكترونية. للمزيد حول الدراسة أنظر: http://www.mncc.org.sa

وقد تتالت عدة اتفاقيات للاستراتيجية الأمنية العربية كانت الجامعة من خلالها تضع لها بصمة واضحة وكان آخرها الخطة المرحلية الرابعة لتنفيذ الاستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب ٢٠١٠ / ٢٠١٢ م والجامعة بفضل الله صاغت استراتيجية خمسيه طموحة للتطور ما بين عامي ٢٠١٣/ ٢٠١٨م شملت كافة القطاعات الأكاديمية والإدارية والمالية[1]. وقد أثمرت جهود الجامعة في تنفيذ ما يخصها في هذه الخطط المرحلية من البحوث والدراسات، وبرامج التدريب، وبرامج العلوم الاستراتيجية، فيما يختص ظاهرة الإرهاب ونظراً للنجاحات التي تم تحقيقها في تنفيذ الاستراتيجيات والخطط الأمنية ورغبة من مجلس وزراء الداخلية العرب في مواصلة إعداد وتنفيذ هذه الخطط أقر المجلس في دوراته المختلفة عدداً من الخطط المرحلية الخاصة بتنفيذ الاستراتيجيات التي أقرت مسبقاً من المجلس وتتولى الجامعة مسؤولية تنفيذ الشق العلمي من هذه الخطط المرحلية.

(١) مراسلات بريدية أجرتها الباحثة مع سعادة الدكتور / عبد الغفار الدويك، عضو تطوير المناهج في وكالة الشئون الأكاديمية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في شهر صفر من عام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

الخاتمـــة

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر المولى عز وجل الذي أعانني على إنجاز هذا البحث العلمي كما أنتهز الفرصة لتقديم أسمى آيات الشكر والتقدير والامتنان لكل من دعم مسيرتي أثناء إعداد البحث، كما أجدها فرصة طيبة لأثني الشكر لبعض من المكتبات لإمدادي بالعديد من المصادر والمعلومات.

النتائـــــج:

- أظهرت الدراسة ردا لكل من يتهم الدين الإسلامي بالتشدد وإلصاق هذه الجريمة النكراء له من خلال وضع أدلة صريحة من القرآن والسنة وتبيان عدالة ووسطية الدين الإسلامي وإنسانيته.
- تبني المملكة العربية السعودية مشكلة الإرهاب ليس محليا فحسب بل دوليا من خلال إعداد عدة برامج وخطط شاملة لمعالجة الفكر المتطرف والحد من هذه الظاهرة الخطرة.
- تعد تجربة المملكة العربية السعودية في التصدي للإرهاب تجربة عميقة ودقيقة في المعالجة ورائدة حققت نجاح على المستوى العالمي وليس عربيا فقط.
- أثبتت جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية مدى تعزيز دورها في التنشئة التربوية في مواجهة الإرهاب محليا وعربيا.
- معالجة الجامعة لظاهرة الإرهاب على أسس علمية صارمة وإيجاد الحلول العلمية من خلال المساقات والمقررات الأكاديمية والرسائل العلمية والنشاطات التي تناولت الظاهرة.
- أوضحت الدراسة أن التدريس على أيدي خبراء ومتخصصين في المجال الأمني يمتازون بالفهم الصحيح لأحكام الدين الإسلامي يخرج لنا جيل مثقف وعلى مستوى من الوعي في أحكام الدين الإسلامي.

- العمل على تزويد خريجيها بأحدث المعلومات لمكافحة الإرهاب من خلال التعاون مع الجامعات الأمنية العربية والغربية.
- انتهجت الجامعة إلى أسلوب حديث في معالجة الفكر التكفيري والتطرف من حيث التصدي له بالفكر.

التوصيـــات:

- إعداد مقررات موحدة تُدرّس بالجامعات السعودية للطلبة، كمقرر أساسي يتناول معالجة الفكر المتطرف والتكفيري المنحرف واستئصاله من جذوره.
- ضرورة الاهتمام بالفئة العمرية الشبابية في المجتمع واحتوائهم وحل مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية.
- تكثيف البرامج والأنشطة والأساليب الوقائية ذات العلاقة بهذه الظاهرة على مختلف الفئات العمرية في المجتمع السعودي.
- ضرورة تثقيف دور الأسرة في الوعي للتنشئة الصالحة لأبنائهم.
- تكثيف التعاون عربيا وإقليميا ودوليا في إنشاء مثل هذه الجامعات الأمنية لمكافحة الإرهاب وخطرة.
- إقامة المؤتمرات والندوات بالقطاع التعليمي وحث الطلبة على عمل بحوث ودراسات؛ لما فيها من تجديد الولاء وحب الوطن والدفاع عن ممتلكاته في نفوس الطلبة ولمحاولة التغلب على المعوقات والتحديات لهذه الظاهرة.
- ابتعاث المؤهلين من العاملين في ميادين مكافحة الإرهاب إلى الجامعات والمعاهد المتقدمة خصوصا فيما يتعلق في الجرائم الإلكترونية التي لا شك أنها أصبحت سلاحا بيد هؤلاء المجرمين لتمويل عملياتهم بكل سهوله.

الملاحــق

(أولا)

(ثانيا)

هذه الوثيقــة: هي المرجـــع الأساسي لترأس الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله– للعديد من المؤتمرات على المستوى العربي واستخلص منها دور الجامعة في مكافحة الإرهاب عربيا[1].

(ثالثا) تم عمل استمارة مقابلة مكونة من خمسة أسئلة وهي:

- ما الدور الذي قامت به جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية لمواجهة مخاطر التطرف والإرهاب على المستوى العربي؟

(١) وثيقة كتبت في شهر ذي الحجة عام ١٤٢٨هـ كانت مرسلة من وكيل وزارة الداخلية د. أحمد السالم إلى الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – وجاءت في خمس صفحات ضمت من خلالها العديد من جهود سموه – رحمه الله – من الجانب الأمني، وتعتبر هذه الصورة هي الصفحة الرابعة من الوثيقة الأصلية. المصدر: مكتبة الملك عبد العزيز.

- ما الدور البارز الذي تؤديه الجامعة لتعزيز الأمن الوطني؟
- ما الطرق والوسائل التي تتبعها الجامعة لتعزيز الأمن الفكري بالوطن العربي عامة والسعودي خاصة؟
- ما أبرز المعوقات التي تواجهها الجامعة في مواجهتها للتطرف والإرهاب؟
- ما الرؤية المستقبلية التي تسعى الجامعة للوصول لها؟

وقد أرسلت لكلا من:

- مدير إدارة التعاون الدولي في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الدكتور: صقر المقيد.
- مستشار وزير الداخلية في مصر وعضو تطوير المناهج في وكالة الشئون الأكاديمية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الدكتور: عبد الغفار الدويك.
- مساعد مدير المكتبة الأمنية في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الأستاذ: محمد الجار الله.

نموذج لبعض الإجابات على الاستمارات

بعض إجابات الدكتور: عبد الغفار الدويك[1]. بعض إجابات الدكتور: صقر المقيد.

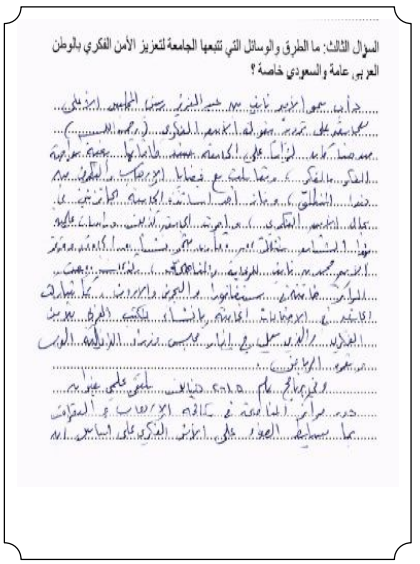
السؤال الثالث: ما الطرق والوسائل التي تتبعها الجامعة لتعزيز الأمن الفكري بالوطن العربي عامة والسعودي خاصة؟

(١) ملاحظة: يوجد لدى الباحثة جميع المُراسلات البريدية التي أجرتها مع منسوبي جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ولا تستطيع الباحثة أن تزوّد بقية المراسلات لأنه؛ يزيد عن عدد الصفحات المطلوبة للورقة العلمية.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائــق:

- مكاتبات بريدية أجريت في١٨ صفر/ عام ١٤٣٦هـ مكونة من خمسة أسئلة تم إرسالها لبعض من مسئولي جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- وثيقة كتبت في شهر ذي الحجة عام ١٤٢٨هـ وكانت مرسلة من وكيل وزارة الداخلية د. أحمد السالم إلى الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – ومصدرها من مكتبة الملك عبدالعزيز.

الكتــب:

- أبن منظور، الجوهري في الصحاح، مجموعة فتاوى ومقالات، ١٩٨٧م، الرياض.
- آل ثاني، عبد الله جاسم علي، الحياة السياسية والاقتصادية في إقليم البحرين وعمان بين القرنين الخامس والسابع الهجري (الحادي عشر والثالث عشر ميلادي)، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، بيروت.
- الجحني وآخرون، من أعمال ندوة الإرهاب والعولمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، الرياض.
- الجحني، علي فايز، أبعاد السياسة الدولية لمكافحة الإرهاب، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، الرياض.
- الشلوي، حمدان غريب، الإرهاب ودور المملكة العربية السعودية في مكافحته، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، الرياض.
- العفيصان، عبد الرحمن بن عبد الله، الجهود التي بذلت في مجال الوقاية ومكافحة الإرهاب في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى،١٤٣٣هـ، الرياض.
- عمارة، محمد، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- العميري، محمد، موقف الإسلام من الإرهاب (إصدارات جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية) الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ، الرياض.

- القاسم، رائد، الإرهاب والتعصب عبر التاريخ، الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ، بيروت.
- متولي، مصطفى وآخرون، مدى استفادة الأجهزة الأمنية العربية من أنشطة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، الرياض.

المجلات والدوريات المطبوعة:

- أمن وطن في أمير من الدوريات الصادرة من جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.
- الشيرمي، عبد الحكيم راشد، مواجهة الإرهاب في الخطابة المكية في التأثير والحوار، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد ١٢٧٣، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢.
- جريدة اليوم الأحد ٤أكتوبر ٢٠١٠م كلمة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- التي وجَّهها لأعمال السنة الثالثة من الدورة الخامسة لمجلس الشورى.
- الحسني، عبد الله، جريدة الرياض السبت ٣ شوال ١٤٣٤ هـ - ١٠ أغسطس ٢٠١٣م - العدد ١٦٤٨٣.

المواقع الالكترونية:

- صحيفة صدى الإلكترونية: http://www.slaati.com/2014/09/25/p236570.html
- موقع وزارة الداخلية: http://www.moi.gov.sa
- موقع جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية: http://repository.nauss.edu.sa
- موقع مركز الأمير محمد بن نايف آل سعود للمناصحة والرعاية:

http://www.mncc.org.sa

+٩٦٦ ١١ ٢٨١٧٦٤١

dgpd@moasu.edu.sa

@mutomar1438

http://DPVD.moasu.edu.sa